



معهد الأمام الطبري
لعلوم القرآن وأدابه
بمحافظة حفر الباطن

تَذَكُّرَاتُ السَّعْدِيِّ

أكثر من ١٠٠٠ فائدة

من تفسير السَّعْدِيِّ



جمع وإعداد

عبد الرحمن بن محمد السبهي

عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَدَمِّتًا

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، أنزل الكتاب المستبين، ودعا عباده إلى التأمل والنظر فيه، والتدبر لمعانيه، والصلاة والسلام على إمام البرية وأزكى البشرية، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، وبعد :

فهذه فوائد وفرائد، ونفائس ولطائف، جمعتها من تفسير الإمام المفسر عبدالرحمن بن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ الْمَسْمُومِي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) وأسميتها (تدبرات السعدي أكثر من ١٠٠٠ فائدة من تفسير السعدي) جمعتها قبل عدة أعوام، وذلك بعد نظر طويل في تفسير هذا الإمام رَحْمَةُ اللَّهِ.

وتم ترتيب هذه الفوائد حسب ترتيب سور القرآن الكريم، ليسهل الرجوع إليها، ولكي ترتبط الفائدة بالسورة التي ذُكرت فيها، وكذلك ليربط القارئ بين الفائدة والتي قبلها والفائدة وموضوع السورة، وغير ذلك .

وهذه الفوائد هي كل ما استخرجه واستنبطه الشيخ بنفسه بقوله: «وفي هذه الآية - وفيها دلالة على ... - وفي الآية إشارة - وتأمل كيف ...» - وكذلك الفصول التي أفردتها للفوائد من القصص، وأضفت ما رأيت من الفوائد التي أحببت إضافتها لهذا المجموع، ولعل هذه الفوائد تكون حاديةً ومشوقةً لقراءة تفسيره رَحْمَةُ اللَّهِ.

والله أسأل أن يجعلنا من المنتفعين بكتابه، المتدبرين له، العاملين به .

عبدالرحمن بن محمد السبهان

Twitter: @abdarhman_s

E-mail: ams.500@hotmail.com

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿سورة البقرة (مدنية)﴾

﴿الْم ۱﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ .

* ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أتى بـ «من»

الدالة على التبعض، لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءاً يسيراً من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم.

* وفي قوله: ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ إشارة إلى

أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة بقوتكم ومللكم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم،

وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين.

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

* ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أتى بـ (على) في هذا الموضع، الدالة على

الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ (في) كما في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُم لَعَلَىٰ

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤] ؛ لأن صاحب الهدى مستعلٍ

بالهدى، مرتفعٌ به، وصاحب الضلال منغمسٌ فيه محتقرٌ.





﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿١٠﴾

* في قوله عن المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ خَتَرَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشًوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَإِنَّا لَنُؤْمِنُ بِالْحُرِّ وَالْحُرِّ بِمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ يُخْفُونَ عَنِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْفُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ لَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا تَقْسِدُوهَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمُ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٧﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنشَأْنَا لَكُمُ الْأَمْثَلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحْتُمْ بِتَحْرِيرِهَا وَمَا كَانُوا مُنْتَهِدِينَ ﴿١٩﴾

* ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥] فعقوبة المعصية، المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها، قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦].

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٠﴾

* في هذه الآية وما أشبهها رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٠﴾.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾

* في قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: [هو] الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد

ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق.

* وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قيامه بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسرائاء، فقال:

مَنْ لَمْ يَكُنْ كَقَبْلِ الَّذِي أَسْرَى قَدْ نَارًا فَإِنَّهَا أَسْرَاءُ مَا حَوَّلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِرُوحِهِ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٠٠﴾ صُدُّوا
بِكُرْعَانٍ فَهُمْ لَا يَتَسَدَّدُونَ ﴿١٠١﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِمَّنَ السَّمَاءِ فِيهِ
ظُلْمٌ وَرَعْدٌ وَنُورٌ يُجْعَلُونَ أَصْبَحَهُمْ فِيءٌ إِذَا نَهَضُوا
الضُّرُوعِ حَذَرَ النَّمْلِ وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ بِكَذَا أَسْرَى
يُخَلِّفُ أَبْصَرَهُمْ كَمَا أَسْرَاهُ لَهُمْ مَشَاوِيَهُمْ وَإِذَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ
قَامُوا أَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الشَّجَرِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ
الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾

* ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] وفي مقام الإنزال، فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

* في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافا للمعتزلة، وفيها أيضا، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

فلو كان عصاة الموحدين يخلدون فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافا للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَغُضِبَ قَدْ آتَانَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبْلَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا لَا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مِمَّا آمَرُوا بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَقْنَامًا تَكْفُرُونَ قُلْ يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ ۗ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

* فيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشرية عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله من فضله .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

* في هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، لأنها سبقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الحبائث، فإن تحريمها أيضا يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته، منعنا من الحبائث، تنزيها لنا.



﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا اضْعَافُ أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر، فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين،

* قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾

من هذا الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر، فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين،

ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك.

❖ وفي هذه الآيات من العبر والآيات :

* إثبات الكلام لله تعالى، وأنه لم يزل متكلمًا، يقول ما شاء، ويتكلم بما شاء، وأنه عليم حكيم.

* وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالواجب عليه التسليم واتهام عقله والإقرار لله بالحكمة.

* وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة وإحسانه بهم بتعليمهم ما جهلوا، وتنبههم على ما لم يعلموه.

* وفيه فضيلة العلم من وجوه:

- منها: أن الله تعرف لملائكته، بعلمه وحكمته .
- ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم، وأنه أفضل صفة تكون في العبد.
- ومنها: أن الله أمرهم بالسجود لآدم، إكرامًا له، لما بان فضل علمه.
- ومنها: أن الامتحان للغير، إذا عجزوا عما امتحنوا به، ثم عرفه صاحب الفضيلة، فهو أكمل مما عرفه ابتداء.
- ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن، وبيان فضل آدم، وأفضال الله عليه، وعداوة إبليس له، إلى غير ذلك من العبر.

﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

* في هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي.

﴿يَبِّئْ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي
فَارْهَبُونَ ﴿٤٠﴾﴾ .

فَلَمَّا أَهْطَلُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا آيَاتِنَا فَمُتَى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا حَرْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤١﴾
يَبِّئْ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
شَيْئًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ
وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَلْمُزُونَ أَنْهَمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنْهَى إِلَهُهُمُ الرَّجْمُونَ ﴿٤٦﴾
يَبِّئْ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا
وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً وَلَا يُؤْتَدُّ مِنْهَا آتِدَالٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

* في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ إشارة
إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك
عليكم، بتكذيب ما معكم، لأن ما
جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى
وغيرهما من الأنبياء، فتكذبيكم له
تكذيب لما معكم. وأيضا، فإن في
الكتب التي بأيديكم، صفة هذا
النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة
به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتكم بعض ما

أنزل إليكم، ومن كذب ببعض ما أنزل إليه، فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر
برسول، فقد كذب الرسل جميعهم.

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
شَيْئًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾﴾ .

* في قوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أبلغ من قوله: «ولا تكفروا به»؛ لأنهم إذا كانوا أول
كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم
إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ .

* قوله: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾ أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها.

* وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها.

﴿آتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)

* هذه الآية ، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) [الصف: ٢-٣] وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقيم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيتها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضاً فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فافتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدٍ فَادْعِ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآ سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّذَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٦١)

الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ *

* فيها دليل على أن الإيثار يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيثار، قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد وقع ذلك فأحزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، وأجلى من أجلى.

﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ *

* في هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر، ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين.

وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

لَتُوبَةُ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْفُوا رِعْيَٰتَ اللَّهِ وَفُؤُوا أَنْظَرْنَاكُمْ وَأَسْمِعُوا لَوْلَا تَكْفِيرُ عَذَابِ الْيَوْمِ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَسِرُ رِجْسَهُمْ مَنْ يَسَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١١٤].

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَبَسَ النَّصْرِيُّ عَلَى سُنَى، وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَبَسَ الْيَهُودُ عَلَى سُنَى، وَهَذَا يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا تَسْأَلُونَ فِيهِمْ وَقَوْلُكُمْ مَنَعَهُمْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، وَاللَّهُ الْمُنِيرُ وَالْمُغْرِبُ، فَأَيُّمَا قَوْلًا فَتَرَى وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ، بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ قَدِينٌ، يَدْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَلَّ قَوْلِهِمْ فَتَنَّبَهَتْ قُلُوبُهُمْ فَمَذَّابُنَا لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ

* استدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد.

* وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨]، بل قد أمر الله

تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها، فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [النور: ٣٦].

﴿ وَإِنْ رَضِيَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرِيُّ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [١١٣].

* هذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن أمته داخله في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [١١٤].

حتى يكون داعيهم واحداً، وعملهم متحداً، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه: أن المؤمنين كالجسد الواحد.

* وفي قوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان، على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: «أنا مؤمن» ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرراً بالاستثناء بالمشيئة، لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان.

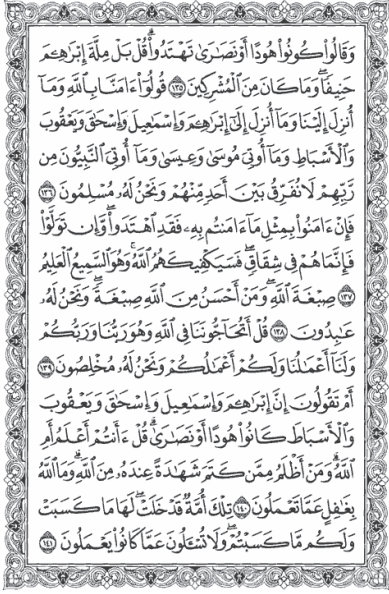
* وفي قوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ دلالة على أن عطية الدين، هي العطية

الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع. وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء.

* وفي قوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته، تركهم سدى ولا هملاً.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهَدُوا وَإِنْ نَوَوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧)

* وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشردهم كل مشرد. ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر.



للصلوات كلها، فرضها، ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفي شطرها وجهتها.

- وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده.

﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لِينَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٥).

﴿سَيَسْأَلُ الْمُتَّقِينَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذَكَّرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي قِبْلَتِهِمْ يَوْمَ كَفَرُوا﴾
 ﴿عَلَيْهَا أَقْبَلَ اللَّهُ الْمَشْرُقَ وَالْمَغْرِبَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كُنْتَ لَتَكْبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
 ﴿قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلَا تَمِيلُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ لِيُكَلِّمُوا كَلِمَاتٍ فَتَبِعَ وَهُوَ اللَّهُ يُبَدِّلُ عَمَّا يَمْلِكُونَ﴾
 ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لِينَ الظَّالِمِينَ﴾

* قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾

أبلغ من قوله: (وَلَا تَتَّبِعْ) لأن ذلك يتضمن أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه، ولم يقل: (ولو أتوا بكل آية) لأنهم لا دليل لهم على قولهم. وكذلك إذا تبين الحق بأدلته اليقينية، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها، ولأنه يعلم

بطلانها، للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح، فهو باطل، فيكون حل الشبه من باب التبرع.

* ﴿وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إنما قال : ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولم يقل (دينهم) لأن

ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ

هُوَئِلَهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَغِيثُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨).

* يستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فله ما أجمعها وأنفعها من آية!

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ
وَإِنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٨﴾ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ
هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَغِيثُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٠﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
وَمَا اللَّهُ يُغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْهِمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٩﴾ فَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
الَّتِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ لَوْلَا فَتَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا
أَلَمْ نَجْعَلِ لَكُمْ آيَاتِنَا آيَاتٍ فَاعْبُدُوا ﴿١٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ يُغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٠).

* وكان صرف المسلمين إلى الكعبة،

مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات.

- منها: الأمر بها ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة.
- ومنها: أن المعهود، أن الأمر، إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعاً، أو للأمة عموماً، وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ والأمة عموماً في قوله: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾.

- ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة، التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها.
- ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبله أهل الكتاب.
- ومنها قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.
- ومنها: أنه أخبر - وهو العالم بالخفيات - أن أهل الكتاب متقرر عندهم، صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (١٥٢)

* في الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٢﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُمْ مَائِيهَا فَاسْتَبِقُوا إِلْفَئِذَ آيَاتِنَا مَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٤﴾ بِكْرِ اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٥﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ مُطَّرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٦﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ مُطَّرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْزَنُوا وَخَسِرُوا وَلَئِنَّهُمْ لَيَكْتُمُونَ عَلَيْكُمْ وَلَعَدَّكُمْ نَجْمًا ﴿١٥٧﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا تَلَاكُمْ كَمَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴿١٥٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلصَّابِرِينَ وَالصَّالِحِينَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٠﴾

والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم إذا زال غيرها، وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾ (١٥٩)
﴿بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٦٠)

* في هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل

الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى قد قال:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨)

* ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ دل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف

وَلَا تَقْرَأُوا لِلَّذِينَ يَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ بَلْ أَحْيَاهُمْ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٨﴾ وَلَيَبْئُوكُمْ بِبَنِي وَعَمْرٍو مِنَ الْخَوَافِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْقَمَرَاتِ وَبَنِي الْعَرَبِ وَالْمَدَائِنِ وَالْمَدَائِنِ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿١٥٩﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِذَا الذِّبْتُمْ بِمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٦٢﴾ أَلَا الَّذِينَ تَسَاءَلُوا وَاسْتَلْحُوا وَيَسْتَأْذِنُوا فَمَا لَئِكَ أَوْلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَالنَّارُ الرَّاحِمَةُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَسَافُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٥﴾ وَالْمُكْرِمَةُ لِلَّهِ وَالْحَدَّ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٦﴾

بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة، بخلاف الطواف بالبيت، فإنه يشرع مع العمرة والحج، وهو عبادة مفردة. فأما السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار فإنها تتبع النسك، فلو فعلت غير تابعة للنسك، كانت بدعة، لأن البدعة نوعان: نوع يتعبد لله بعبادة لم يشرعها أصلا، ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على

صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة، وهذا منه.

* وقوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه.

* ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ دل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شرًّا له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل.

﴿وَالْمُكْرِمَةُ لِلَّهِ وَالْحَدَّ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٦)

* في هذه الآية، إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من

* في هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلا وانتفاعا، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال.

* وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يَأثم تاركه لظاهر الأمر.

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (١٧٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ .

* ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴾ هذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورجبتهم

وَأَقِيلَ لَهُمْ أَنَّهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّبِعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعْوَةً وَنِدَاءً ضَمَّ بِكَرْمٍ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ بَنَاتُهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ أَمْنٍ طَيِّبَةٍ مَارَرْتَنَ فِيهَا شُكْرٌ وَءَاهِبَانِ تُسَبِّحِينَ بِحَمْدِ رَبِّكَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَخِيَارَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتَكْبِرُونَ بِهِ فَمَنْ آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُمْ مِنَ الْهُدَىٰ وَاللَّعْنَةُ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٧٤﴾ أَصْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره تبين له الحق قطعاً، واتبعه إن كان منصفاً.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٢)

* في هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: «الضرورات تبيح المحظورات» فكل محظور، اضطر إليه الإنسان، فقد أباحه له الملك الرحمن، فله الحمد والشكر، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

- * وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فهذا قال: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾.
- * وفي قوله: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ تريق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً.
- * وفي قوله: ﴿أَخِيهِ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه.
- * وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء، والصحيح الأول، لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٨٠) فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَنْتَسَبِلَ وَالسَّابِغِينَ وَالرِّقَابَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلْيَتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَدَابٌ أَلِيمٌ ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ ١٨١ ﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ ١٨٢ ﴾

- * قوله: ﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى. واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في

والوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل. والأحسن في هذا أن يقال: إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري، ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات الموارث، بعد أن كان مجملاً، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببه، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلا من القائلين بهما كل منهما ملحظاً، واختلف المورد. فبهذا الجمع يحصل الاتفاق والجمع بين الآيات، لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

﴿ يَتَّيْهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

* فيه تشييط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمسارة إلى صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور الثقيلة التي اختصتكم بها.

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۖ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

فَمَنْ حَافٍ مِنْ مُّؤْمِنٍ جَنَفًا أَوْ أَثِمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْيِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٣﴾ يَتَّيْهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۖ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرٌ رَّمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلَيُكْتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ إِن كُنتُمْ عاقلين ﴿١٨٥﴾ وَلَمَّا سَأَلْنَاكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ دَعْوَةُ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِي أَلَسْتُ بِرَبِّشُدْرَتٍ ﴿١٨٦﴾

- * ويستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم، وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس.
- * وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف.

﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

أَجَلُكُمْ لِبَيْتِهِ الصَّيَاغَةُ الرَّقْبُ إِلَى نَسَائِكُمْ هُنَّ نِسَائُكُمْ وَأَنْتُمْ لِنِسَائِكُمْ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَاؤُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَمَنَ بَيْتُهُمْ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُنُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبِقَ بَيْنَكُمْ لِحَيْطُ الْأَبْيُضِ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَبْشُرُوا مِنْهُ وَعَنْكُمْ عَنِكَ كَفَرُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٩﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْكُفْرِ لِيَأْكُلُوا فَرْيَافًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩١﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩٢﴾

* يستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً، فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل

به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَآخِرُ جُودِهِمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾

من الأشياء حتى يكملها، إلا بما استثناه الله، وهو الحصر.

* والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية.

* ويستدل بهذه الآية على أن المتمتع إذا ساق الهدى، لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، فإذا طاف وسعى للعمرة أحرم بالحج، ولم يكن له إحلال بسبب سوق الهدى

* ويدل مفهوم الآية، على أن المفرد للحج ليس عليه هدي.

* ودلت الآية على جواز، بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في أشهر الحج.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

* في قوله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ﴾ دلالة على أمور:

- أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج، فالإفاضة من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف.

- الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضاً معروف، يكون ليلة النحر باثنا بها، وبعد صلاة الفجر يقف في المزدلفة

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا تَعْدِيلَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٢﴾



والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء أجمع دعاء وأكملة، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الدعاء به، والحث عليه.

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٠٣﴾

* هذا تخفيف من الله تعالى على عباده، في إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين، فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة.

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ ﴿٢٠٥﴾

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٠٣﴾
 ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيَّ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْجَهَنَّمَ ﴾ ﴿٢٠٤﴾
 ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ ﴿٢٠٥﴾
 ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُ جَهَنَّمُ وَكَانَ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ﴿٢٠٦﴾
 ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُنْفِرُ نَفْسَهُ تَبِعَاةً مَّرْضَاتٍ اللَّهُ وَاللَّهُ رُءُوفٌ بِالْعَصَابِ ﴾ ﴿٢٠٧﴾
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ السَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٢٠٨﴾
 ﴿ فَإِن زَلَلْتُمْ فِرْعَوْنَ مَا جَاءَ تَكْفُرَ الْبَيْتِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٢٠٩﴾
 ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالسَّيْبَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاللَّهُ شَرِيعٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١٠﴾

* في هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلاً على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي لها، وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالسَّيْبَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿٢١٠﴾

﴿ وَأذْكُرُ وَاللَّهُ فِي آيَاتِهِ مَعْدُودٌ قَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِشْرَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِشْرَ عَلَيْهِ لَنْ أَتَقَنَّ وَتَأَخَّرُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهُ يُوْخَشِرُونَ ﴾ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُسْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْعَوْا فِي الْأَرْضِ يُفْسِدُوا فِيهَا وَيُهْلِكُوا الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدِينَ ﴾ ﴿ وَإِذْ أَيْدِيَهُمْ أَوْفَى اللَّهُ تَحْتَهُ الْعِزَّةَ بِالْإِشْرَ فحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلَهَ الْإِنْسَانِ ﴾ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَبَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ﴿ فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ آيَاتُنَا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿

* وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى، عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله **صلى الله عليه وسلم**، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية

ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان، بل حقيقتها القدرح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهو لاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي.

* أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلالاتها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها، ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

* وأما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فكما أن الله ذاتا لا تشبهها

الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

* ويقال أيضاً، لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضاً، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته رسوله، وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكراً لرب العالمين وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، ففرّق بين ما أثبتته وما نفيتته، ولن تجد إلى الفرق سبيلاً فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيهاً، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيتته لا يقتضي تشبيهاً. فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيتته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه. فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفيتته.

* والحاصل أن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ مِن الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٧)

* دلت الآية بمفهومها أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام، أنه يرجع إليه عمله الذي قبل رده، وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢١٨)

كَيْبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ أَعْيَنَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ سَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٨﴾ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْحَرَامِ أَهْلِهِ، مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفَيْتَنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّى تَبْرُدَ وَكَرَّ عَنْ دِيَارِكُرٍّ أَنْ اسْتَظَلَّهَا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْرٌ كَبِيرٌ وَسَنْفَعُ النَّاسَ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ نَفْعِهِمَا أُولَٰئِكَ مَاذَا يُجْفِقُونَ قُلْ الْمَغْفُوكَ ذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٢١﴾

* في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

* وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة، حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات، وحصلت له رحمة الله.

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْإِصْلَاحِ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٢٠)

* في هذه الآية، دليل على جواز أنواع المخالطات، في المآكل والمشارب، والعقود وغيرها، وهذه الرخصة لطف من الله تعالى وإحسان، وتوسعة على المؤمنين.

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ ءَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٢١)

* استفاد من تعليل الآية النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصاً، الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها.

* وفي قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ دليل على اعتبار الولي في النكاح.

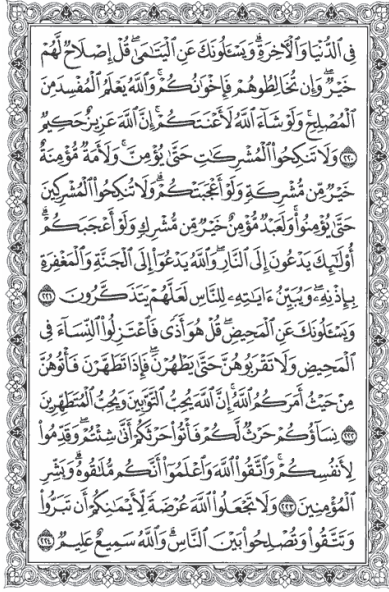
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

* تخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على أن مباشرة الحائض وملاستها في

غير الوطء في الفرج جائز، لكن قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة، ينبغي تركه كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض أمرها أن تنزr، فيباشرها.

* ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث. وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم شرط لصحته.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ فيه مشروعية الطهارة مطلقاً، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقاً شرطاً لصحة الصلاة



والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيصة.

﴿سَأَأْتِكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَمْتُ وَقَدِمُوا لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣).

في الدنيا والآخرة وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ عَاقَبْتَهُمْ فَمَا عَزَابُهُمْ وَاللَّهُ يَبْغِزُ الْمُفْسِدِينَ الْمَصْلُوحُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَخْتَسِمَكَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَا تَتَّبِعُوا الْفِتْنَةَ حَتَّى يَوْمٍ لَا أَمَّةَ مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا تُجِزِيكُمْ وَلَا تُشْكِرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَوْمٍ يَوْمًا وَلَعَدُّ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيَوْمَئِذٍ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحْضِ قُلْ هُوَ أَدَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحْضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّحِرِينَ الْمُتَّحِرِينَ ﴿٢٢٤﴾ سَأَأْتِكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتَمْتُ وَقَدِمُوا لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقُولُوا إِنَّمَا أَعِظْتُكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

* فيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تحريم ذلك، ولعن فاعله.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقُولُوا إِنَّمَا أَعِظْتُكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤).

* يستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، أنه «إذا تراحمت المصالح، قدم أهمها» فهنا تميم اليمين مصلحة، وامتثال أوامر الله في هذه الأشياء مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٢٥).

* في هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال.

﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾.

* يستدل بهذه الآية على أن الإيلاء خاص بالزوجة، لقوله: ﴿ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وعلى وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة يجبر إما على الوطء، أو على الطلاق، ولا يكون ذلك إلا لتركه واجبا.

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَلِّمُنَّ أَسْقُرِيَّهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٣٨)

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُؤُوقِ لِمَ تَكْفُرُونَ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٨﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نَرْصَنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ قَاءَ وَقَبِلَ اللَّهُ عَقُورٌ رَجِيمٌ ﴿٢٣٩﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَلِّمُنَّ أَسْقُرِيَّهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤١﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيمٍ بِمَا حَسَنٌ وَلَا يَجِلُّ لَكُنَّ أَنْ تَأْخُذُوا مَتَاءً أَوْ تَتَّخِذُوا مِنْ سَفِيحَاتٍ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ إِذِ افْتَدَتْ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَنْتَهُوهُمَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤٢﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّقَا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَقَالَ حُدُودَ اللَّهِ بَيْنَهُمَا الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٣﴾

* في ذلك دليل على قبول خبر المرأة عما تخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه

* ومفهوم الآية أنهم إن لم يريدوا الإصلاح فليسوا بأحق بردهن، فلا يجلب لهم أن يراجعوهن، لقصد المضارة لها، وتطويل العدة عليها، وهل يملك ذلك، مع هذا القصد؟ فيه قولان: الجمهور على أنه يملك ذلك مع التحريم، والصحيح أنه

إذا لم يرد الإصلاح لا يملك ذلك كما هو ظاهر الآية الكريمة .

* ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وفي هذا دليل على أن النفقة، والكسوة، والمعاشرة، والمسكن، وكذلك الوطء، الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق. وأما مع الشرط فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً.

* وسياق الآيات يدل على أن المراد بها الحرة.

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

* في هذا مشروعية الخلع، إذا وجدت هذه الحكمة.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

* مفهوم الآية الكريمة، أنها إن لم يظن أن يقيما حدود الله، بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية، والعشرة السيئة

غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحا، لأن جميع الأمور، إن لم يقيم فيها أمر الله، ويسلك بها طاعته، لم يحل الإقدام عليها. وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور، خصوصا الولايات، الصغار، والكبار، نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها أقدم، وإلا أحجم.

* ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا من فضيلة أهل العلم، ما لا يخفى، لأن الله تعالى جعل تبيينه لحدوده، خاصا بهم، وأنهم المقصودون بذلك، وفيه أن الله تعالى يجب من عباده معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِئَةِ بَلْ يُؤَاخِذُكُمُ بِالْعَمَلِ الَّذِي أَنْتُمْ بِنَفْسِكُمْ تَعْمَلُونَ وَلِكُلِّ أَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿٢٣٩﴾
 فَالَّذِينَ يُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نَرْضَى
 أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ قَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣٩﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
 الطَّلُقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيمٌ عَلَيْهِمُ ﴿٢٣٩﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
 تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مَخَافَةَ اللَّهِ فِي أَنْفُسِهِنَّ
 إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي
 ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ الَّذِي عَلَىٰ عَنَتِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٩﴾ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ
 فِيمَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا
 مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
 فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
 بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا
 غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ
 يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ .

* في هذه الآية دليل على أنه لا بد من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء عن العضل، ولا ينهاهم إلا عن أمر هو تحت تدبيرهم، ولهم فيه حق.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا نُضَارُّ وَلَا يُولَدُ لَهُ يَوْلَادٌ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

* يؤخذ من هذا النص، ومن قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه يمكن وجود الولد بها.

* ودل هذا على أنها إذا كانت في حباله، لا يجب لها أجرة غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله، فلهذا قال: ﴿ لَا

تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئاً بالنفقة حتى يجد.

* ودل قوله: ﴿ مَوْلُودٌ لَهُ ﴾ أن الولد

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَتَّخِذْنَ مِنْكُمْ رِزْقَهُنَّ وَلَا تَحْزِنُوا فِيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوَعِّظُكُمْ بِهِ مَنْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَنْ لَكُمْ وَأَطْرَهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا نُضَارُّ وَلَا يُولَدُ لَهُ يَوْلَادٌ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

لأبيه، لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله، رضي أو لم يرض، بخلاف الأم.

* وقوله: ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾

أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب، وكان الطفل ليس له مال، مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة، فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين على القريب الوارث الموسر.

* ﴿ فَإِنْ أَرَادَا ﴾ أي: الأبوان ﴿ فَصَالَا ﴾

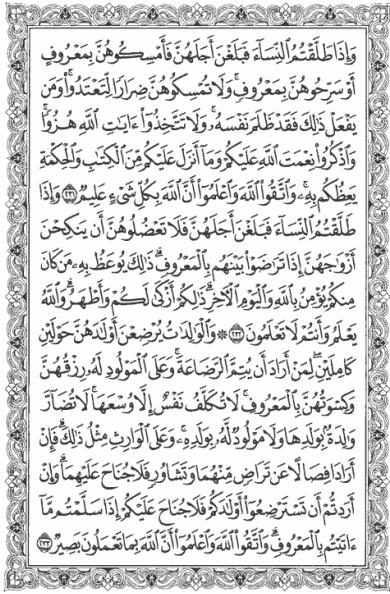
أي: فطام الصبي قبل الحولين.

* ﴿ عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا ﴾ بأن يكونا راضيين ﴿ وَتَشَاوُرٍ ﴾ فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا؟ فإن كان مصلحة ورضيا ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ في فطامه قبل الحولين، فدلَّت الآية بمفهومها على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز فطامه.

﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣٣٤)

* في هذا وجوب الإحداد مدة العدة، على المتوفى عنها زوجها، دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء.

* وفي خطابه للأولياء بقوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ دليل على أن الولي ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله، ويجبرها على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، ووجب عليه.



﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا
أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ .

* يدخل في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ تكميل الصلوات،
ويدخل فيه أيضاً الإكثار من ذكر الله شكراً له على نعمة الأمن، وعلى نعمة
التعليم لما فيه سعادة العبد .

* وفي الآية الكريمة فضيلة العلم، وأن
على من علمه الله ما لم يكن يعلم
الإكثار من ذكر الله .

* وفيه الإشعار أيضاً أن الإكثار من
ذكره سبب لتعليم علوم آخر، لأن
الشكر مقرون بالمزيد .

* وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة
على وقتها حيث أمر بذلك ولو مع

الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها
ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاحتها على تلك الصورة أحسن وأفضل، بل
أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت .

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٤٠) .

* والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل
تكميل الحول، فلو كان لزوم المسكن واجبا لم ينف الحرج عنهم .

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ
فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ
خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمَطْلَقَاتُ مَتَّعٌ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ بَيَّنَّ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُتَوَاتِرًا أَلْحَسِبُّ أَنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتُمُ النَّاسَ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَدْ تَلَوْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ
ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعِفَ آفَا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي تَلُونَ وَذُكُورًا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٤٣﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجًا لَّا أُرْسِلُ بِهَا قَادًا أَمِنْتُمْ فَأَذْنُكُمُ وَاللَّهُ كَمَا عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٤٤﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ يَبْتَغُونَ فَوْجًا مِّنْكَ وَيَؤْتُونَكَ نَاصِحًا وَصِيحَةً لَا تَرَوُهُمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْتَ فَكَادِحٌ عَلَيْكَ فِي مَا فَتَعَلْتَ فِي الْأَنْفُسِ هَوَتْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٥﴾ وَالْمُطَلَقَاتُ مَتَّعَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤٦﴾ كَذَلِكَ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ كَفَرُوا آيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

* في هذه القصة عبرة بأنه على كل شيء قدير، وذلك آية محسوسة على البعث.

* في هذه الآيات دليل على أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر، وخصوصاً الأسباب التي تتركها أوامر الله.

* وفيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعياناً في هذه الدار.

* وفيها: الأمر بالقتال والنفقة في سبيل

الله، وذكر الأسباب الداعية لذلك الحادثة عليه، من تسميته قرضاً، ومضاعفته، وأن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون.

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ

وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي
 مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ
 ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
 أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى
 وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾
 فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي
 وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً

الَّتِي لِيَ الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ
 قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يُنْزِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
 قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
 مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِ قُلُوبِنَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ
 نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
 قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
 بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
 وَاللَّهُ يُؤْتِي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾
 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
 التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
 تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا
 طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَم
 مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّادِئِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا

لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ
 اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا
 يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
 بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ
 اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾
 تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
 وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهُوا فِتْنَةَ
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّادِئِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
 بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَفَشَرُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا وَعَلَبَتْ فَتْنَةٌ كَثِيرَةً يَأْذِبُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلَمَّا بَرَرُوا لِبِحَاثِهِمْ وَجُنُودِهِمْ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾ فَهَرَمَ مِنْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَهَاتَمَهُ اللَّهُ الْمَلَأَتْهُ مِنَ الْمَلِكَةِ وَعَلَّمَهُهُ وَمَا يَسْتَلُوهُ وَلَوْلَا دَفَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِكَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦٨﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٩﴾

في هذه القصة عبر كثيرة للأمة :

* **منها:** فضيلة الجهاد في سبيله وفوائده وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين وحفظ الأوطان وحفظ الأبدان والأموال، وأن المجاهدين لو شقت عليهم الأمور فإن عواقبهم حميدة، كما أن الناكلين ولو استراحوا قليلاً فإنهم سيتعبون طويلاً .

* **ومنها:** الانتداب لرياسة من فيه كفاءة،

وأن الكفاءة ترجع إلى أمرين: إلى العلم الذي هو علم السياسة والتدبير، وإلى القوة التي ينفذ بها الحق، وأن من اجتمع فيه الأمران فهو أحق من غيره .

* **ومنها:** الاستدلال بهذه القصة على ما قاله العلماء أنه ينبغي للأمر للجيوش أن يتفقدوها عند فصولها، فمنع من لا يصلح للقتال من رجال وخيل وركاب لضعفه أو ضعف صبره أو لتخذيذه أو خوف الضرر بصحبته، فإن هذا القسم ضرر محض على الناس .

* **ومنها:** أنه ينبغي عند حضور البأس تقوية المجاهدين وتشجيعهم وحثهم على القوة الإيمانية، والاتكال الكامل على الله والاعتماد عليه، وسؤال الله التثبيت والإعانة على الصبر والنصر على الأعداء .

* **ومنها:** أن العزم على القتال والجهاد غير حقيقته، فقد يعزم الإنسان ولكن عند حضوره تنحل عزمته، ولهذا من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَسْأَلُكَ الثبات في الأمر، والعزيمة في الرشد» فهؤلاء الذين عزموا على القتال وأتوا

وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* ومنها: أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب،
والصابر من الجبان، وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط
وعدم التمييز.

* ومنها: أن من رحمته وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين
المقاتلين، وإنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَل
الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ
وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٢﴾ .

* في هذه الآية أكبر شاهد على أنه تعالى يتصرف في جميع الأسباب المقتضية

لمسبباتها، وأنه إن شاء أبقاها وإن
شاء منعها، وكل ذلك تبع لحكمته
وحده، فإنه فعال لما يريد، فليس
لإرادته ومشيئته مانع ولا معارض
ولا معاون .

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ .

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا الَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٥٢﴾ .

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ .

* يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء.

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ قَالَ كَم لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَل لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۗ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۗ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴾

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءَآوَىٰ إِلَهُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٩﴾ الذَّرِّيَّ الَّذِي حَاجَّ إِبرَهْمَ فِي رِيهٖ
أَنَّ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبرهْمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي ءَ وَأُمِيتُ قَالَ إِبرهْمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦٠﴾ أَوْ كَالَّذِي
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ
قَالَ كَم لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَل
لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۗ
وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ وَانظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ ۗ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦١﴾

* الظاهر من سياق الآية أن هذا رجل

منكر للبعث أراد الله به خيرا، وأن يجعله آية ودليلا للناس لثلاثة أوجه:

- أحدها قوله: ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ولو كان نبيا أو عبدا صالحا لم يقل ذلك.

- والثاني: أن الله أراه آية في طعامه وشرابه وحماره ونفسه ليراه بعينه فيقرر بما أنكره، ولم يذكر في الآية أن القرية المذكورة عمرت وعادت

إلى حالتها، ولا في السياق ما يدل على ذلك، ولا في ذلك كثير فائدة، ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى في قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟! وإنما الدليل الحقيقي في إحيائه وإحياء حماره وإبقاء طعامه وشرابه بحاله.

- والثالث في قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أي: تبين له أمر كان يجهله ويخفى عليه، فعلم بذلك صحة ما ذكرناه، والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُ تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

* فيه تنبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة الله وحكمته وعزته وسعة سلطانه وتما عدله وفضله .

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

* مفهوم الآية أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف

والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسدا لها محرما، لأن المنّة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، فالعبد لا يمنّ بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضا فإن المانّ مستعبد لمن يمنّ عليه، والذل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع مخلوقاته، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُ تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ غَلْبَهُ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ حَسْبُكَ ۗ مَنْ صَدَقَكَ بِشَيْءٍ مِّنْهُمَا فَادْتَمَرْتُمْ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَتَلَهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْبًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

ذكر الله أربع مراتب للإحسان :

- **المرتبة العليا** : النفقة الصادرة عن نية صالحة ولم يتبعها المنفق منا ولا أذى.
- **ثم يليها** قول المعروف، وهو الإحسان القولي بجميع وجوهه الذي فيه سرور المسلم، والاعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئاً، وغير ذلك من أقوال المعروف.
- **والثالثة** : الإحسان بالعمو والمغفرة عمن أساء إليك بقول أو فعل .
- وهذان أفضل من الرابعة وخير منها وهي : التي يتبعها المتصدق الأذى للمعطي لأنه كدر إحسانه، وفعل خيراً وشرأً، فالخير المحض وإن كان مفضولاً خير من الخير الذي يخالطه شر وإن كان فاضلاً، وفي هذا التحذير العظيم لمن يؤذي من تصدق عليه كما يفعله أهل اللؤم والحمق والجهل .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا

وَأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾

وَأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾

* في هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ وَلَا

بُطَلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴾ ﴿٣٦٣﴾ حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لتلا يضيع العمل سدى .

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١)

فائدة لطيفة :

* وهو أن إخفاءها خير من إظهارها إذا أعطيت الفقير، فأما إذا صرفت في مشروع خيري لم يكن في الآية ما يدل على فضيلة إخفائها، بل هنا قواعد الشرع تدل على مراعاة المصلحة، فربما يكون الإظهار خيراً لحصول الأسوة والافتداء، وتنشيط النفوس على أعمال الخير .

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧١﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٢﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبَدُّوا لَكُمْ مَا تَحْتَمِلُونَ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧٣﴾ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْعِقَابِ ﴿٢٧٤﴾ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْعِقَابِ ﴿٢٧٥﴾ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْعِقَابِ ﴿٢٧٦﴾ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْعِقَابِ ﴿٢٧٧﴾ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْعِقَابِ ﴿٢٧٨﴾ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْعِقَابِ ﴿٢٧٩﴾ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْعِقَابِ ﴿٢٨٠﴾

* ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ في هذا أن الصدقات يجتمع فيها امران:

- حصول الخير وهو كثرة الحسنات والثواب والأجر .
- ودفع الشر والبلاء الدنيوي والأخروي بتكفير السيئات .

* في هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيراً من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار .

* ودل قوله: ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطي محتاجاً وغيره أحوج منه .

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَئِنَّكُمْ لَمِنْ كٰفِرٍ أَعْتَدَ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَقُوا نُومًا تَجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

* دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

* ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧٥﴾ في هذا أن الربا موجب لدخول النار، والخلود فيها، وذلك لشناعته، ما لم يمنع من الخلود مانع الإيمان، وهذا من جملة الأحكام التي تتوقف على وجود شروطها وانتفاء موانعها، وليس فيها

حجة للخوارج كغيرها من آيات الوعيد، فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنة، فيؤمن العبد بما تواترت به النصوص من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من الإيمان من النار، ومن استحقاق هذه الموبات لدخول النار إن لم يتب منها.

* ومفهوم الآية أن الله يجب من كان شكوراً على النعماء تائباً من المآثم والذنوب.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

* **الثاني والثالث** أنه لا بد للسلم من أجل، وأنه لا بد أن يكون معيناً معلوماً فلا يصح حالاً، ولا إلى أجل مجهول .

* **الرابع**: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوباً، وإما استحباباً لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم.

* **الخامس**: أمر الكاتب أن يكتب .

* **السادس**: أن يكون عدلاً في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته .

* **السابع**: أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقراءة أو صداقة أو غير ذلك .

* **الثامن**: أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثيق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ .

* **التاسع**: أنه إذا وجدت وثيقة بخط المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها، ولو كان هو والشهود قد ماتوا .

* **العاشر**: قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ أي: لا يمتنع من من الله عليه بتعليمه الكتابة أن يكتب بين المتدائنين، فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا يمتنع من الكتابة لهم .

* **الحادي عشر**: أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق .

* **الثاني عشر**: أن الذي يملي من المتعاقدين من عليه الدين .

- * **الثالث عشر:** أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخس منه شيئاً .
- * **الرابع عشر:** أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجهه ومضمونه، وهو ما أقر به على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطا أو سهوا .
- * **الخامس عشر:** أن من عليه حقا من الحقوق التي البينة على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق، لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه، إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق وصفته .
- * **السادس عشر:** أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس وينقص شيئاً من مقداره، أو طيبه وحسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولو احقه .
- * **السابع عشر:** أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في الإملاء والإقرار .
- * **الثامن عشر:** أنه يلزم الولي من العدل ما يلزم من عليه الحق من العدل، وعدم البخس لقوله ﴿ **بِالْعَدْلِ** ﴾ .
- * **التاسع عشر:** أنه يشترط عدالة الولي، لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق .
- * **العشرون:** ثبوت الولاية في الأموال .
- * **الحادي والعشرون:** أن الحق يكون على الصغير والسفيه والمجنون والضعيف، لا على وليهم .
- * **الثاني والعشرون:** أن إقرار الصغير والسفيه والمجنون والمعتوه ونحوهم وتصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإملاء لوليهم، ولم يجعل لهم منه شيئاً

لطفاً بهم ورحمة، خوفاً من تلاف أموالهم.

* **الثالث والعشرون:** صحة تصرف الولي في مال من ذكر.

* **الرابع والعشرون:** فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوثق بها المتدانيون كل واحد من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثق والعدل، وما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع.

* **الخامس والعشرون:** أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية، لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم.

* **السادس والعشرون:** أنه مأمور بالإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن المقصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين. نعم؛ إن كان المتصرف ولي يتيماً أو وقف ونحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي به يحفظ الحق واجباً.

* **السابع والعشرون:** أن نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان، أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضاً أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي.

* **الثامن والعشرون:** أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل.

* **التاسع والعشرون:** أن شهادة النساء منفردات في الأموال ونحوها لا تقبل، لأن الله لم يقبلهن إلا مع الرجل، وقد يقال: إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها وهي موجودة سواء كن مع رجل أو منفردات، والله أعلم.

* **الثلاثون:** أن شهادة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا

شَهِيدِينَ مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ والعبد البالغ من رجالنا.

- * **الحادي والثلاثون:** أن شهادة الكفار ذكورا كانوا أو نساء غير مقبولة، لأنهم ليسوا منا، ولأن مبنى الشهادة على العدالة وهو غير عدل.
- * **الثاني والثلاثون:** فيه فضيلة الرجل على المرأة، وأن الواحد في مقابلة المرأتين لقوة حفظه ونقص حفظها.
- * **الثالث والثلاثون:** أن من نسي شهادته ثم ذكَّرها فذكر، فشهادته مقبولة لقوله: ﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ .
- * **الرابع والثلاثون:** يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب،
- * **الخامس والثلاثون:** أنه يجب على الشاهد إذا دعي للشهادة وهو غير معذور، ولا يجوز له أن يأبى لقوله: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ .
- * **السادس والثلاثون:** أن من لم يتصف بصفة الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها ولأنه ليس من الشهداء.
- * **السابع والثلاثون:** النهي عن السامة والضجر من كتابة الديون كلها من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقد من الشروط والقيود.
- * **الثامن والثلاثون:** بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العقود، وأنه ﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من الشك والريب والتنازع والتشاجر.
- * **التاسع والثلاثون:** يؤخذ من ذلك أن من اشتبه وشك في شهادته لم يجوز له الإقدام عليها بل لا بد من اليقين.

* الأربعون: قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ فيه الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرا بحاضر، لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة.

* الحادي والأربعون: أنه وإن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع الإشهاد لقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

* الثاني والأربعون: النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه.

* الثالث والأربعون: النهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك، هذا على جعل قوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ مبنياً للمجهول، وأما على جعلها مبنياً للفاعل ففيه نهي الشاهد والكاتب أن يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجره شاقة ونحو ذلك.

* وهذان هما الرابع والأربعون والخامس والأربعون والسادس والأربعون أن ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله: ﴿وَإِنْ تَفَعَّلُوا فِإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

* السابع والأربعون: أن الأوصاف كالفسق والإيمان والنفاق والعداوة والولاية ونحو ذلك تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، وكذلك مادة إيمان وكفر لقوله: ﴿فِإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ ولم يقل: فأنتم فاسقون أو فساق.

* الثامن والأربعون - وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه - : اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ﴿مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

* **التاسع والأربعون:** أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته.

* **الخمسون:** يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى.

فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، والله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَيُودِ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَإِثْمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٣)

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَيُودِ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَإِثْمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٣)

﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَنْ يَبْدُ وَءَامَانَ أَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ فِيهَا يُخَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٨٤)

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَعْرَفْنَا أَنْتَ اللَّهُ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥)

﴿ اللَّهُ نَفْسًا إِنْشَأَهَا مِنْ نَارٍ وَأَمَّا كَلِمَاتُهَا فَتَنْسِفُ النَّارَ وَأَنْتَ إِذْ أَنْزَلْتَنَا نُزُلًا وَأَنْزَلْنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا لَمُنزِلُونَ ﴾ (٢٨٦)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٨٧)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٨٨)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٨٩)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٠)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩١)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٢)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٣)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٤)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٥)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٦)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٧)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٨)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٢٩٩)

﴿ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نُحِبُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ عِندِنَا مِنْ عِزٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٣٠٠)

* دل هذا على أن الرهن غير المقبوضة لا يحصل منها التوثق، ودل أيضا على أن الراهن والمرتهن لو اختلفا في قدر ما رهنه به، كان القول قول المرتهن، ووجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضا عن الكتابة في توثق صاحب الحق، فلولا أن قول المرتهن مقبول في قدر الذي رهنه به لم يحصل المعنى المقصود، ولما كان المقصود بالرهن

التوثق جاز حضرا وسفرا، وإنما نص الله على السفر، لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه، هذا كله إذا كان صاحب الحق يجب أن يتوثق لحقه، فما كان صاحب الحق آمنا من غريمه وأحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملا غير ظالم له ولا باخس حقه .

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣٨٥)

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْكُمْ بَعْضٌ مِمَّنْ أَتَىٰهُ الَّذِي الَّذِي أُوْتِيَ مِنْ آيَاتِنَا فَلْيُحَدِّثْ إِلَىٰ مَا يُلَاقِيهِ مِنْ آيَاتِنَا وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿٣٨٥﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا أَمْفَاقًا أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ بِحَسَبِ عَهْدِكُمْ بِهِ اللَّهُ يَخْتِزُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨٥﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أُوْتِعَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَاعْفُ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٥﴾

* في قرن المؤمنين بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإخبار عنهم جميعاً بخبر واحد شرف عظيم للمؤمنين، وفيه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشارك في الأمة في توجه الخطاب الشرعي له وقيامه التام به وأنه فاق المؤمنين، بل فاق جميع المرسلين في القيام بالإيمان وحقوقه .

﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أُوْتِعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَاعْفُ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٨٦)

* في الإتيان بـ «كسب» في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب، وأتى بـ «اكتسب» في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله ويحصل سعيه .

* ويؤخذ من هذا قاعدة التيسير، ونفي الحرج في أمور الدين كلها، وقاعدة العفو عند النسيان والخطأ في العبادات وفي حقوق الله تعالى، وكذلك في حقوق الخلق من جهة رفع المأثم وتوجيهه الدم. وأما وجوب ضمان المتلفات خطأ أو



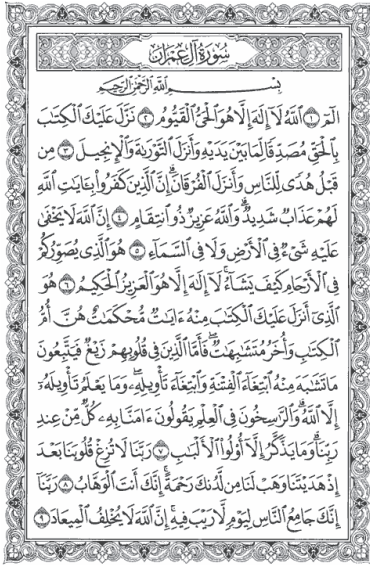
نسياناً في النفوس والأموال فإنه مرتب على الإيتلاف بغير الحق، وذلك شامل
لحالة الخطأ والنسيان والعمد .



سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

✽ سورة آل عمران (مدنية).

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ ﴾



* في هذا دليل على أن هذا من علامة أولي الألباب، وأن اتباع المتشابه من أوصاف أهل الآراء السقيمة والعقول الواهية والقصود السيئة.

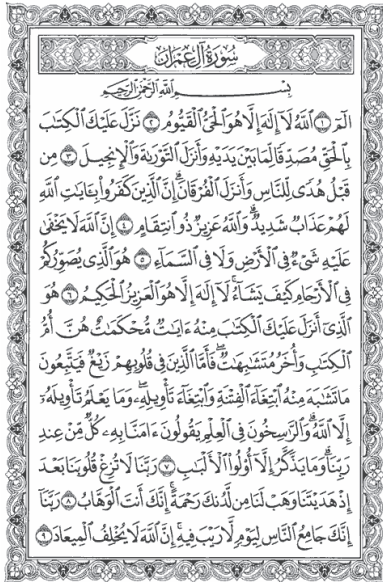
وقد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد:

- إحداهما: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه.
- الثانية: الرسوخ في العلم، وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالماً محققاً، وعارفاً مدققاً، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علماً وحالاً وعملاً.
- الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه ورد لمتشابهه إلى محكمه، بقوله ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

- الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون.
- الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.
- السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب.
- السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨)

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (٩).



* ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ هذه الآية تصلح

مثالاً للطريقة التي يتعين سلوكها في المشابهات، وذلك أن الله تعالى ذكر عن الراسخين أنهم يسألونه أن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، وقد أخبر في آيات أخر الأسباب التي تزيغ قلوب أهل الانحراف أن ذلك بسبب كسبهم كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

زَاعُوا أَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]،

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]، ﴿وَنَقَلْبُ أَعْدَتِهِمْ

وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فالعبد إذا تولى عن

ربه، ووالى عدوه، ورأى الحق فصدف عنه، ورأى الباطل فاختره، ولاه الله

ما تولى لنفسه، وأزاع قلبه عقوبة له في زيغته، وما ظلمه الله ولكنه ظلم نفسه، فلا يلم إلا نفسه الأمانة بالسوء .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَزْوَاجَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقَوْمُهُمْ لَكَ أَعْيُنٌ عَائِلَةٌ
يُرِيدُونَهُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاغْتَبَاهُ اللَّهُ
يَذُوبُهُمْ وَاللَّهُ سَدِيدٌ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
سَعْتٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
وَيْسَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ فِي فِتْنَتَيْنِ اتَّقُوا اللَّهَ
فَتَقْبِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْآخِرَىٰ كَأَفْوَءٍ يَرَوْنَهَا فَمَا يَنْبَغِي
لَهُمْ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مِنْ يَسَاءِ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ
لَمَرَّةً لِأُولَىٰ الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ذُنُوبَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ
مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ
أَنْزَيْتُكُمْ بِحَبْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّتْ خَجْرًا مِنْ حَتَّىٰ أَهْلَ الْآخِرَةِ خَلِيدِينَ فِيهَا أَوْلَادٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

المؤمن

* في هذا إشارة للمؤمنين بالنصر والغلبة، وتحذير للكفار، وقد وقع كما أخبر تعالى، فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين واليهود والنصارى، وسيفعل هذا تعالى بعباده وجنده المؤمنين إلى يوم القيامة، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحس والعيان.

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ ﴾

* في هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترين، بها وتزهد لأهل العقول النيرة بها، وتام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلك المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأثمار الجارية على حسب مرادهم، والأزواج المطهرة من كل قدر وذنس وعيب ظاهر وباطن،

- ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته.
- ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن تركيتهم وتعديلهم، وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦١)

أَزْتَرَىٰ الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيحَاتِهِمْ مِنَ الْمَكْتَبِ بِدَعْوَانِ إِيَّاكَ كَتَبْتُ
 اللَّهُ لِي فِي كِتَابِهِمْ قُرْآنِي فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦١﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّ السَّارَ إِلَّا مَا نَعْتَدُ وَرَبِّي
 وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ
 لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَرُفِعَتِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن
 تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٤﴾ تُولِيعُ الْبَيْتِ
 فِي النَّهَارِ وَتُولِيعُ النَّهَارِ فِي الْبَيْتِ وَتَخْرِجُ الْعَبْدَ مِنَ الْعَبِيدِ
 وَتَخْرِجُ الْعَبِيدَ مِنَ الْعَبْدِ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٥﴾
 لَا يَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقَاتَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْعَصِيمُ ﴿٦٦﴾ قُلِ
 إِن تَتَّقُوا مَا فِي الضُّلُوعِ وَأُولَئِكَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَعِلْمُهُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٧﴾

* ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ

مِمَّن تَشَاءُ﴾ فيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقيصرة ومن تبعهم ويؤتيه أمة محمد، وقد فعل والله الحمد، فحصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها بمشيئة الله، لا يوجد سبب مستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر .

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨)

* في هذه الآية دليل على الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصدقاتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين.

﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)

* فيه إرشاد إلى تطهير القلوب، واستحضار علم الله كل وقت فيستحيي العبد من ربه أن يرى قلبه محلاً لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله.

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١)

* هذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢)

* كأن في هذه الآية الكريمة بياناً وتفسيراً لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله

يَوْمَ يُحْصَى كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ عَمَلٍ مُخْتَصِرًا وَمَاعَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ قَوْلًا أَوْ بَيْنَةً أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا أَعْبَادًا وَيَحْذَرُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْلَفُكُمْ وَأَدْرَكَ لَوْلُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عَمْرَةَ عَلَى الْقَمَيْمِينَ ﴾ ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ إِلَّا لِرِجَالٍ وَنَافِي سَمِيَّتُهَا مَرْيَمُ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَ هَارِزَاتِهَا قَائِلًا نَذَمَرًا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿

وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَهُ وَمَا عَمِرَانُ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
وَضَعْتُهَا أَنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ
وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا
رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

يَوْمَ تَجُودُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَلَيْتَ مِنْ خَيْرٍ مُخْفَرًا وَمَا عَلَيْتَ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْلَآ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ أَمَامًا أَعْبَادًا وَيُحَدِّثُكَ اللَّهُ
نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ زَاهِدٌ بِالْبَسَادِ ﴿٣٤﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الضَّالِّينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
وَمَا عَمِرَانُ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٠﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾

* دل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما. ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبههم ونقتدي بهم.

* ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دلالة على تفضيل الذكر على الأنثى، وعلى التسمية وقت

الولادة، وعلى أن للأُم تسمية الولد إذا لم يكره الأب.

* في هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافا لمن نفى ذلك.

* ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ فيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحراها .

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٥٠﴾

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥١﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ ذَلِكَ
اللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٢﴾
وَمِمَّنْهُ الْأَسْكَنْتَ لِلْمَكْنَمَةِ وَالْقُرْآنَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٥٣﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ تَبِيٍّ إِسْرَائِيلَ أَنَّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ
رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِن كُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِجْلَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

* ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ دل ذلك على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمماً لها ومقراً .

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾

* ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ في هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره

عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه عبد مدبر مخلوق، كما قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَأَتَلْنِي الْكِبَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٣٠﴾ [مریم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ءَأَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧] .

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾

فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿٥٥﴾

* في هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه حقيقة، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول والإيمان والتسليم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

* ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم

من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات محضراً موفراً، فيعطي منهم كل عامل أجر عمله، ويزيدهم من فضله وكرمه .

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

* في هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة

شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق، وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فَمَاذَا

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّعْنَاكَ الرَّسُولَ فَاكُنْ مِنَّا مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ
﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ إِنِّي مُنَزِّلُكَ بِرُوحِي إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ تَوْفَىٰ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ لَمْ نَجْعَلْ لَكَ فَخْرًا
بَيْنَ كَوْمَ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَأَعْدِبْهُمْ كَمَا تُرِيدُ يَا سَيِّدُ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِنَ قَاصِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ نَتَلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٦٠﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيمَا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا
نَذْكُرْ آيَاتِنَا وَتَأْتِينَا بِعُرْسَاتِنَا أَنتُمْ وَآفُسَاتِنَا
وَأَنْفُسُكُمْ ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِمْ فَنَجَعَلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْكُذِبِ



بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴿يونس: ٣٢﴾ وهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُمُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ فَإِنْ قَوْلُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ قَوْلُوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤُلَاءِ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَذَاتَ ظُلُمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَوَضُّعُوا لَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٢﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِمَا آتَيْتِ اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٣﴾

* اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه.

* وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ.

* وفيها دليل على أنه لا يحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له به.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾

إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰلسِقُونَ ﴿٨٢﴾

* هذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قرره تعالى ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا﴾ أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وعلى أممكم بذلك، قال: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴿فَأُولَئِكَ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰلسِقُونَ﴾ فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* وفي هذا إقامة الحجة والبرهان على من لم يؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الكتاب والأديان، وأنه لا يمكنهم الإيمان برسلمهم الذين يزعمون أنهم أتباعهم حتى يؤمنوا بإمامهم وخاتمهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٩٢﴾

* دلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك.

لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

قَالَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ جَلًا لَيْسَتْ إِسْرَافِيَّةٌ بَلْ إِلَىٰ مَا حَرََّمِ إِسْرَافِيَّةٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْقُرْآنُ فَلْيَأْتُوا بِالْقُرْآنِ قَدْ نَالُوا مَا كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَإِذْهَبْ حَيْفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ تَتَّخِذُهَا حُجًّا وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَمِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

﴿ فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ۞ .

* هذا من أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ، وقيام الآيات
البيانات المتنوعات على صدقه وصدق من نبأه وأخبره بها أخبره به من الأمور
التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها .

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ۞ .

* أمرهم باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد، وترك الشرك الذي
هو مدار السعادة، وبتركة حصول الشقاوة. وفي هذا دليل على أن اليهود
وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم مشركون غير موحدين .

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمِ
بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ۞ .

وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴿١٠١﴾ يتأها الذين آمنوا أنفقوا الله حق نقايبه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴿١٠٢﴾ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴿١٠٣﴾ ولئن شكرتم لأزيدنكم والله لذو فضل على العالمين ﴿١٠٤﴾ ولئن كفرتم إن عذابي لشاسية ﴿١٠٥﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١٠٦﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١٠٧﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١٠٨﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١٠٩﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٠﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١١﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٢﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٣﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٤﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٥﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٦﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٧﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٨﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١١٩﴾ ولئن سئرت من القبلى لآتيتنكم ﴿١٢٠﴾

* هذا فيه الحث على الاعتصام به، وأنه
السييل إلى السلامة والهداية .

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ۗ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ ۞ .

* في هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه. وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

* ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ وفي هذا من دعوتهم بلطف الخطاب ما يدعوهم إلى الإيثار.

﴿ هَآئِنْتُمْ ءَآوِلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٨﴾
 مَثَلُ مَا يُغْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٩﴾ تَبَايَهَى الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَأَن تَلُوْنَهُمْ حَتَّىٰ لَا يُدْرُوا مَا عَصَىٰ رَبُّهُمُ فَذَاتَ الْبَغْضَاءِ مِنكُمْ هُمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ كَبُرَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَاتُ إِن كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ ﴿١٢٠﴾ هَآئِنْتُمْ ءَآوِلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢١﴾ إِن تَمَسَّ سَكْرٌ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِن تُصِيبَكَ سَيِّئَةٌ يَتَرَسَّحُوا بِهَا وَإِن تَضَرُّوا وَمَاتُوا لَا يَضُرُّكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُخِيطٌ ﴿١٢٢﴾ وَإِذَا عَدَّوْتُمْ أَهْلَكَ نُبُوْتِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعِدٌ لِّقِتَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ ﴿١٢٣﴾

* ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١١٩﴾ وهذا فيه بشارة للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا ضرركم لا يضررون إلا أنفسهم، وإن غيظهم لا يقدرتون على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فيستقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة.

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٢)

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَضْحَكُوا مِنْكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِكُمُ الْبَلَاءَ الْفَرِيقَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَزْبُورِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ نَصْرَ رَبِّكُمْ أَتَىٰ قُرْآنًا فَتَقْوُوا لِلَّهِ فَإِنَّهُ هَذَا يَمْدُدُ بِكُم بِخَمْسَةِ الْفَرِيقِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَ غُرْمًا فَتَتَوَلَّوْا أَعْقَابًا بِئْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنِ بَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَزُورٌ ذُو جَسَدٍ ﴿١٢٩﴾ بَنَاتُهَا الْأَيْتُ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُ أَرْبَابًا ضَعُفًا مُّضْعَفَةً وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٣٠﴾ وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

* في هذه الآية ونحوها وجوب التوكل، وأنه على حسب إيمان العبد يكون توكله، والتوكل : هو اعتماد العبد على ربه في حصول منافعه ودفع مضاره .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١٢٦)

* في هذا أن الأسباب لا يعتمد عليها العبد، بل يعتمد على الله، وإنما الأسباب وتوافرها فيها طمأنينة للقلوب، وثبات على الخير .

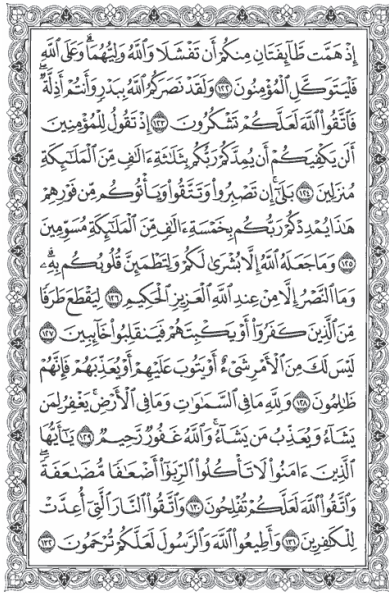
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٢٨)

* في هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئاً وتكون الخيرة والمصلحة في غيره. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى، ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له، ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا هو الضلال البعيد،

* وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سببا موجبا لذلك، ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق

سبب من العبد ولا وسيلة. ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال: ﴿ **أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ ليدل

ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه .



﴿ **وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ ١١٩

* ﴿ **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ فيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق، وأن منهم من يغفر الله له ومنهم

من يعذبه، فلم يختمها باسمين أحدهما دال على الرحمة، والثاني دال على النقمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة، فله تعالى رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها وصف.

﴿ **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ ١٢٠ ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ ١٢١ ﴿ **وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ ١٢٢

* في قوله: ﴿ **أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً** ﴾ تنبيه على شدة شناعته بكثرتة، وتنبيه لحكمة تحريمه، وأن تحريم الربا حكمته أن الله منع منه لما فيه من الظلم. وذلك أن الله أوجب إنظار المعسر، وبقاء ما في ذمته من غير زيادة، فالزامة بما فوق ذلك

ظلم متضاعف، فيتعين على المؤمن المتقي تركه وعدم قربانه، لأن تركه من موجبات التقوى، والفلاح متوقف على التقوى، فهذا قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠).

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ دَكَرُوا وَاللَّهُ فَاسْتَغْفِرُوا لِدُنُوهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

* هذه الآيات الكريمة من أدلة أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافاً للمرجئة،

ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي في سورة الحديد، نظير هذه الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١] فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسوله، وهنا قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ثم وصف المتقين بهذه الأعمال المالية والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون.

في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم.

* وفي هذه الآية أيضاً أعظم دليل على فضيلة الصديق الأكبر أبي بكر، وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهم هم سادات الشاكرين.

﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ١٥٩

وَلَيْنَ مُشْرُوفًا لِّئَلَّا يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ۚ

* ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فإن في الاستشارة

من الفوائد والمصالح الدينية والدينية ما لا يمكن حصره:

- منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله.

- ومنها: أن فيها تسميحاً لخواطيرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند

الحوادث، فإن من له الأمر على الناس - إذا جمع أهل الرأي والفضل،

وشاورهم في حادثة من الحوادث - اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبدلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن

أطاعوه فطاعة غير تامة.

- **ومنها:** أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيها وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

- **ومنها:** ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو أكمل الناس عقلاً، وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً: **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** فكيف بغيره!؟

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ (١١٠)

* في ضمن ذلك الأمر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة.

* وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله.

وَمَا أَصْبَحُوا بِيَوْمِ التَّغْيِ الْجُمُعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهُ وَلِيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١١٠﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا
 أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَيْفَ كَسَبُوا ﴿١١١﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِسْرَائِيلِيَّةِ وَقَدْ دَا
 لُوا أَطَاعُوا مَا قَالُوا فَأَدْرَاهُ أَفَلَّادُهُمْ أَفْسَدُ الْمَوْتِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٣﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
 مِنْ خَلْفِهِمْ أَلْخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
 بِنِعْمَةِ فِرْعَانَ وَاللَّهُ وَفَضَّلَ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أُولَئِكَ أَجْرُهُمْ عِظِيمٌ ﴿١١٦﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ الْبَشَرُ فَقَدْ أَجْمَعُوا كُفْرًا فَنَسُوهُ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١١٧﴾

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قَاتِلُوا
 لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ
 مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (١١٧)

* يستدل بهذه الآية على قاعدة «ارتكاب أخف المفسدين لدفع أعلاهما، وفعل أدنى المصلحتين للعجز عن أعلاهما»؛

لأن المنافقين أمروا أن يقاتلوا للدين، فإن لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والأوطان .

* وفي هذه الآيات دليل على أن العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ .

* في ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

* وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا .

فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شَيْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٩﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ هُوَ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾ وَلَا يَحْزَنُوا الَّذِينَ يَسْتَبْشِرُونَ فِي الْكُفْرَانِ أَنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ الْأَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْأُخْرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آسَأُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يُمْلِكُونَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خِيَرَةٌ لِنَفْسِهِمْ إِذْ تَمَثَّلَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَوَلَّهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٣﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَنَزَّلَ عَلَى الْقَوْمِ عَلَى مَا أَسْأَرُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَمُوتَ الْكَلْبُ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يُظْلِمَ كُفْرًا عَلَى الْعَقِيبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَمَا تَتْلُوا لِلَّهِ وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيْكُمْ أَيْمَانُ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمَنْ بَلَّ هُوَ خَيْرٌ لِمَنْ سَطَّ وَفُونَ مَا يَخْلُوعُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ وَبَرُّهُ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِينَ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٧٤﴾

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ هُوَ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ .

* في هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمَنْ بَلَّ هُوَ شَرٌّ لِمَنْ سَطَّ ﴾

سَيَطُوفُونَ مَا بِجَلُوبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَيْرٌ ﴿١٨٠﴾

* تأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي، الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه الله. أخبر أولاً: أن الذي عنده وفي يده فضل من الله ونعمة، ليس ملكا للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه لم يصل إليه منه شيء، فمنعه لذلك منع لفضل الله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبده كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، فمن تحقق أن ما بيده فضل من الله، لم يمنع الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات.

* ثم ذكر ثانياً: أن هذا الذي بيد العباد كلها ترجع إلى الله، ويرثها تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك.

* ثم ذكر ثالثاً: السبب الجزائي، فقال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ فإذا كان

خيراً بأعمالكم جميعها - ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على الخيرات، والعقوبات على الشر - لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يجزى به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ آيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ الْأَتَمُونَ لِلرُّسُولِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ قُلْتُمْ فَلِمَ قَاتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٢﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءَهُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٣﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَدْ رُحِّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٤﴾ لَسْتُمْ بِلُؤْلُؤٍ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَلَا تُنْفَعُونَ النَّاسَ شَيْئاً وَلَسْتُمْ مَعْرُوفِينَ ﴿١٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٨٦﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ السَّمَاءَ بِحُجْرٍ حَرِيرًا يَلْفُوفًا فَيَسْفِطُهَا عَلَى الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَذِيبٌ ﴿١٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ السَّمَاءَ بِحُجْرٍ حَرِيرًا يَلْفُوفًا فَيَسْفِطُهَا عَلَى الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَذِيبٌ ﴿١٨٨﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ السَّمَاءَ بِحُجْرٍ حَرِيرًا يَلْفُوفًا فَيَسْفِطُهَا عَلَى الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَذِيبٌ ﴿١٨٩﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ السَّمَاءَ بِحُجْرٍ حَرِيرًا يَلْفُوفًا فَيَسْفِطُهَا عَلَى الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَذِيبٌ ﴿١٩٠﴾

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ

ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

* ﴿وَقَتْلَهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ هذا القيد يراد به أنهم تجرؤوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلا وضلالا، بل تمرداً وعناداً.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِندَ الْبَيْتِ الْأَيْمَنِ لِرَسُولٍ حَقٌّ يَا أَيُّهَا الْفَرِيقَانِ تَأْكُلُهَا النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْتُم مِّن قَبْلِهِمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِأَعْمَلِهَا نَازِلَةٌ وَأَنَّمَا تُؤْتُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ عَرُورٍ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَلَتَكُونُنَّ أَهْلًا لِّذِكْرٍ يُخَالِفُ بِهِ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ لِيُنذِرَ لِقَوْمٍ يُكَفِّرُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ عَرُورٍ﴾ ﴿١٨٥﴾

* في هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أي: توفية الأعمال التامة، إنها يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَلَتَكُونُنَّ أَهْلًا لِّذِكْرٍ يُخَالِفُ بِهِ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ لِيُنذِرَ لِقَوْمٍ يُكَفِّرُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾

في إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد:

- **منها:** أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، لتمييز المؤمن الصادق من غيره.
- **ومنها:** أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريد بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، ويزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر ﴿ **قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٢].
- **ومنها:** أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجؤون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: ﴿ **وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا** ﴾.

﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاؤُا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [١٨٨].

* دلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويشنى عليه بها فعله من الخير

واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي**

الْآخِرِينَ

﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال: ﴿ **سَلِّمْ عَلَيَّ نَوْجٍ فِي الْعَالَمِينَ** ﴾ [٧١] **إِنَّا كَذَلِكَ**

وَأَعَدَّ اللَّهُ مِثْقَالَ الذَّرَّةِ أَوْ ذُو الْأَكْسَبِ لَتَسْبِيحَتِهِ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُورُهُ، فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ، فَمَنَّا قَلِيلًا قَلِيلًا مَائِدَةً رَوَتْ ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاؤُا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَخْيَالِ الْآيَاتِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ لَأَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ قِيَامًا وَعَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْوِيلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿ **رَبَّنَا إِنَّا أَسْمَعُكَ مَنَادًا يَأْتِي أَوَّلَ الْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكَ كَرِهًا مَغْبُوتًا رَبَّنَا فَأَغْرَيْنَا فُؤُوسَنَا وَكَفَّرْنَا عَنْهَا سَيِّئَاتِنَا وَأَوْفَقْنَا لَمَعَ الْأَنْجَارِ** ﴾ رَبَّنَا وَءَاتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿

نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ [الصفات : ٧٩-٨٠]، وقد قال عباد الرحمن: ﴿وَجَعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] وهي من نعم الباري على عبده، ومننه
التي تحتاج إلى الشكر.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾﴾
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ
مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا
يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا
وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا
تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾﴾.

وَإِذْ أَعَدَّ اللَّهُ يَمِينَهُ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ لَشَيْئَانِهِ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْفُرُونَ، فَسَبَّوهُ وَوَلَّهُ ظُهُورَهُمْ وَأَشْرَقُوا بِهِ، فَسَبَّوهُ
قَلِيلًا قَلِيلًا مَا يَشْعُرُونَ ﴿١١٠﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَوْا وَجُحُوبًا أَنْ يُخْزَمُوا أَيْمَانَهُمْ يَقْعَلُوا قَلِيلًا فَتَحْسَبَنَّهُمْ
بِعَمَارَاتٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾

* أبهم قوله: ﴿آيات﴾ ولم يقل: «على
المطلب الفلاني» إشارة لكثرتها وعمومها،
وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما
يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب
أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على
جميع المطالب الإلهية.

* ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
أي: ليستدلوا بها على المقصود منها،

ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا
بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثًا.

* ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب

النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم.

* ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ فيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.

* ﴿ فَآمَنَّا ﴾ أي: أجبناه بمبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات .



سُورَةُ النِّسَاءِ

سورة النساء (مدنية) ❁

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

* في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات

والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات

من الأزواج، فينبههم وبينهن أقرب

نسب، وأشد اتصال، وأقرب علاقة.

﴿وَأَنْتُمْ أَلْيَنُكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيْثُ

بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ

حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

* ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ فيه

تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة، التي

قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له

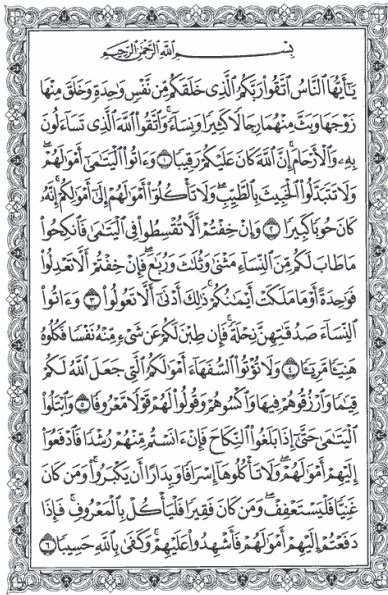
من الرزق في ماله، فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى ﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾.

* وفيه الولاية على اليتيم، لأن من لازم إيتاء اليتيم ماله ثبوت ولاية المؤتي على

ماله.

* وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه والقيام به بما يصلحه

وينمي، وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار.



﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِ وَتِلْكَ وَرِيعٌ ﴿٢﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَعَدَكُمْ بِهَا
زَوْجَهَا وَيَسِّرْ لَكُمْ أَسْرَارَ الْبَيْتِ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَنْصَارَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتِمُّ أَمْرَ لَهْمَةٍ
وَلَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَمْوَالَهُمْ لِيُرْسِلُوهَا إِلَى اللَّهِ
كَانَ حُجُبًا كَثِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَانكِحُوا
مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِ وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنَيْئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى الْبَيْتِ أَمْوَالِكُمْ أَلَيْسَ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ
شَيْءٍ آذَانًا مَرْفُوعًا وَأَكْثَرُهُمْ فِيهَا أَكْثَرُهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَأَتَى
الْبَيْتَ حَقًّا إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ الْأَنْسَاءَ مِنْهُنَّ رُشِدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُنَّ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ
عَيْنًا فَلْيَسْتَعْتِفْ وَمَنْ كَانَ قَدِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُنَّ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ وَكُنَّ بِأَلْفِ حَسْبَتِنَا ﴿٦﴾

* في هذه الآية أنه ينبغي للإنسان أن يختار قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى مَنْ يريد تزوجها ليكون على بصيرة من أمره.

* ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ ﴿٣﴾ في هذا أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف منه الجور والظلم، وعدم القيام بالواجب -ولو كان مباحًا- أنه لا ينبغي له أن

يتعرض له، بل يلزم السعة والعافية، فإن العافية خير ما أعطي العبد.

* وفيه أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، لأنه أضافه إليها، والإضافة تقتضي التمليك.

* وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها - ولو بالتبرع - إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء غير ما طابت به.

* وفي قوله: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ دليل على أن نكاح الخبيثة غير مأمور به، بل منهي عنه كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال: ﴿ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: ٣].



﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ذِكْرَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَوَعَدَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِي نَسَا عَنْهُ يُبَدِّلُهَا وَأَلْزَمَهُ إِنْ كَانَتْ عَالِيَةً كَرِيمًا ﴿٥٠﴾ وَأُولَئِكَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَنْبَأُكَ الْغَيْبَاتُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي كَانَتْ حُجًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِنْتُمْ وَتِلْكَ وَرِثَةٌ لَكُمْ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فَوَيْدَةَ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَى الْأَعْمَى ﴿٥٣﴾ وَأُولَئِكَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَذَكِّرْهُمْ بِذَلِكَ فَهَلْ يَرَوْنَ حَسْرَةً فِي مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥٥﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ آنَسَهُمْ مِنْهُ رُسُلًا فَادْعُوهُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِيفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٥٦﴾



* في إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم، من الحفظ والتصرف، وعدم التعريض للأخطار.
 * وفي الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم، إذا كان لهم مال، لقوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ .

* وفيه دليل على أن قول الولي مقبول فيما يديه من النفقة الممكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمنا على مالهم فلزم قبول قول الأمين.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ .

* يؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين» أو كما قال.

* وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - إذا بدأت باكورة أشجارهم - أتوا بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبرك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك، علما منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك - لكونه

حق سفهاء، أو ثم أهم من ذلك - فليقولوا لهم ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يردوهم ردًا جميلاً، بقول حسن غير فاحش ولا قبيح.

﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

لِيَتَّكِلَ الْيَتَامَىٰ مِمَّا تَرَكُوا الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ مِمَّا تَرَكُوا الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۖ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٩﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأْزَقُهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿١٠﴾ وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْوَأُنثَىٰ ۚ لِلذَّكَرِ الْغَنَاءُ وَلِلنِّسَاءِ الْفَقْرُ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ ۖ فَأُولَادُكُمْ وَأَوْلَادُ بُنَاتِكُمْ لَكُمْ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ ۖ فَأُولَادُكُمْ وَأَوْلَادُ بُنَاتِكُمْ لَكُمْ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ ۖ فَأُولَادُكُمْ وَأَوْلَادُ بُنَاتِكُمْ لَكُمْ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ ۖ فَأُولَادُكُمْ وَأَوْلَادُ بُنَاتِكُمْ لَكُمْ ۚ

* هذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ۚ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّاتِ رِجَالِكُمْ ۚ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلِكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَنَّ بِهَا ۚ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَنَّ بِهَا ۚ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلِكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَنَّ بِهَا ۚ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾﴾

لما فرَّق الله حكمه. وأيضا فإن الإخوة للأم أصحاب فروض، والأشقاء عصابات. وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر».

﴿وَأَكْبَرُ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَوْ جُزْءُ مَا تَرَكَ إِنْ لَمْ يَكُن لَهَا وَلَةٌ فَإِنْ كَانَتْ لَهَا وَلَةٌ فَلِلْأَكْبَرِ الْرُّبْعُ وَمِمَّا تَرَكَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِي بِهَا أَوْ ذِيَّ رَحْمَةٍ أَوْ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلْمَرْأَةِ الْوَلَدُ عَلَى مَا تَرَكَ إِنْ كُنْ أُمَّهُ وَأَلْفٌ فَإِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْوَالِدُ فَلَهُنَّ الْفُتْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِي بِهَا أَوْ ذِيَّ رَحْمَةٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَاللَّاءِ أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ وَأَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَجِدْتُهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصَلُ بِهَا أَوْ ذِيَّ رَحْمَةٍ غَيْرِ مَوصِيٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ .

* في ذلك دليل على أن الوصية للوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصاء الوارثين. ثم قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ

حُدُودُ اللَّهِ ﴾ فالوصية للوارث بزيادة على حقه يدخل في هذا التعدي، مع قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا وصية لوارث».

﴿ وَالَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْفَحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَعَاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

* يؤخذ منها أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيراً لجنس المعصية الذي يحصل به الزجر.

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِيبِنَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾.

* في هذه الآية دلالة على عدم تحريم كثرة المهر، مع أن الأفضل واللائق الاقتداء

وَأَلَّيْ بِأَيِّينَ الْفَنَاحَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ
حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَخْرُجَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾
وَالَّذَانِ يَأْتِيَهُمَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا
 فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٢١﴾
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ
 ثُمَّ يُتَوَفَّوْنَ مِنْ قُرْبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٢﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
 قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْقَنْ وَالْآيَاتِ يَمْوُئُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ
 أُولَئِكَ أَعْتَذَرَ اللَّهُ عَنْهَا أَلَيْسَ بِتَائِبًا لِيَوْمِ
 ءَامِنُوا إِلَّا يَجْلُ لَكُمْ أَنْ تَرَوْهَا النَّسَاءَ كَرِهْنَا وَلَا نَتَصَلَّوهُنَّ
 لِنَدَّهُنَّ بِبَعْضِ مَا أَتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْيَةٍ
 مُبِينَةٍ وَعَايِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسْنِ
 أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٣﴾

بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف المهر. ووجه الدلالة أن الله أخبر عن أمر يقع منهم، ولم ينكره عليهم، فدل على عدم تحريمه، لكن قد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية وعدم مصلحة تقاوم، ثم قال: ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِيبِنَا ﴿٢٠﴾ ﴾ فإن هذا لا يحل ولو تحيلتم عليه بأنواع الحيل، فإن إثمه واضح.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِمَّنْ نَسَأَ كُمْ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

* أما المحرمات بالرضاع، فقد ذكر الله منهن، الأم، والأخت. وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتنبهه على أن صاحب

* فيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣].

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَلَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ يَفْحَشْنَ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مِمَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَسَبَتْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُجَلَّ لَكُمْ تَاوَلَةٌ ذَلِكَ لِأَنَّ تَبَتُّغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَلَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ يَفْحَشْنَ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مِمَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

* لعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

* تأمل هذا الإيجاز والجمع في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كيف شمل أموال

غيرك ومال نفسك، وقتل نفسك وقتل غيرك بعبارة أحصر من قوله: (لا يأكل بعضكم مال بعض) و(لا يقتل بعضكم بعضاً) مع قصور هذه العبارة على مال الغير ونفس الغير فقط.

* مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم ومصالحهم كالجسد الواحد، حيث كان

الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية.

- * ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ وشرط التراضي - مع كونها تجارة - لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضى كل من المتعاقدين ويأتي به اختياراً. ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوماً، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدوراً على تسليمه، لأن غير المقدور عليه شبيه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده.
- * وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا فبأي طريق حصل الرضا انعقد به العقد.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَقَّتْ قَدِينُهُمْ فَحَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعُظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ إِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا﴾

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَقَّتْ قَدِينُهُمْ فَحَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعُظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ إِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَقَّتْ قَدِينُهُمْ فَحَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعُظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ إِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَقَّتْ قَدِينُهُمْ فَحَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعُظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ إِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْهَا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾

- * ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به. ووظيفتها القيام بطاعة ربه وطاعة زوجها.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿٣٥﴾ .

* ﴿ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ (الحكم) لأنه لا يصلح حكماً إلا من اتصف بتلك الصفات .
* ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه أن الله ساهما حكيمين، والحكم يحكم ولو لم يرض المحكوم عليه، ولهذا قال: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ أي: بسبب الرأي الميمون والكلام الذي يجذب القلوب ويؤلف بين القرينين.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِهِمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٣﴾ .

* يؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين، والتوق لطعام ونحوه، كما ورد في ذلك الحديث الصحيح.

وَالَّذِينَ يُبْفِثُونَ أَفْوَاهَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٤٥﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَقَفُوا مِنَّا زَكَاةً فَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لَّا يَقُولُ وَيُقَالُ ذَرُّهُ وَإِنْ كَانَ تَكُّ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِي مَنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٨﴾ يَوْمَ يَذُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُلَ بِهِمْ أَرْضًا وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِهِمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٥٠﴾ الرَّسُلُ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الصِّبْيَانَ مِنَ الْكِتَابِ بِشَرِّهِمْ وَالصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ أَنْ تَصَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٥١﴾

﴿وَأَن كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾.

وَالَّذِينَ يُبْفِغُونَ آمُرًا لَّهُمْ رِتَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٤٧﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَقَّعُوا وَمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرَّةً وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٥٠﴾ تَوَمَّيْذُ يَوْمِئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ كُفَرُوا بِهِيَ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٥١﴾ بِنَائِبِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَقْتُلُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٥٢﴾ الرَّزَّازِيُّ الَّذِينَ أُوْتُوا صُحُفًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَن يُحْسِنُوا الصَّلَاةَ

* استدلل الفقهاء بقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا

مَاءً﴾ بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قالوا: لأنه لا يقال: (لم يجد) لمن لم يطلب، بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب.

* واستدل بذلك أيضا على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز، بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: ﴿فَلَمْ

تَجِدُوا مَاءً﴾ وهذا ماء. ونوزع في ذلك أنه ماء غير مطلق، وفي ذلك نظر.

* وفي الآية وجوب تعميم مسح الوجه واليدين.

* وأنه يجوز التيمم ولو لم يضق الوقت.

* وأنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب، والله أعلم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ؕ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٤٧).

* في قوله: ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ حث لهم، وأنهم ينبغي أن

يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ

﴿ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ ﴿٦٣﴾

* في هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه فإنه ينصح سرًا، ويبالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ

﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٦٤﴾

* في هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه

عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقاً.

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فيه إثبات القضاء والقدر،

والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان - إن لم يعنه الله - أن يطيع الرسول.

* وهذا المجيء إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على

ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ

﴿ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴾ ﴿٦٦﴾

* في هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمداً وشكراً لربه.

﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ

شَهِيدًا ﴾ (٧٢)

وَلَوْ أَنَّ كَتَبَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا فَتَلَوُا أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ مَا قَعَمُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَوَلَوْ أَنَّهُمْ قَعَلُوا مَا يُوعَدُونَ بِهِ لَكَانَ حَيْبًا لَكُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا لَأْتَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٧٥﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا ﴿٧٦﴾ بِنَائِبِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا فُجَاتٍ أَوْ نَفِيرًا وَاجْمَعُوا ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٨﴾ وَإِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَوْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ بَدَلْتَنِي كُنتُمْ مَعَهُمْ فَأَنْزَلُوا عَلَيْنَا عَظِيمًا ﴿٧٩﴾ فَلْيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَمُوتْ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ آبَائِهِ بِحَسَبِ الْوَارِثَاتِ ﴿٨٠﴾

* ﴿ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي: يتثاقل عن الجهاد

في سبيل الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح. وقيل معناه: ليطئن غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أولى لوجهين:

- أحدهما: قوله: ﴿ مِنْكُمْ ﴾ والخطاب للمؤمنين.

- والثاني: قوله في آخر الآية: ﴿ كَأَن لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ فإن

الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦)

في ضمن ذلك عدة فوائد:

- منها: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولو ازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته.

- ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النساء: ١٠٤].

- ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمد على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق يطلب منه من الصبر والثبات والنشاط ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة. فلهذا قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

وَمَا كُرُوا لِقَاتِلِي اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَكَلِمَاتٌ عَلَيْهِنَّ الْقِتَالُ إِذَا قِيءَ مِنْهُنَّ يَخْسِرُونَ النَّاسُ كَثُفُوا عَلَى اللَّهِ وَأَوْشِدَ حَشِيئَةُ وَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ كُنْتُمْ عَلَيْنَا الْفِتْنَةَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٨﴾ أَيَّمَا كُفْرًا يُدْرِكُ كُرْهُ الْمَوْتِ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَبِينَ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ مَن عِنْدَ اللَّهِ فَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٩﴾ تَأْتِي أَصَابِكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمِنَ أَصَابِكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ رَسُولًا وَمَكَّنَّا لَكَ اللَّهُ شَهِيدًا ﴿٨٠﴾

* في ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على ذلك، من الإقبال على كلامها وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه. فلو فقهوا عن الله لعلموا أن الخير والشر، والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك. وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكونون سبباً لشر

يحدث، هم ولا ما جاؤوا به لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ﴿٨٠﴾

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَيُؤْمِنُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي تَوَكَّلَ مِنْ عِنْدِ عَدُوِّ اللَّهِ لَوْ جَاءَهُمْ فِيهِ أُخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفَتَحْتُمُ الْبَابَ عَلَى الْبَلِيَّةِ فَقَبِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفَلُ إِلَّا نَفْسُكَ وَرِضَى الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيحًا مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَإِذَا حُجِمْتُمْ بِحِجَةِ فَحَبُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوْهَا إِنْ أَلَّ اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

* في هذا عصمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله أمر بطاعته مطلقا، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقا، ويمدح على ذلك.

﴿وَيُؤْمِنُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾

* في قوله: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي

تَقُولُ﴾ دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛ لأن التبييت تدبير الأمر ليلا على وجه يستقر عليه الرأي .

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٢﴾

* في هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يؤول مَنْ هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ.

* وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل

قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقدِّم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾ (٨٥).

* في هذا الحثِّ العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان .

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِمَّا أَوْ رَدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦).

* يؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين :
- أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعاً.

مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۗ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٥﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْغُرَّةَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَرَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٦﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ مِّنْ عِنْدِ الرَّسُولِ أَوْ مِنَ الْغُيُوبِ أَذْعَبُوا أَوْ تَبَسَّوْا سَائِرِينَ وَتَوَلَّى الْغُيُوبِ ﴿٨٧﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٨﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٩﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٠﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩١﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٢﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٣﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٤﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٧﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٨﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٩٩﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٠٠﴾

- **الثاني:** ما يستفاد من أفعل التفضيل وهو (أحسن) الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك. ويستثنى من عموم الآية الكريمة من حيًّا بحال غير مأمور بها، كـ (على مشغول بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصل ونحو ذلك) فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثنى من ذلك من أمر الشارع بهجره وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يردع بالهجر، فإنه يهجر ولا يُحيي، ولا تُرد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبرى.

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١٢﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ جُزْءًا فِيهَا وَعُصْبٌ عَلَىٰ عُنُقِهِ وَنُصْرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِجَالٌ يَدْعُونَ بِالْقَاتِلِ إِذْ هُمْ يُقَاتِلُونَ وَالَّذِينَ يَلْعَنُونَ الَّذِينَ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ أَلْقَى اللَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُهُمْ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَنَّا إِلَيْكُمْ أَلْفَنَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ عَرَضَ الْحَبِيبُ الدُّنْيَا فَبَعَثَ اللَّهُ مَغَابِرَ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ أَلْفَنَّا عَلَيْكُمْ فَنَجِّنَاكُمْ مِّنَ اللَّهِ كَانَ مِثْلَ مَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا ﴿١٣﴾

* ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ في هذا الإخبار بشدة تحريمه، وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصاً عظيماً، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك.

* ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ سواء كان القاتل ذكراً أو أنثى، حرّاً أو عبداً، صغيراً أو كبيراً، عاقلاً أو مجنوناً، مسلماً أو كافراً، كما يفيد لفظ (مَنْ) الدالة على

العموم وهذا من أسرار الإتيان بـ (مَنْ) في هذا الموضع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله (مَنْ)، وسواء كان المقتول ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، كما يفيد التوكيد في سياق الشرط، فإن على القاتل ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾.

* الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عتق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعتق نفع العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعتقه، وبقاؤه في الرق أنفع له فإنه

لا يجزئ عتقه، مع أن في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ما يدل على ذلك؛ فإن التحرير تخلص من استحقت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير. فتأمل ذلك فإنه واضح.

* ﴿لَا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ وفي ذلك حث لهم على العفو لأن الله سهاها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٩٤)

وما كان للمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبته مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمراً فتحرير رقبته مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثق فدية مسلمة إلى أهله وتحريم رقبته مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وصكات الله عليكم أحكاماً ٩٤ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنته وأعد الله له عذاباً عظيماً ٩٥ يتأتى الذين ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٩٥

* في هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يذكرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيباً للنفس في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها.

* ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد

استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأموراً بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوداً من القتل وخوفاً على نفسه، فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والثبوت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه،

فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٩﴾ ﴾

لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَبِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَائِفِينَ وَقَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَعَفُوًّا وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٩﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَمْ ذِكْرُ الْمَوْتِ فَقَدْ وَقَعَهُ إِجْرُهُ وَعَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَلْزَمْتُمْ كَانُوا الْقَوْمَ الْأَعْمَى ﴿٢٣﴾

* في الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر.

* وفي الآية دليل على أن كل من توفي فقد استكمل واستوفى ما قدر له من الرزق والأجل والعمل، وذلك مأخوذ من لفظ (التوفي) فإنه يدل على ذلك، لأنه لو بقي عليه شيء من ذلك لم يكن متوفياً.

* وفيه الإيذان بالملائكة ومدحهم، لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير والاستحسان منهم، وموافقته لمحلّه.

* وفي الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة، وهو أنه قد لا يوفيه حق توفيته، ولا يعمل على الوجه اللائق الذي ينبغي، بل يكون مقصراً فلا يستحق ذلك الثواب. والله أعلم.

* وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور من واجب وغيره فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى

﴿الْأَعْرَجَ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١]، وقال في عموم الأوامر: ﴿فَأْتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده، وانسدت عليه أبواب الحيل، لقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ .

* وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (١٠١)

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الْقُرْبَى وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠١﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْمُتَلَبِّكَةَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِمْ قَالُوا لِمَ كُنَّا قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَ مَا نُرِيدُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٠٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَضَاعَفُوا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٠٤﴾ قَالُوا لَيْتَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ مَرْغَبًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُؤَدِّيًا الْمَوْتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠٧﴾

* ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في السفر، وظاهر الآية أنه يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، فلم يجزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصا للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن

يقصروا ويفطروا، والعاصي بسفره لا يناسب حاله التخفيف.

* ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ولم يقل: أن تقصروا الصلاة؛ فيه فائدتان:

- إحداهما: أنه لو قال: أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة

لأجزاء، فإتيانه بقوله: ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

- **الثانية:** أن ﴿مِنَ﴾ تفيد التبعض ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضة لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران، وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرِّيئِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١١٣﴾﴾

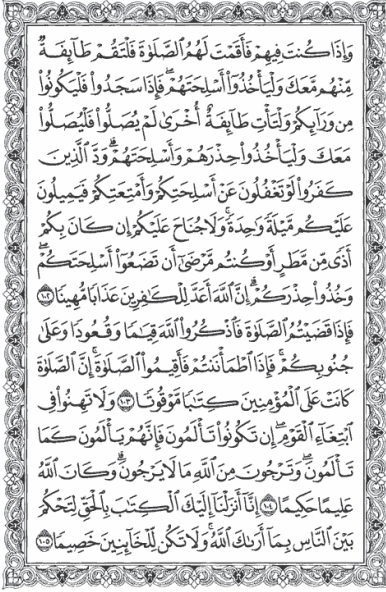
هذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين:

- **أحدهما:** أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء، وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى.
- **والثاني:** أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرِّيئِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١١٣﴾

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْعُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿٤٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي آيَاتِهِ الْقَوْمَ إِنْ تَكُفَرُوا تَأْتِي السُّيُوفُ فَانْتَهُرُوا النَّارَ كَمَا تَأْتِي السُّيُوفُ وَتَنْجُوتُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٤﴾ وَإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ﴿٤٥﴾

الأفعال المبטلة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا



تعارض بين واجب ومستحب،
فلولا وجوب الجماعة لم تترك
هذه الأمور اللازمة لأجلها.

* وتدل الآية الكريمة على أن الأولى
والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو
تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به
لو صلوا بعدة أئمة، وذلك لأجل
اجتماع كلمة المسلمين، واتفاقهم،
وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك
أوقع هيبة في قلوب أعدائهم

* ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يدل على أن هذه الطائفة تكمل
جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم
معه، فأخبر عن مصابحتهم له، ثم أضاف الفعل بعد إلهيم دون الرسول،
فدل ذلك على ما ذكرناه.

* قوله: ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ دليل على أن
الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام
حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكما في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار
الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُوبِكُمْ ۖ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ۗ﴾

وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهَا فَاقْصِرْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَاتَّقِرْ طَائِفَةً
وَمِنْهُمْ مَعَكَ وَبِأُخْرَىٰ أُسْلِحَتْهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنْ وَّرَائِكُمْ وَأَتَابَ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا
مَعَكَ وَبِأُخْرَىٰ أُجْزِذْهُمْ وَأُسْلِحَتْهُمْ وَذَ الَّذِي ت
كَرُّوا لَوَقَفْتُمْ عَنْ أُسْلِحَتْكُمْ وَأَمْتَعْتَكُمْ فَيَسِيلُونَ
عَلَيْكُمْ قَيْلَةً وَجِدَّةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضِينَ أَنْ تَضَعُوا أُسْلِحَتْكُمْ
وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٣﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ
جُوبِكُمْ ۖ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٣﴾ وَلَا تَهْرُوفُ
أَبْتِغَاءَ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَائِمُونَ فَأَنْهَرْتَابُ أَلْمُونَ كَمَا
تَأْمُونَ وَيَسْرِعُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ﴿١٥﴾

* أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع أحوالكم وهيئاتكم، **ولكن خصت صلاة الخوف بذلك لفوائد:**

- **منها:** أن القلب صلاحه وفلاحه وسعادته بالإجابة إلى الله تعالى في المحبة وامتلاء القلب من ذكره والثناء عليه. وأعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها أنها صلة بين العبد وبين ربه.

- **ومنها:** أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف، لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها بالذكر بعدها.

- **ومنها:** أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه من أعظم مقويات القلب.

- **ومنها:** أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء،

كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥]، فأمر بالإكثار منه في هذه

الحال، إلى غير ذلك من الحكَم.

﴿ هَتَانَتْهُمْ هَتُؤُلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴾ (١٠٩) ﴿

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٨﴾ وَلَا تُجَدِّدِ
عَنْ الَّذِينَ يَخْتَابُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِيبُ مَنْ كَانَ
خَوَاتِمًا كَيْمَا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَغْفِرُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَغْفِرُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ ذُنُوبُهُمْ مَالَا يَرْضَوْنَ مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٦﴾ هَتَانَتْ هَتُؤُلَاءَ
جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِ اللَّهُ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يظَلِرْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٠٨﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٧﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا، ثُمَّ يَرْمِ بِهِ تَرِبَةً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا
﴿١٠٦﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ، لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٠٥﴾

* في هذه الآية إرشاد إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالِح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها. فيقول من أمرته نفسه بترك أمر الله: ها أنت تركت أمره كسلا وتفريطا فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحِرمان والخيبة والخسران؟

وكذلك إذا دعت نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت فإن لذته تنقضي ويعقبها من الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب - ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها. وهذا من أعظم ما ينفع العبد تدبره، وهو خاصة العقل الحقيقي. بخلاف الذي يدعي العقل، وليس كذلك، فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة، والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان.

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١١١) ﴿

* في هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد، ولا يعاقب أحداً أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١١١) ﴿ أي: له العلم الكامل والحكمة التامة، ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب،

وما صدر منه، والسبب الداعي لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمانة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته؛ أنه سيغفر له ويوفقه للتوبة، وإن صدر منه بتجرئه على المحارم استخفافاً بنظر ربه، وتهاوناً بعقابه فإن هذا بعيد من التوفيق للتوبة.

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (١١٢)

هذا يدل على أن ذلك من كبائر الذنوب وموبقاتها، فإنه قد جمع عدة مفساد:

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٢﴾ وَلَا تُجِدِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ أُنْفُسُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُ مَنْ كَانَتْ
خَوَافًا أَيْمَانًا ﴿١١٣﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَمْ يَتْرُكْ مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُجِيبًا ﴿١١٤﴾ هَذَا نُصَرِّهُ هَهُؤَلَاءِ
جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلِ اللَّهَ عَنَّهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١١٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوْءًا أَوْ يَظَلِرْ نَفْسَهُ فَمَنْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يُغْفِرِ اللَّهُ عَنَّا
رَحِيمًا ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٧﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
﴿١١٨﴾ وَلَا تَقْضُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ رَهْمَتُكَ ظَاهِرَةٌ مُنْهَرٌ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٩﴾

- كسب الخطيئة والإثم.
- ثم رمي من لم يفعلها بفعلها.
- ثم الكذب الشنيع بتبرئة نفسه واتهام البريء.
- ثم ما يترتب على ذلك من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت عليه، وتقام على من لا يستحقها.
- ثم ما يترتب على ذلك أيضاً من كلام الناس في البريء، إلى غير ذلك من المفساد التي نسأل الله على العافية منها ومن كل شر.

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤)

* هذه الأشياء حينما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء. ولكن كمال

الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤)

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿١١٥﴾

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ جَوَّظَهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ أَضَلَّعَ بَنَاتِ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَتَيْتَهُ مَرْصَاتٍ اللَّهُ فَسَوْفَ يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١١٥﴾ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٥﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَا يَرِيدُ ﴿١١٥﴾ لَمَّا قَالَ اللَّهُ لِصِدْقٍ عِبَادِكُمْ صَبِيًّا فَتَوَلَّى ﴿١١٥﴾ وَلَا ضَلَالَةَ وَلَا هُدًى وَلَا مَرْهَبًا فَلْيَبْتَئِسْ بِآذَانِ الْآفَكَةِ وَلَا يَرْهَبْهَا فليَغْزِرْ ﴿١١٥﴾ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا ﴿١١٥﴾ يَعْدُهُمْ وَيُعْجِبُهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا ﴿١١٥﴾ وَأُولَئِكَ مَا أُنزِلُهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُجَدُّونَ عَنْهَا مَا حَصَصَّا ﴿١١٥﴾

* يدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهَمَّ بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبت الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه، بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من السوء، كما قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ كَذَلِكَ

لِنُصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

* وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ. ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، و﴿ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته - فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرُونَ إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمرُوا

به، فيتعيّن بنص الآية أن يكون معروفاً، ولا شيء بعد المعروف غير المنكر. وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكراً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطاً، أي: عدلاً خياراً ليكونوا شهداء على الناس، أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] يفهم منها أن ما لم يتنازعا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقاً للكتاب والسنة فلا يكون مخالفاً. فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة .

وَإِن أُمَّةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَإِنْ تَسَطَّعُوا أَنْ تَدُولُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَمَا لَعَلَّكُمْ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا فَعِنَ اللَّهُ كُفْرًا مِنْ سَعْيِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ وَسِيمًا حَكِيمًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ وَكَيْلًا ۝ إِنْ نَبَأْنَا بِذُنُوبِكُمْ إِنَّمَا التَّائِبُ بِمَا فَعَلَ خَيْرٌ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكُمْ قَدِيرًا ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدِ قَوَابِلَ الدُّنْيَا فَعِنَّا اللَّهُ قَوَابِلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝

﴿وَإِن أُمَّةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ١٢٨ .

* ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ يؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين من بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه

خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة

والاتصاف بصفة السماح. وهو جائز في جميع الأشياء إلا إذا أحل حراماً أو حرم حلالاً، فإنه لا يكون صلحاً وإنما يكون جوراً.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٢﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾.

* في هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم وإعراضهم عن ربهم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئاً إن لم يطيعوه، ولكنه يمهل ويملي ولا يهمل.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسِطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىٰهٗ أَنْ تَعْدِلُوا ۗ وَإِنْ تَلَوُّهُ أَوْ تَعْرِضُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

وَأَنَّ أُمَّرَأَةً حَاقَتْ مِنْ تَحْتِهَا نُشُورًا أَوْ إِغْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٢﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا عَلَىٰ كُلِّ الْمَثَلِ فَتَذَرُوهَا كَمَا لَمَّ عَاقِبَةُ ۗ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٣٣﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا فَعِنَ اللَّهُ كُفْلَانِ سَعْيَةٍ وَكَانَ اللَّهُ وَبِيعًا حَكِيمًا ﴿١٣٤﴾ وَيَلِيهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۗ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣٥﴾ وَيَلِيهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٨﴾

* ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٣٥﴾ في هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرماً، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾.

* دلت الآية أنهم إن لم يزدادوا كفراً بل رجعوا إلى الإيمان، وتركوا ما هم عليه

حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه،
وتقتحم حدوده التي حدها لعباده.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَنْ
يَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

* في هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يُعَذِّب أحداً قبل قيام الحجة
عليه، وفيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل الله عليه سلطاناً مبيناً.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ
شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِحُكْمٍ فَإِنْ كَانَ لَكُم مَقَرٌّ مِنْ اللَّهِ قَالُوا
الَّذِينَ تَمَكَّرُوا فَإِنَّ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبًا قَالُوا
أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَآلَهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤٥﴾﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا
قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَّابًا يَرْتَدُّونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
اللَّهَ إِلَّا لِيَكُونَ مَذْمُومِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لِأَنَّ هَٰؤُلَاءِ لَا إِلَى
هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٦﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
﴿١٤٥﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ
إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾.

* تأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص
بالذكر، مع دخولهما في
قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ لأن الاعتصام
والإخلاص من جملة الإصلاح،
لشدة الحاجة إليهما خصوصا في هذا
المقام الحرج الذي يمكن من القلوب
النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام
بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في
دفعه، وكون الإخلاص منافيا كل

المنافاة للنفاق، فذكرهما لفضلهما، وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما،

ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما.

* وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم أجرا عظيما، مع أن السياق فيهم، بل قال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٤٦) لأن هذه القاعدة الشريفة - لم يزل الله يبدئ فيها ويعيد، إذا كان السياق في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثوابا أو عقابا وكان ذلك مشتركا بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تدرج تحته تلك القضية وغيرها، ولثلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) **إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا** ﴿١٤٩﴾.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ **إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا** ﴿١٤٩﴾ **إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا** ﴿١٤٩﴾

* يدل مفهومها أنه يجب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين.

* وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنی، كما في هذه الآية لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك بأن أحالنا على معرفة

أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

* يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم، والأخبار الصادقة، ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وفي هذا عدة فوائد:

- منها: أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجسم الغفير، فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد.

- ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا، ويوافق بعضهم بعضا.
- ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبر المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين، ولا بالملوك الظالمين.
- ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء

* إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَنْهَى بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُونَ وَالْمَلَكُوتُ لِلَّهِ وَهُوَ وَعِزِّي بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَذَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَطَاعُوا أَوْلِيَاءَهُمْ خَلَّيْنَاهُمْ فِيهَا آيَاتِنَا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِالْحَقِّ مِنَ رَبِّكُمْ فَتَمَثَّلُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا أَفَلَا تَعْلَمُونَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٩﴾

بهديهم، واستنانا بسنتهم، ومعرفة بحقوقهم، ويكون ذلك مصداقا لقوله:
﴿ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصفات: ٧٩]، ﴿ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصفات:
١٠٩] ﴿ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [الصفات: ١٢٠] ﴿ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ يَاسِينَ ﴾
﴿ ١٣٠ ﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصفات: ١٣٠، ١٣١] فكل محسن له من
الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه، والرسل خصوصا هؤلاء في
المرتبة العليا من الإحسان .

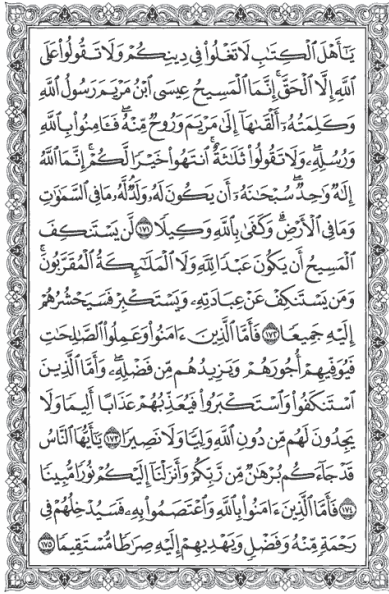
﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا
خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿ ١٧١ ﴾ .

يَتَأَهَّلُ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَالْمُتَّبِعِينَ الْقِدْمَةَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ
إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أَنْ يَسْتَكْفَرَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا التَّلْبِيكَةُ الْمُفْرَقُونَ
وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْفِرْ بِرَحْمَةِ خَيْرٍ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ءَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَكْفَرُوا وَسْتَكْفَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ
فَدَجَّاتُكُمْ بُرْهَانَ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي
رَحْمَتِهِمْ وَمِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿

* ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ وهذا
الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين
منهي عنهما، وهما قول الكذب على
الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته
وأفعاله وشرعه ورسله، والثالث:
مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور.

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ ﴿ ١٧٤ ﴾ فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿ ﴿ ١٧٥ ﴾ .

* في قوله : ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث



كان من ربكم الذي رباكم التربية
 الدينية والدنيوية، فمن تربته لكم التي
 يحمد عليها ويشكر أن أوصل إليكم
 البينات، ليهديكم بها إلى الصراط
 المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم
 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (١٧٤) وهو
 هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل
 على علوم الأولين والآخرين،
 والأخبار الصادقة النافعة، والأمر
 بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن

كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن
 لم يقتبسوا من خيرِه.



سُورَةُ الْمَائِدَةِ

﴿سورة المائدة (مدنية)﴾

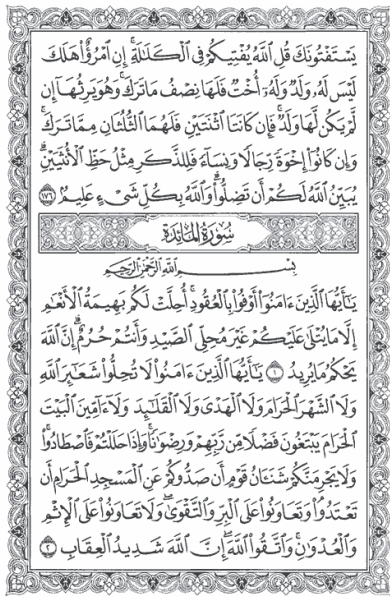
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتِغَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي

الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

* يستدل بهذه الآية أن الأصل في العقود والشروط الإباحة، وأنها تنعقد بها دل عليها من قول أو فعل لإطلاقها .

* واستدل بعض الصحابة بهذه الآية على إباحة الجنين الذي يموت في بطن أمه بعدما تذبح ..

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ



وَلَا ءَايِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضُلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

* ﴿وَلَا ءَايِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضُلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ التخصيص في هذه

الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه - يدل على أن من قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن من تمام احترام الحرم صد من هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاكِمِ بِظُلْمٍ

نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَالْحَيْزِيرُ وَمَا أُهْلِيَ لِقَبْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالنَّمْرُ خَيْفَةٌ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُرْتَدِيَّةُ وَالطَّبِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا ذُيِّعَ عَلَى الثُّبَابِ أَنْ تُسَمِّسُوا
بِالْأَرْبَابِ لِكَيْفَ يَفْتَقِرَ الْيَوْمَ بَيْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكَلْتُ الْكُرْبُوبَةَ وَأَسْمَتُ عَلَيْكُمْ
يَعْنِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ
غَيْرِ مَمْتَنَةٍ لِغَلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ يَسْتَأْذِنُ مَاذَا
أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ يُعَلِّمُونَهُنَّ وَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ
وَطَعَامُ كُرْحِلٍ لَهُمْ وَالْمَخْصَصَاتُ مِنَ الْمُؤْتَبَاتِ وَالْمَخْصَصَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ الْأُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ وَلَا مُمْسِكِينَ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿٦﴾

﴿يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ
الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ
تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ .

* دلت الآية بمفهومها على تحريم
الخبائث، كما صرح به في قوله تعالى:
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ودلت هذه
الآية على أمور:

- **أحدها:** لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال،
وأباح لهم ما لم يذكره مما صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب،
والفهود، والصقور، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه أو بمخلبه.
- **الثاني:** أنه يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف تعليماً، بأن يسترسل
إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ
فِيهِ بِالْحَكَدِ يُطْلَمِ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ أي: أمسك من الصيد
لأجلكم. وما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه، ولعله
أن يكون أمسكه على نفسه.
- **الثالث:** اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: ﴿مِنَ
الْجَوَارِحِ﴾ مع ما تقدم من تحريم المنخقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو
قتله بثقله لم ييح [هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنبيائها أو
مخالبيها، والمشهور أن الجوارح بمعنى الكواكب أي: المحصلات للصيد

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ .

* مفهوم الآية، أن الأرقاء من المؤمنات لا يباح نكاحهن للأحرار، وهو كذلك.
* وإضافة الأجور إليهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شيء، إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرها.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة،

نذكر منها ما يسره الله وسهله :

* أن هذه المذكورات فيها امثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلى آخرها. أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَذَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

- * **الثاني:** الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ .
- * **الثالث:** الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: بقصدها ونيتها.
- * **الرابع:** اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.
- * **الخامس:** أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة.
- * **السادس:** أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر.
- * **السابع:** الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً. ومن الأذن إلى الأذن عرضاً. ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة، ويدخل فيه الشعور التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهاها.
- * **الثامن:** الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين و (إلى) كما قال جمهور المفسرين بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.
- * **التاسع:** الأمر بمسح الرأس.
- * **العاشر:** أنه يجب مسح جميعه، لأن الباء ليست للتبعض، وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

- * **الحادي عشر:** أنه يكفي المسح كيفما كان، بيديه أو إحداهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما، لأن الله أطلق المسح ولم يقيد بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.
- * **الثاني عشر:** أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه ولم يمر يده عليه لم يكف، لأنه لم يأت بما أمر الله به.
- * **الثالث عشر:** الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.
- * **الرابع عشر:** فيها الرد على الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنه لا يجوز مسحها ما دامت مكشوفتين.
- * **الخامس عشر:** فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة الجر في ﴿وَأَرْجَلَكُمْ﴾ وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلها إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحها إذا كانتا مستورتين بالخف.
- * **السادس عشر:** الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتبة. ولأنه أدخل ممسوحاً - وهو الرأس - بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.
- * **السابع عشر:** أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية. وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.
- * **الثامن عشر:** الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به.
- * **التاسع عشر:** الأمر بالغسل من الجنابة.

* **العشرون:** أنه يجب تعميم الغسل للبدن، لأن الله أضاف التطهر للبدن، ولم يخصصه بشيء دون شيء.

* **الحادي والعشرون:** الأمر بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة.

* **الثاني والعشرون:** أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي مَنْ هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء.

* **الثالث والعشرون:** أن الجنب يصدق على من أنزل المنى يقظة أو مناما، أو جامع ولو لم ينزل.

* **الرابع والعشرون:** أن من ذكر أنه احتلم ولم يجد بللا، فإنه لا غسل عليه، لأنه لم تتحقق منه الجنابة.

* **الخامس والعشرون:** ذكر منة الله تعالى على العباد، بمشروعية التيمم.

* **السادس والعشرون:** أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذي يضره غسله بالماء، فيجوز له التيمم.

* **السابع والعشرون:** أن من جملة أسباب جوازه، السفر والإتيان من البول والغائط إذا عدم الماء، فالمرض يجوز التيمم مع وجود الماء لحصول الضرر به، وباقيا يجوزه العدم للماء ولو كان في الحضر.

* **الثامن والعشرون:** أن الخارج من السيلين من بول وغائط، ينتقض الوضوء.

* **التاسع والعشرون:** استدل بها من قال: لا ينتقض الوضوء إلا هذان الأمران، فلا ينتقض بلمس الفرج ولا بغيره.

* **الثلاثون:** استحباب التكنية عما يستقدر التلفظ به لقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾.



- * **الحادي والثلاثون:** أن لمس المرأة بلذة وشهوة ناقض للوضوء.
- * **الثاني والثلاثون:** اشتراط عدم الماء لصحة التيمم.
- * **الثالث والثلاثون:** أن مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء.
- * **الرابع والثلاثون:** أنه إذا دخل الوقت وليس معه ماء، فإنه يلزمه طلبه في رحله وفيما قرب منه، لأنه لا يقال (لم يجد) لمن لم يطلب.
- * **الخامس والثلاثون:** أن من وجد ماء لا يكفي بعض طهارته، فإنه يلزمه استعماله، ثم يتيمم بعد ذلك.
- * **السادس والثلاثون:** أن الماء المتغير بالطهارات، مقدم على التيمم، أي: يكون طهوراً، لأن الماء المتغير ماء، فيدخل في قوله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾.
- * **السابع والثلاثون:** أنه لا بد من نية التيمم لقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي: اقصدوا.
- * **الثامن والثلاثون:** أنه يكفي التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب وغيره. فيكون على هذا، قوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ﴾ إما من باب التغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين، وإما أن يكون إرشاداً للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي فيه غبار فهو أولى.
- * **التاسع والثلاثون:** أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس، لأنه لا يكون طيباً بل خبيثاً.
- * **الأربعون:** أنه يُمَسَّحُ في التيمم الوجه واليدان فقط، دون بقية الأعضاء.
- * **الحادي والأربعون:** أن قوله: ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ شامل لجميع الوجه، وأنه

يعممه بالمسح، إلا أنه معفو عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور، ولو خفيفة.

* **الثاني والأربعون:** أن اليدين تمسحان إلى الكوعين فقط، لأن اليدين عند الإطلاق كذلك. فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده في الوضوء.

* **الثالث والأربعون:** أن الآية عامة في جواز التيمم، لجميع الأحداث كلها، الحدث الأكبر والأصغر، بل ولنجاسة البدن، لأن الله جعلها بدلا عن طهارة الماء، وأطلق في الآية فلم يقيد [وقد يقال: إن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم لأن السياق في الأحداث، وهو قول جمهور العلماء]

* **الرابع والأربعون:** أن محل التيمم في الحدث الأصغر والأكبر واحد، وهو الوجه واليدان.

* **الخامس والأربعون:** أنه لو نوى من عليه حدثان التيمم عنهما، فإنه يجزئ أخذا من عموم الآية وإطلاقها.

* **السادس والأربعون:** أنه يكفي المسح بأي شيء كان، بيده أو غيرها، لأن الله قال ﴿فَأَمْسَحُوا﴾ ولم يذكر المسوح به، فدل على جوازه بكل شيء.

* **السابع والأربعون:** اشتراط الترتيب في طهارة التيمم، كما يشترط ذلك في الوضوء، ولأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين.

* **الثامن والأربعون:** أن الله تعالى - فيما شرعه لنا من الأحكام - لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده ليطهرهم، وليتم نعمته عليهم.

* ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ في هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقبها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، وتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم،

واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتمها، قال:

﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا.

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ ﴾

﴿ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧)

* الظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين.

قَالَ الرَّسُولُ إِذْ قَالَ لِلَّهِمْ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَدْتُمَا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَقْدُرُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٩﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ
مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لَيُقْتَلَنِي مَا أَنَا بِسَاطِئِ يَدَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِي بُيُوتًا لِأَتُوبَ إِلَيْكَ فَتُكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي
سُوءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَنَّكَ لَأَعْجُزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُورِي سُوءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٤﴾

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

دلت الآية على أن القتل يجوز بأحد أمرين:

- إما أن يقتل نفسا بغير حق متعمدا في ذلك، فإنه يحل قتله إن كان مكلفا مكافئا، ليس بوالد للمقتول.
- وإما أن يكون مفسدا في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل. وكذلك قطاع الطريق ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم.

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون ﴿٣٣﴾ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ بتأييدهم الذين آمنوا آتوا الله وآبَتُوا إِلَيْهِ أَلْسِنَةً وَجِهَةً وَأَفْسَسِيَلَهُ لَعَلَّكَ تَفْقَهُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوَّلَ لَهْمٍ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِمَّا هُوَ مَعَهُ رِيْقَتُهُ دُونَ يَوْمِهِ مِنَ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

* دل هذا أن قطع الطريق من أعظم الذنوب، موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وأن فاعله محارب لله

ولرسوله. وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض.

﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ *
 دل مفهوم الآية على أن توبة المحارب - بعد القدرة عليه - أنها لا تسقط عنه شيئاً، والحكمة في ذلك ظاهرة. وإذا كانت التوبة قبل القدرة عليه تمنع من إقامة الحد في الحاربة، فغيرها من الحدود - إذا تاب من فعلها، قبل القدرة عليه - من باب أولى.

﴿ **يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا**
ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ
سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ
إِنَّ أُوْتَيْتُمْ هَذَا فَخَذُّوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ
فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ
لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ
يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ
لِللَّسَاتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ
أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ *

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الدِّينِ وَمَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا
 وَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ ٤١ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
 أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كَلَّا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ٤٢ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ
 يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٤٣ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
 لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ
 لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٤ يَتَأْتِيهَا
 الرُّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
 الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ
 الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِقَوْمٍ
 ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
 يَقُولُونَ إِنَّ أُوْتَيْتُمْ هَذَا فَخَذُّوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ
 فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ
 شَيْئاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ
 لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤٥

* دل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب،

* ودل على أن طهارة القلب سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد.

* ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ * فأنت مخير في ذلك. وليست هذه منسوخة، فإنه - عند تحاكم هذا الصنف إليه - يخير بين أن يحكم بينهم، أو يعرض عن الحكم بينهم، بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقا لأهوائهم. وعلى هذا فكل مستفت ومتحاكم إلى عالم يعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض، لم يجب الحكم ولا الإفتاء لهم، فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ تَعَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّكَ شَيْئًا

وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ * حتى

ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم.

* وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى يحبه.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صِدْقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَأَنْزَلْنَا فِيهِ هُدًى وَنُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَنُورًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٢﴾
وَأَحْكُمُوا هُدًى وَمِنْ لَدُنَّا إِلَيْكَ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْقَائِمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
عَمَلَاءِكَ مِن الْقَوْمِ ۚ جَعَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ مِّنْهَا جُزْءًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاهُ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَاءِ الْوَادِعِ ۚ فَاسْتَمْتَعُوا الْحَيَاةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِي يَدَيْهِ ۚ كَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمٍ وَاحِدٍ زُهْرًا أَوْ يَفْسُوكَ عَنْ
بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ
بِبَعْضِ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِنْ كَبُرُوا مِنْ كَثْرَتِ السَّائِسِ فَهَدِّنْهُمْ
إِنَّهُمْ لَكَايِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤٦﴾

أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ ﴿٤٨﴾ ❁

* يستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق.

* وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله قال: ﴿وإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾، ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم.

❁ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾ قرأ الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيما يقولون تفتش أن نصيبنا دابةً فمسي الله أن يأتي بالفتح أولهم من عنده فصبحوا على ما أمروا في أنفسهم تدينون ﴿٤٩﴾ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهنم أنهم لمعكروا حتى ظنوا أنهم لهم فأصبحوا خاسرين ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ وَسُوفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

❁ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

* يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ❁ وهذا يدل على قوة

همهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب، ضعيف الهمة تنتقص عزيمته عند

فضلا وشرفا. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبيه، لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، فإذا كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من جنس الأنبياء والرسول من قبله، وأمه صديقة، فلا شيء اتخذهما النصراني إلهين مع الله؟

﴿كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامَ﴾ دليل ظاهر على أنها عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٦)

لَبِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَدْعُونَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٦﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَقُولُوا لِلَّهِ حَقَّ تَعْبَادٍ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا تَخَذُوا هُتُورًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيُحْجِجَ اللَّهُ بِهِمْ فَتَسْبُغُوا فِيهَا مِنْهُمْ قَدِيسُفُورًا ﴿٧٩﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُوكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ عِيسِيُّونَ وَوَهَبْنَا لَأُولَئِكَ لِيُفَكَّرُوا لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذَا سَأَعُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الرُّسُولِ تَرَى أُعْيُنُهُمْ تَصِفُّرًا مِنَ الدَّمْعِ وَمَنَاعَةً فَمَا مِنْ أَحَقٍّ يَغُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاكُنْ بِمَنْعَةِ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

* ذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر - مع القدرة - موجبا للعقوبة، لما فيه من المفسد العظيمة :

- **منها:** أن مجرد السكوت، فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه - كما يجب اجتناب المعصية

- فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.

- **ومنها:** ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتران بها.

- **ومنها:** أن ذلك يجرى العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدينية، ويكون

لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدر على ما كانوا يقدر علىه أولاً.

- **ومنها:** أن - في ترك الإنكار للمنكر - يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية - مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها - يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالاً؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقاً؟.

- **ومنها:** أن السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها.. ومنها. فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٨).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).

وَمَا كُنَّا لَنُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا كُنَّا لَنُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَقْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا فَجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَجْهَرِ ﴿٨٩﴾ يَأْتِيهَا الْذُّبَابُ ءَامِنُونَ لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩٠﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾ لَا يُؤْخَذُ كُفْرُ اللَّهِ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ بِكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهَا إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعْتُمْ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُمْ أَوْ تُحْرِقُوا رِقَبَةً فَفَعَلْتُمْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كُفْرُكُمْ إِذَا عَقَدْتُمْ وَإِنْ حَقَّ ظَنُّكُمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا فَيُؤْمِنُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٩٢﴾ يَأْتِيهَا الْذُّبَابُ ءَامِنُونَ لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩٣﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٩٤﴾

* دلت الآية الكريمة على أنه إذا حرم حلالاً عليه من طعام وشراب، وسرية وأمة، ونحو ذلك، فإنه لا يكون حراماً بتحريمه، لكن لو فعله فعليه كفارة يمين، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] إلا أن تحريم الزوجة فيه كفارة ظاهر.

* ويدخل في هذه الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن يتجنب الطيبات ويحرمها على نفسه، بل يتناولها مستعينا بها على طاعة ربه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ



﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾

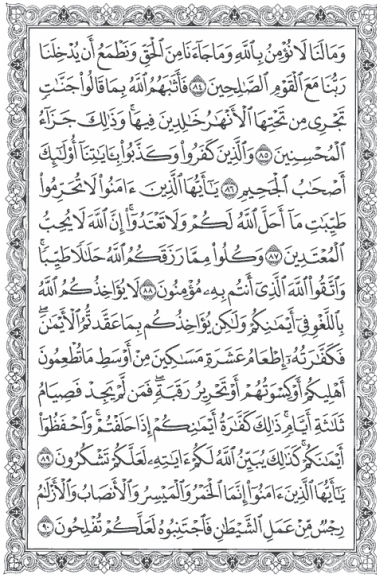
وَمَا تَلَا الْقُرْآنَ يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ لَكُم مِّنَ الْخَمْرِ وَنَطْمَعٍ أَن يَدْخُلَ تَابًا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَالْقَوْمُ الضَّالِّينَ ﴿١٠﴾ فَأَتَتْهُمْ قَوْمًا لَوْ جَنَّبْتَنَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَشْجُرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَلْبَسُوا طَبِيبًا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمُ وَلَا تَتَدَوَّنَا إِنْ اللَّهُ لَا يُجِيبُ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٣﴾ وَكُلُوا مِن مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَأَتُوا اللَّهَ الْوَالِدِ الْأَرْبَعِ أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ لَا يُؤْخَذُ كُفْرًا بِاللَّغْوِ إِيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ وَإِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطْعُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتْهُمُ أَوْ قُرْبُرٍ رَقِيْقَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفْرٌ إِيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْضُرُوا إِيْمَانِكُمْ ذَٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

* هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفسادها الداعية إلى تركها واجتنابها.

- **فمنها:** أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة حسا. والأموال الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوصارها.
- **ومنها:** أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومن المعلوم أن العدو يحذر منه، وتحذر مصايده وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والخوف من الوقوع فيها.
- **ومنها:** أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور مانعة من الفلاح ومعوقة له.

- **ومنها:** أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء. فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجابه، ما يدعو إلى

البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من الأسباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء.



- **ومنها:** أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد،

وبهما سعادته، فالخمر والميسر يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو.

- فأى معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟!!

* يؤخذ من لفظ «الصيد» أنه لا بد أن يكون وحشياً، لأن الإنسي ليس بصيد. وماكولاً، فإن غير المأكول لا يصاد ولا يطلق عليه اسم الصيد.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۗ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ ۗ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنبِتِكُمْ ۗ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

* لا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضر العبد تركها وإهمالها، فإنه لا يتم هداها، إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. نعم، إذا كان عاجزاً عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضلال غيره.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا سُبْحَانَ مَا نَزَّلْنَا عَلَيْهِ ءِآيَاتُهُ ءَأَن نَّأُولُوا لَكِن ءَأَبَاؤُنَا هُمُ الّٰٓءِي هُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ ۗ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنبِتِكُمْ ۗ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةً بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ۖ إِنَّ أَنتُم ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَبْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ۖ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ۗ إِنَّا إِذًا لَّكَاذِبِينَ ﴿١٠٧﴾ فَإِن عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحْسَنَ شَهَادَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا ۖ إِنَّا إِذًا لَّغَالِبِينَ ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ أَذَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ۗ لَشَهَدْنَا أَحْسَنَ شَهَادَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا ۖ إِنَّا إِذًا لَّغَالِبِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ۗ لَشَهَدْنَا أَحْسَنَ شَهَادَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا ۖ إِنَّا إِذًا لَّغَالِبِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ۖ إِنَّ أَنتُم ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَبْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ۖ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ۗ إِنَّا إِذًا لَّكَاذِبِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِن عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ

لَشَهَدْنَا أَحْسَنَ شَهَادَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا ۖ إِنَّا إِذًا لَّغَالِبِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ۗ لَشَهَدْنَا أَحْسَنَ شَهَادَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا ۖ إِنَّا إِذًا لَّغَالِبِينَ ﴿١٠٨﴾

❁ ويستدل بالآيات الكريمات على عدة أحكام:

- * **منها:** أن الوصية مشروعة، وأنه ينبغي لمن حضره الموت أن يوصي.
- * **ومنها:** أنها معتبرة، ولو كان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتا.
- * **ومنها:** أن شهادة الوصية لا بد فيها من اثنين عدلين.
- * **ومنها:** أن شهادة الكافرين في هذه الوصية ونحوها مقبولة لوجود الضرورة، وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ، وهذه دعوى لا دليل عليها.
- * **ومنها:** أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه أن شهادة الكفار - عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة - مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.
- * **ومنها:** جواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذور.
- * **ومنها:** جواز السفر للتجارة.
- * **ومنها:** أن الشاهدين - إذا ارتيب منهما، ولم تبد قرينة تدل على خيانتها، وأراد الأولياء - أن يؤكدوا عليهم اليمين، ويجسوهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالى.
- * **ومنها:** أنه إذا لم تحصل تهمة ولا ريب لم يكن حاجة إلى حبسها، وتأكيد اليمين عليها.
- * **ومنها:** تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها والقيام بها بالقسط.

* ومنها: أنه يجوز امتحان الشاهدين عند الريبة منها، وتفريقهما لينظر عن شهادتهما.

* ومنها: أنه إذا وجدت القرائن الدالة على كذب الوصيين في هذه المسألة - قام اثنان من أولياء الميت فأقسما بالله: إن أياننا أصدق من أيانها، ولقد خانا وكذبا. ثم يدفع إليهما ما ادعياه، فتكون القرينة - مع أيانها - قائمة مقام البينة.

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ مِّنْ مَّزَلُهَا عَلَيْكُمْ مِّنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾

* اعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم - إن كفروا - بهذا الوعيد،

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا الأول علينا ما يده من التمه
تكون لنا عيدا الأولنا وآخرنا وآية بينك وأزقتنا وأنت
خير الرزقين قال الله في منزلها عليك كرمين وكفر بعد
مكوفاني أعذبته عذابا لا أعذب به أحد من العالمين
وإذ قال الله يعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني
وأئمتي الهة من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول
ما ليس لي بصحبي إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي
ولا أعلم ما في نفسي إناك أنت علام الغيوب ما قلت لهم
إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم
شاهدا ما دمت فيهم قائما فوفيتي كنت أنت الوهاب عليهم
وأنت على كل شيء شهيد إن تعد بهم فإلههم عبادك فإن
تغير لهم فإناك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفخ
الصدور من صدقهم لهم حجت تجزي من تحتها الأنهار خلائين
فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله
ملك السموات والأرض وما بينهما وهو على كل شيء قدير

ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأنجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به ففسوه، أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلاً، وإنما ذلك كان متوارثاً بينهم، ينقله الخلف عن

السلف، فاكتمى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله:

﴿ وَتَكُونُ عَلَيْهِمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ



دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

* هذا من كمال أدب المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

في خطابه لربه، فلم يقل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لم أقل شيئاً من ذلك»، وإنما أخبر

بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل

مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا

من الأمور المحالة، ونزهه ربه عن ذلك

أتم تنزيهه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.



قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا ما يبدؤنا من السماء
تكون لنا عبداً لا أولياء لنا ولا آخرة نأويها ولا ندينك وأزرقنا وأنت
خير الرزقين ﴿١١٦﴾ قال الله في منزلها عليك كرمك من كرمك بعد
وتكوا في أعزبه، عذاباً لا أعزبه، أحد ابن العالمين ﴿١١٧﴾
وإذ قال الله يعيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني
وأُمي الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول
ما ليس لي بحق إن كنت قلته، فقد علمته، تعلم ما في نفسي
ولا أعلم ما في نفسيك إنك أنت عالم الغيوب ﴿١١٨﴾ ما قلت لهم
إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم
شهيداً ما كنت فيهم قائماً توقفتي كنت أنت أقرب عليهم
وأنت على كل شيء شهيد ﴿١١٩﴾ إن تعدبهم فما هم عبداً لك وإن
تغفر لهم فما لك أنت العزيز الحكيم ﴿١٢٠﴾ قال الله هذا يوم نضع
الصلبين صدقهم لهم رجعت تجري من تحتها الأنهار جليلين
فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴿١٢١﴾ لله
ملك السموات والأرض وما بينهما وهو على كل شيء قدير ﴿١٢٢﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

سورة الأنعام مكية

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

شَيْءٍ نُسِّرَ إِلَى رَيْبِهِمْ يَخْسِرُونَ ﴿٣٨﴾ .

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ يُجْعِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُسِّرَ إِلَى رَيْبِهِمْ يَخْسِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا صُدُّوا بِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَسْتَلِمْ اللَّهُ يُضِلِّهِ اللَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ أَنْتُمْ كُفْرَانٌ أَنْتُمْ كَرِهْتُمْ اللَّهُ أَوْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمْ السَّاعَةَ أَعْتَبْتُمْ اللَّهُ يَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ قُلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا أَنْتُمْ بِكَارِهِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لَوْلَا إِذْجَاةٌ لَهُمْ بِأَسْتَأْذِنُوا لَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ بَابٍ ﴿٤٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَرَجُوا يَمِينًا وَأَوْتُوا وُجُوهَهُمْ بِنُورٍ فَذَا هُمْ مُقْتَبِسُونَ ﴿٤٦﴾

* في هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقته لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد. ويحتمل أن المراد بالكتاب،

هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا

لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا أَلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ

مُبينٍ ﴿٥٩﴾ .

* بعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق - من أولهم إلى

أَفَلْ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِزًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلْ قَالَ لَيْنَ
 تَمْ يَهْدِي رَبِّي لِأَكُونَتْ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا
 رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بِرَبِّي مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ❀

❀ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَادَ اتَّخِذَهُ أَصْنَامًا هَاتِمًا إِلَهًا إِنِّي
 أَرَدْتُ أَنْ يُقِيمَكَ فِي سَكَنٍ مُبِينٍ ﴿٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نُفِيَ إِبْرَاهِيمَ
 مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾
 ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلْ
 قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِزًا قَالَ هَذَا
 رَبِّي فَلَمَّا أَفَلْ قَالَ لَيْنَ تَمْ يَهْدِي رَبِّي لِأَكُونَتْ مِنَ الْقَوْمِ
 الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
 أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بِرَبِّي مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾
 ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَاجَّهُ رُفُؤُهُ قَالَ
 أَتُخَدِّعُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
 إِلَّا أَنْ يَنْسَأَ رَبِّي سُنْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ وَلَا أُخَافُونَ
 أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكَ سُلْطَانًا
 فَأَتَى الْفَرِيقَيْنِ أَحْسَنُ يَا لَأَمَنِينَ إِنَّ كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٢﴾

❀ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: أظلم
 ﴿رَأَى الْكُوكَبَ﴾ لعله من الكواكب
 المضئية، لأن تخصيصه بالذكر، يدل
 على زيادته عن غيره، ولهذا - والله
 أعلم - قال من قال: إنه الزهرة.

❀ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾
 ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ❀

❀ مفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم
 يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم
 هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.

❀ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ
 إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ❀

❀ قد امثل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم.
 فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد
 المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا
 الملحظ استدل من استدل من الصحابة، أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أفضل
 الرسل كلهم.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ يَوْمَ تَجُزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

* في هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده.

* وفيه دليل على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد، ويفارقه .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

* دلت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ قَالِي الْحَقِّ وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ قَالِي الإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حَسْبَانَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا
بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿١١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نَخْفُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
دَائِرَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزُّبُرُ وَالرَّيْحَانُ مُمْتَلِئًا وَعَنْبَرٌ
مُتَشَابِهٌ مَّنظَرًا إِلَى قَمَرِهِ إِذَا أَغْمَرَ وَيُبْهِهَانِ فِي ذَلِكَ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَفُوا لَهُ رَبِّينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ
﴿١١٣﴾ تَبِيحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ
صَلْبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٣﴾

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ ﴾ .

* في ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى
الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو
هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه
من النظام التام، والخلق الباهر، فإن
في ذلك دلالة على سعة علم الخالق،

وكمال حكمته، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾
 [الملك: ١٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ [يس: ٨١].

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾

* ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة. فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال (لا تراه الأبصار) ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوًا بَغِيرَ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾

* في هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهو أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر.

ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٣﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
 يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٤﴾ فَذَجَّاهُ كُمْ
 بَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَضَرَّ فَلْتَسْبُوهُ وَمَنْ عَنِ قَوْلِهَا
 وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَبِيرٍ ﴿١٠٥﴾ وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَلْبَابَ
 وَلِيَقُولُوا أَدْرَسَتْ وَلِيُتَبَيَّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ أَسْمِعْ
 مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
 ﴿١٠٧﴾ وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَأَمَّا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوًا بَغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ
 عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 ﴿١٠٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَلْسِنِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَهْمٌ أَيْةٌ يُؤْمِنُونَ
 بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُونَ كُنْ أَنْتَ إِذَا جَاءَتْ
 لَأُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ وَتَقَلِّبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ
 يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طَلَبِ يَوْمِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾

﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿١١٦﴾

* دلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون - عند الله - قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل بالطرق الموصلة إليه.

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايِنَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٨﴾ وَذُكِرَ أَطْهَرُ الْأَشْيَاءِ وَبَاطِنُهُ وَإِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِسْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١٩﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا نَدَّكَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْمِنُ بِاللَّهِ أُولِيَاءِ بِهِمْ لِمِجَادَلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢٠﴾ أَوْ مَن كَانَ مِنبَأًا فَحَبِيبُهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّارِ كَمَن مَّشَى فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِنَارٍ وَمِنَافِئًا كَذَلِكَ يُؤْمِنُ الْكُفْرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمًا لِيَتَمَكَّنُوا فِيهَا وَمَا يَسْكُرُونَ إِلَّا أَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ عَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

* دلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله فليس بحرام. ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ

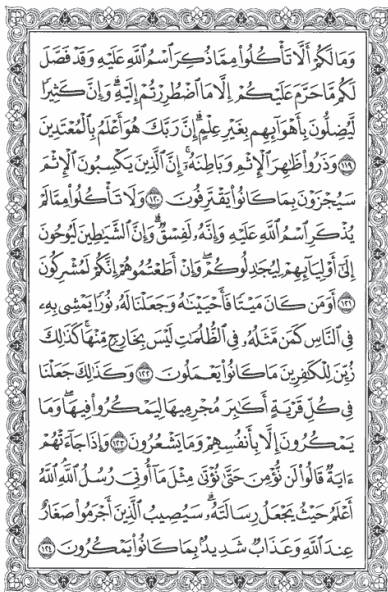
وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمَانِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُؤْمِنُ إِلَى آخِرَتِهِمْ لِيُجْدِلُوا كُفْرًا وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٢٣﴾

- * يدخل تحت هذا المنهي عنه، ما ذكر عليه اسم غير الله كالذي يذبح للأصنام، وأهنتهم، فإن هذا مما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصا.
- * ويدخل في ذلك متروك التسمية، مما ذبح لله، كالضحايا، والهدايا، أو للحم والأكل، إذا كان الذابح متعمدا ترك التسمية، عند كثير من العلماء. ويخرج من هذا العموم الناسي بالنصوص الأخرى، الدالة على رفع الحرج عنه.
- * ويدخل في هذه الآية ما مات بغير ذكاة من الميتات، فإنها مما لم يذكر اسم الله عليه. ونص الله عليها بخصوصها، في قوله: ﴿حَرَمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [المائدة: ٣].

- * ودلت هذه الآية الكريمة على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل - بمجرد ما على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على كتاب الله وسنة رسوله. فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب، لأن الوحي والإلهام يكون من الرحمن،

ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعدم التفريق بين الأمرين حصل من الغلط والضلال ما لا يحصيه إلا الله.



﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿١٦٤﴾

* في هذه الآية دليل على كمال حكمة الله تعالى، لأنه، وإن كان تعالى رحيمًا واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ
وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿جمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير:﴾

- متتهم على الله، في جعلهم له نصيبا،

مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع.

- وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم،

ولم يوجدوا لهم شيئا في ذلك.

- وحكمهم الجائر في أن ما كان

لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو

كان واصلا إلى الشركاء، وما كان

لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به

ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك

أنهم إذا حصل لهم - من زروعهم

وثمارهم وأنعامهم التي أوجدها الله لهم - شيء.

ذَلِكَ أَنْ لَوْ كُنْ زَيْتٌ مُبْتَاعٌ لَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَأَهْلَهُمْ
عَفِيفُونَ ﴿١٦٦﴾ وَلَكِنْ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا زُرْتُكَ
بِقَوْلِي عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٧﴾ وَزُرْتُكَ الْقِسْمُ دُونَ الْقِسْمِ
إِنْ بَيْتًا أَيْدِيهِمْ كَرِهَ اللَّهُ لِعَذَابِهِمْ وَلِيَسْتَلْخِفَ مِنْ عَذَابِهِمْ
بَيْتًا كَمَا أَنْتُمْ كُرِهْتُمْ دُرِيَّةً قَوْمَهُمْ أَحْرَبِينَ ﴿١٦٨﴾
إِنْ مَا تَوْعَدُونَ لَأَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٦٩﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ
أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ فَمَسْوَفٌ قَلِيلٌ مِمَّا
مَنْ تَكْفُرُونَ لَهُ وَعَفِيفٌ أَلَّا يَرَاهُ إِلَّا يَتْلُوهُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٠﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٦٦﴾ وَكَذَلِكَ
رَبُّنَا يُعَذِّبُ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ
شُرَكَاءَهُمْ لِيَزْهُقُوا عَنْ آبَائِهِمْ وَاسْتَبَسَّوْا عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَتَنَهُمْ وَوَعْدُ اللَّهِ حَقٌّ وَإِنْ تُكْفِرُوا

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ
وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآثُوا
حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

* في هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمونها.

* وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يبعث خارصاء، يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعثرها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم.

تَمَسِيَةَ أَرْوَاحٍ مَرَّتِ الطَّيَّانُ اثْنَتَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرَافَتَيْنِ
قُلْ أَلَّذِكْرَيْنِ حَزْمَهُ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَا اسْتَمْتَكْتِ عَلَيْهِ
أَرْكَامُ الْأُنثَيْنِ نَبِيُّنِ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٠﴾
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَتَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَتَيْنِ قُلْ أَلَّذِكْرَيْنِ
حَزْمَهُ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَا اسْتَمْتَكْتِ عَلَيْهِ أَرْكَامُ الْأُنثَيْنِ
أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَضَعَكُمُ اللَّهُ يَهْدَى الْفِتْنَةَ
أَطْلَعْتُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ عَلَى اللَّهِ كَذَّبَ الْبَاطِلُ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ قُلْ لَا أُجِدُّ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فَسَقًا أَهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ
بِاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٢﴾
قُلْ ذِي طَلْفُورٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفِئَةِ حَزْمًا طَاعِمَهُنَّ
شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ طُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَمَا اسْتَمْتَكْتِ
بِطَعْمِهِ ذَلِكَ حَزْمُهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿ قُلْ لَا أُجِدُّ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٠)

* ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ مفهوم هذا اللفظ، أن الدم الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح، أنه حلال طاهر.

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾

- **ومنها:** أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر ظلم محض وعناد صرف.

- **ومنها:** أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجاً تحت إرادته.

- **ومنها:** أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فيا عجباً كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟! - ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شُرُوكِهِمْ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٥١)

* ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
 وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ إِنَّا نَأْمُرُكَ أَنْ تَكْتُبَ تَسَامُعًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ وَتَقْضِي لِكُلِّ فَنٍّ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رِزْقَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأْتُوا الْعِلْمَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُنَا الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

* ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ دل هذا على أنه لا يجوز قربانها، والتصرف بها على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا مصلحة.

* وفي هذا دلالة على أن اليتيم - قبل بلوغ الأشد - محجور عليه، وأن وليه يتصرف في ماله بالأحظ، وأن هذا الحجر ينتهي ببلوغ الأشد.

* وبهذه الآية ونحوها استدلال الأصوليون،

بأن الله لا يكلف أحدا ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُنَا الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

* وأن الله تعالى حكيم قد جرت عادته وسنته، أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختياريا لا اضطراريا، كما تقدم. وأن الإنسان يكتسب الخير بإيمانه. فالطاعة

والبر والتقوى إنما تنفع وتنمو إذا كان مع العبد الإيمان. فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩)

* دلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي

سائر مسائله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّمَا الْمُنْتَظَرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا دُونَهَا وَهُوَ لَا يَنْظُرُ ﴿١٥٩﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِسَمًا فَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٩﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾ لَا تَدْرِي لَعَنَ اللَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥٩﴾ قُلْ أَغْتَابَرُكُمْ أَيُّ رَبِّكَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهَا تَخْتَلِفُونَ ﴿١٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلْقًا مِنَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْتَأْذِنُوا فِي مَاءِ الْبُحْرِ وَإِنْ رَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٥٩﴾



سُورَةُ الْأَعْرَافِ

﴿سورة الأعراف (مكية)﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ .

قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١١﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٠﴾

* قَالَ إِبْلِيسَ مَعَارِضَ الرَّبِّ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾،
ثم برهن على هذه الدعوى الباطلة
بقوله له: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ ﴿١٢﴾﴾، وموجب هذا أن المخلوق
من نار أفضل من المخلوق من طين
لعلو النار على الطين، وصعودها.
وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه
باطل من عدة أوجه:

- **منها:** أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعاً لها. فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة.
- **ومنها:** أن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ بمجرد ما كافي لنقص إبليس الخبيث.

فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم.
وأي نقص أعظم من هذا؟.

- **ومنها:** أنه كذب في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

قَالَ رَبِّيَ ظَلَمْنَا أَفْسَا وَإِن لَّنُتَوَقَّفُ لِنَا وَتَرَحُّنَا إِلَيْكَ مِنْ الْخَيْرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ أَهَيْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا كُنْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا إِلَىٰ جِبْنَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢١﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَدْرٌ لَّنَا عَلَيْكُمْ لِيَأْسَ بُولُورِي سَوَاءٌ ذِكْرُكُمْ أَوْ لَيْسَ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ كَذَلِكَ نَبَيُّكُمْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَدْرٌ لَّنَا عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَأْسَهُمَا الْبِرِّ فَهُمَا سُوءُ رَيْسٍ أُولَئِكَ هُمُ الْوَقِيلَةُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ لِنَجْمَلْنَا الشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قَالُوا فَحِشَةً قَالُوا وَحَيْدًا عَلَيْهَا بَابُهُ نَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٥﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٦﴾

* في هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتنكره العقول، وأنه لا يأمر إلا بالعدل والإخلاص.

* وفيه دليل على أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى - بجعله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد وهو ضالٌّ، أنه لا عذر

له، لأنه متمكن من الهدى، وإنما آتاه حسبانه من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى.

﴿يَبْتِغِيْ عَادَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (٣١) ﴿

* ﴿يَبْتِغِيْ عَادَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها، ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها، ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِيْ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أَخْرِضْنِيْمْ لِأَوْلِيَّهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّوْنَا فَجَاءَتْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) وَقَالَتْ أَوْلِيَّهُمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٣٩) ﴿

* هذه الآيات ونحوها، دلت على أن سائر أنواع المكذبين بآيات الله مخلدون في العذاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافترائهم، وأن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أَخْرِضْنِيْمْ لِأَوْلِيَّهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّوْنَا فَجَاءَتْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلِيَّهُمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَسَدُ فِي سِرِّ الْجَيْبِ طِيلًا وَكَذَلِكَ تُجْرَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ رِجَالٌ يَمْشُونَ فِيهَا وَعِشْرَةٌ مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ فَوْقِهِمْ عِشْرَةٌ وَكَذَلِكَ تُجْرَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا يَكُفُّ عَنْهُمْ نَفْسًا أُخْرَى أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَذَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَسْبُ بِنُوْنِ هَذِهِ الْجَنَّةِ وَمَا كَانَتْ لِيَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَعَدَّ جَاهِدَ رُسُلًا رَبَّنَا إِنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٣﴾ وَأَنْ يَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَذَبُوا وَكَانُوا كَالْأَنْعَامِ بَلَاغًا لِّعَالَمٍ ﴿٤٤﴾ وَذَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَسْبُ بِنُوْنِ هَذِهِ الْجَنَّةِ وَمَا كَانَتْ لِيَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَعَدَّ جَاهِدَ رُسُلًا رَبَّنَا إِنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ وَأَنْ يَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَذَبُوا وَكَانُوا كَالْأَنْعَامِ بَلَاغًا لِّعَالَمٍ ﴿٤٦﴾

يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ❦

* مفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح لها أبواب السماء حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله من العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربهما والحظوة برضوانه.

❦ ﴿٥٥﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ❦

وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْيِيدَهُ رَبُّهُ يَأْتِي تَأْيِيدَهُ بِقَوْلِ الَّذِينَ نَسُوا مِن قَبْلُ قَد جَاءَتْ رُسُلٌ مِّنَّا بِالْحَقِّ قَهْلًا إِنَّا مِّنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَ إِنَّا لَأَوْلِيٌّ فَتَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ فَأَكْفَأُوا يُعَذِّبُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَأَلَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينَكُمَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْحَرَاتٌ بَأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْإِنشَاءُ إِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَقَنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾

❦ حاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء:

* الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية.

* وإخفاؤه وإسراؤه.

* وأن يكون القلب خائفا طامعا لا

غافلا، ولا آمنا ولا غير مبال بالإجابة،

وهذا من إحسان الدعاء فإن الإحسان

في كل عبادة بذل الجهد فيها، وأداؤها

كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ❦ في عبادة الله،

المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانا، كان أقرب إلى رحمة ربه،

وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى.

❦ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا

سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

* في هذا الحث على التذكر والتفكر في آلاء الله، والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْثُفًا مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ ﴿٥٧﴾

* اعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من

أبلغكم رسالت ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴿٥٧﴾ أو يجنبون
جاءكم ذكركم من ربكم على رجل منكم نذركم
وأذركم إذا جعلكم خلفاء من بعدكم فوئح وماذا كنتم
في الخلق بضطة فأنكروا إله الله لعلكم تفلحون
﴿٥٧﴾ قالوا اجنبتنا للعبادة لله وحده ونذركم ما كان يعبد
آباءنا وأنانا بما نهدنا إن كنت من الصديقين ﴿٥٧﴾
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
أجدي لوتى في أسماء سميتوهما أشعره ابنا لوتى
ماتزل الله بها من سلطان فأنظروا إلى معكم من
المنظرين ﴿٥٧﴾ فأنجبتهم وألزمتهم معه برحمة منا
وقطعت أذانهم الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين
﴿٥٧﴾ وإلى ثمود أخاهم صليحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره قد جاءكم من ربكم آية فمن
هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض
الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴿٥٧﴾

صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح، وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون، وأن لها فصيلاً حين عقروها رعى ثلاث رغبات وانفلق له الجبل ودخل فيه، وأن صالحاً عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني حمرة، والثالث مسودة، فكان كما قال.

* وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبء والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه

المذكورات، فإن صالحا قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوعدت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم [احمرار وجوههم، واصفرارها، واسودادها من العذاب] هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟! فالقرآن فيه الكفاية والهداية عما سواه. نعم لو صح شيء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمر التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقها.

﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ

فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨١﴾ .

آيسهم شعيب عليه الصلاة والسلام من

كونه يوافقهم من وجوه متعددة:

- من جهة أنهم كارهون لها
- مبعضون لما هم عليه من الشرك.
- ومن جهة أنه جعل ما هم عليه
- كذبا، وأشهدهم أنه إن اتبعهم

قال المصنف الذي استكبروا من قومه لخرجه عنك بشعيب
والذين آمنوا معك من قريبتنا أو لنعوذ من في مائتنا قال أولو
كنا كرهين قد أفتربنا على الله كذا إن عُدنا في ملتك بعد
إذ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وقال المصنف
الذين كذبوا من قومه أين أتبعتم شعيبا إن كذبنا لخير من
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم حزينين الذين
كذبوا شعيبا كأن لفتنة أفرها الذين كذبوا شعيبا كأفوا
هم لخير من فتول عنهم وقال يعقوب لقد أتبعتمكم
رسلك ربي ونصحتكم لكم فكيف آسى على قوم
كافرين وما أرسلنا في قريتين نبي إلا أخذنا أهلها
بالبأساء والضراء لعلهم يتقون ثم بدلتنا
مكان النسوة الحسنات حتى عرفوا ألو أقدمس آياتنا
الضراء والسرة فأخذتهم بغتة وهم لا يشعرون

ومن معه فإنهم كاذبون.

- **ومنها:** اعترافهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها.
- **ومنها:** أن عودهم فيها - بعد ما هداهم الله - من المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية.

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١١)

* هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا وجلًا أن يتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيًا بقوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد - ولو بلغت به الحال ما بلغت - فليس على يقين من السلامة.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْؤَةً وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١٤٥)

* ﴿وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ وهي الأوامر الواجبة، والمستحبة، فإنها أحسنها، وفي هذا دليل على أن أوامر الله - في كل شريعة - كاملة عادلة حسنة.

قَالَ يَمْؤُوسِي إِلَى أَصْطَفَيْتِكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالِي وَبِكَلِمِي
فَخَذَ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ
شَيْءٍ فَمَخَذَ هَا بَقُورًا وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِمَا نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ
السَّمِيقِ وَالنَّارِ لَيَأْخُذْنَ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِمَا نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ
السَّمِيقِ وَالنَّارِ لَيَأْخُذْنَ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِمَا نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ
السَّمِيقِ وَالنَّارِ لَيَأْخُذْنَ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ
دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

* فيها دليل على أن من أنكر كلام الله، فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية.

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

* قَالَ هُنَا: ابْنُ أُمَّ، هذا ترفيق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه.

﴿ وَمَنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُوتٍ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

* في هذا فضيلة لأمه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن الله تعالى جعل منهم هداة يهدون بأمره. وكان الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه

تعالى ذكر فيما تقدم جملة من معائب بني إسرائيل، المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

﴿ وَأَسْمَتْ نَارًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسْبَتْهُ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا النَّارَ الْبَيْتُ قَالَ عَذَابٌ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْيَاءِ وَرَحْمَةٌ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْنَا عَنْهَا الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّالِمَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٣﴾ وَمَنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُوتٍ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

* أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم. ﴿أَنْجِينَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤْمِ﴾ وهكذا سنة الله في عباده أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم الذين اعتدوا في السبت ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: شديد بما كانوا يفسقون. وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ﴾ فاختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاعتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعالهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَخْدِرَةٌ لِي رَبِّكُمْ وَعَلَيْكُمْ بَشَرَةٌ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا كُتِبَ لَهُمْ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّؤْمِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسَّيِّرَنَّ عَلَيْنَهُمُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ حَجِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَقَطَعْنَا نَهْرًا فِي الْأَرْضِ مِمَّا بَيْنَهُمُ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَنَوْا لَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّبِيحَاتِ لَعَابَةً يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَينِهِمْ خَلْفٌ وَرُوِيَ الْكِتَابُ يَأْخُذُونَ بِغَرْصِ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ سَيُفْقَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرْصٌ مِنْهُ يَأْخُذُوا أَلْفَوْادَ عَلَيْهِمْ وَيَتَّقِي الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَمَلُ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَرَسُولُهُ مُبِينٌ وَالَّذِينَ الْأَخْرَجُوا خَرُّوا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ أَقَالُوا تَقْبَلُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٤١﴾

﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾

* وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

* ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه

﴿وَإِذْ تَتَذَكَّرُ الْحِيلَ فَوَقَّهْرُكَ كَأَنَّهُ ظَلَمٌ وَظَلَمُوا أَنَّهُمْ وَافِقٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكَ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٥﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ مِنْهَا فَآتَيْنَاهُ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِمَا وَلَّىٰ سَئِيرًا أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ فَأَتَيْنَاهُ هَوْبَهُ حُمْلَةً كَعَمَلِ الْكَافِرِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَالْأَنْظُمِ ﴿١٧٨﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تَرْجِعُ لَهُ الْخَيْرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

في فطرهم، من الإقرار بأنه ربهم، وخالقهم، ومليكمهم. قالوا: «بلى» قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم. فكل أحد، فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير، وتبدل بما يطرأ على العقول من العقائد الفاسدة، وهذا ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات.

وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أقرؤا به في ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك. فإن هذا العهد والميثاق الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره، حين كانوا في عالم كالذر، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتج الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟ .



﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاَنْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ عَادٍ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكَ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا أَوْهَمْنَا أَلِيمَةً إِذْ كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٥﴾ أَوْ تَقُولُوا لِمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَدَنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَمْثَالَ لِقَوْمٍ يَعْرِفُونَ ﴿١٧٧﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾

* في هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه،

* وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاق العبد إلى الشهوات، يكون سبباً للخذلان.

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٧٨﴾

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٧٥﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِثْلًا لِّقَوْمٍ آخَرِينَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَمْثَالَ لِقَوْمٍ يَعْرِفُونَ ﴿١٧٧﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾

* هذه الآية الكريمة مبينة جهل من

يقصد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر. فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، ولا يدفع الضرر عن من لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والندارة، وعمل بذلك، فهذا نفعه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، الذي فاق

نفع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذرهم عن كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٤) *

* دل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ قَوْلَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٦﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا تَرَفَّتْ رِجُلَاكَ مِنَ الْإِسْحَاقِ إِذْ نَزَعْتَهُ مِنْ أَثَرِ الْعَقَبِ إِنَّ الْإِسْحَاقَ لَأَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ الْيَسْطِينِ فَذَكَّرْتَهُ إِذْ آتَاهُ مُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَأَخَوَاهُ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْآنَ فَذَكَرْتَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْآنَ فَذَكَرْتَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْآنَ فَذَكَرْتَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْآنَ فَذَكَرْتَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْآنَ فَذَكَرْتَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٤﴾



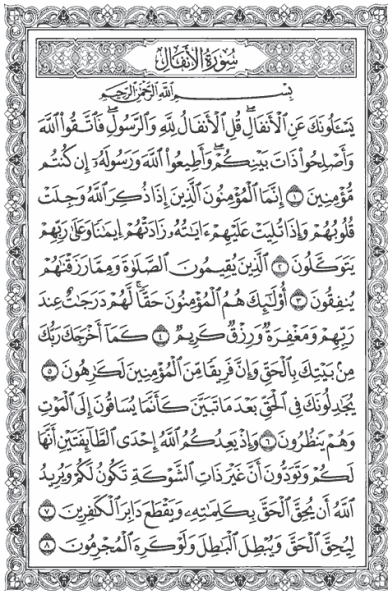
سُورَةُ الْأَنْفَالِ

* سورة الأنفال (مدنية).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ .

* يدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم، فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير، والأمر الجامع لذلك كله قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ .



* قدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها.

* وفيها دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها، وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميها، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ۝١٥
 وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءَ بِغَضَبٍ
 مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٦﴾

إِذْ تَسْتَعِيذُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِأَلْفٍ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ۝ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
 وَتَعْلَمِينَ بِهِ فَلَوْ كُفِّرُوا مَا لَمْ يَنْصُرُوا لَأَمِنَ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يَقُولُ لِطَائِفَةٍ مِّنْهُمْ قُمْ مَعِيَ
 وَعَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِّيُظْهِرَكُمْ بِهِ فِعْلَكُمْ
 بِرِجْزِ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
 ۝ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
 فَوْقَ الْأَحْتِقَاقِ وَاصْرَبُوا لَهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَلِكَ كَقُدُوفِهِ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ
 دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءَ
 بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝

* هذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد، ومفهوم الآية: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه

غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين.

* وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بها إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم. أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه الحال - أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد.

﴿فِيمَا تَنَقَّضْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمَّ مَن خَلَفَهُم لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

* دل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أعطِيَ عهداً لا يجوز خيانه وعقوبته.

﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

* دلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ وهنا قد كان معلوماً عند الجميع غدرهم.

* ودل مفهومها أيضاً أنه إذا لم يُخَفَ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾

﴿فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: أجبهم إلى ما طلبوا، متوكلاً على ربك، فإن في

ذلك فوائد كثيرة :

* **منها:** أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المتبدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

* **ومنها:** أن في ذلك إجماماً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

* **ومنها:** أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَوْ يَكُ مُعْتَبَرًا لِقَوْمٍ أَتَمَّتْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعْتَبَرُوا مَا أَتَمَّتْهَا وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ كَذَابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبَّهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَاهُ الْفِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَافٍ أَظْلَمِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ سَعْدَ الدَّوَالِيَّ عِنْدَ اللَّهِ الْبَرَّ كَقَرَأُوا فَهَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ الْبَرَّ عَهْدٌ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ فِيمَا تَنَقَّضْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمَّ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٦١﴾ وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ سَبُّوا إِلَهَكَ لَا يَعْجُبُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَعْدُوا إِلَهُكُمْ مَا اسْتَظَعُوا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَبْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ وَرِثَةِ الْآخِرِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ لَا تَسْلَمُونَ لَهُمُ اللَّهُ يَعْزِمُ لَهُمْ وَمَا تَأْتِفُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّى إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظُنُّونَ ﴿٦٤﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

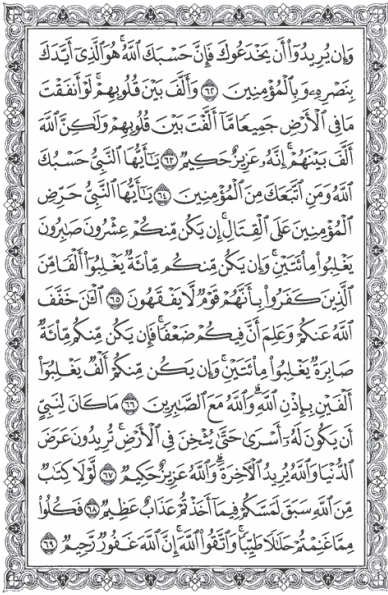
ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه. فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ ۖ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ ۖ ﴾

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوا فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَتَاكَ
بِصُرُوفِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَأَلْفٌ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ قَوْلُكَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا نَأْتِيكَ بِهَا قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
أَلْفٌ بَيْنَهُمْ لِيُدْعِيَ عَزِيرُكَ بِهَا يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ
اللَّهُ وَمَنْ أَجْعَلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ
اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا
أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَشِيرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ
الَّذِينَ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيمُكُمْ ﴿١٦﴾ لَوْلَا كُنْتُمْ
مِنَ الَّذِينَ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فَمَا آتَاكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَكُنُوا
مِمَّنْ يَنْتَظِرُونَ حَتَّى تَخْلُقَ اللَّهُ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾

* هذه الآيات صورتها صورة الأخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية. ولكن معناها وحقيقتها الأمر وأن الله أمر المؤمنين - في أول الأمر - أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار

لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، ولكن يرد على هذا أمران:



- **أحدهما:** أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع.

- **والثاني:** تقييد ذلك العدد أن يكونوا صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر. ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثلهم [إذا غلب على ظنهم الضرر] كما تقتضيه الحكمة

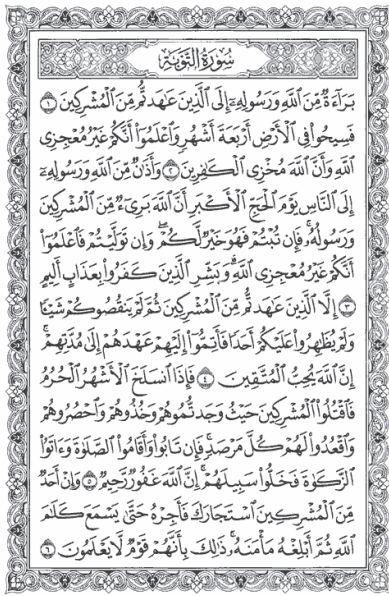
الإلهية. ويجاب عن الأول بأن قوله: ﴿ **الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ** ﴾ إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم وأمر محتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر. وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين. ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مباشرة بحصول ما أخبر الله به من النصر لهذا العدد القليل.



سُورَةُ التَّوْبَةِ

❖ سورة التوبة (مدنية).

❖ **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ❖



* في هذه الآية دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة، فإنه يقاتل حتى يؤديهما، كما استدل بذلك أبو بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

❖ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَتَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ** ❖

* في هذا حجة صريحة لمذهب أهل

السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: إن القرآن مخلوق. وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها!

❖ **وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ** ❖ **أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا**

هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران: أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨)

ثُمَّ يَتَأْتِي اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو جَوْلَانِ ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَدِّمُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَأْتِيهِمْ الْآخِرَةُ وَلَا يُحْسِنُونَ مَا حَزَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ إِنَّ اللَّهَ فَقَاهُمْ قَاتِلْتُمُ الَّذِينَ يُضِلُّونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْتُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقَهُمُ الْأُمُورَ ﴿٣٠﴾ وَرَهَبٌ يُهْرَبُونَ عَنْ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

* ليس المراد هنا نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها، والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تقذروهم من النجاسات، وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان طهارة، فالشرك نجاسة.

* وقوله: ﴿ إِنْ شَاءَ ﴾ تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا علقة الله بالمشيئة، فإن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين إلا من يحب.

* وتدل الآية الكريمة، وهي قوله ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كتابي وغيره.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُمْفَكُونَ ﴾ (٣٠)

* يدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرؤوا فيها على الله، وتنقصوا عظمته وجلاله. وقد قيل: إن سبب ادعائهم في عزير أنه ابن الله، أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حملة التوراة، وجدوا عزيرا بعد ذلك حافظا لها أو لأكثرها، فأملاها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُودُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُتِّمْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣٥)

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَاءَ أَنْ يَبْسُطَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَرَبِّهِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُودُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُتِّمْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَلَمٌ أَعْرَسَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةً حُجُورًا ذَلِكَ الْبَيْتُ الْقُدْسُ فَلَا تَقْضُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَاتَلْتُمْ بِقُرْبَانِكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

ذكر الله في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

- إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله.
- وإما أن يمسك ماله عن إخراجها في الواجبات.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْبُهُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَنَازِعَ اللَّهِ وَلَا تَقْرَبُوا مَنَازِعَ اللَّهِ عَظِيمًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَيْنِ إِذْ هِيَ فِي النَّجْدِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

* **النسيء هو:** ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم. وكان من جملة بدعهم الباطلة أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال، في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا - بأرائهم الفاسدة - أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا. فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه،

وجعلوا الشهر الحلال حراماً. فهذا - كما أخبر الله عنهم - أنه زيادة في كفرهم وضلالهم،
لما فيه من المحاذير:

- **منها:** أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه.

- ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا.
- ومنها: أنهم مَوَّهوا على الله بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.
- ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل.

﴿إِلَّا نَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

إِنَّمَا النَّبِيُّ رَسُولٌ كَمَا كَفَرُوا بِهَذَا النَّبِيِّ كَفَرُوا بِأَنْبِيَائِهِمْ قَبْلَهُ عَامًا وَنَحْنُ مُؤْتَمِرُونَ عَامًا لِيُؤَاطَفُوا عِدَّةَ مَا حَسَرَهُ اللَّهُ فَيَحْجِلُوا مَا حَسَرَهُ اللَّهُ نُفُوتَ لَهُمْ سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قَالْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِينَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعْنَا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤١﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُمْ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٣﴾

* في هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كافراً، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

* وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة

الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

* وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعب للقلب، موهن للعزيمة.

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

* في هذا دليل على أنه - كما يجب الجهاد في النفس - يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾﴾

* في هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبهه بالمنافقين.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿أساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة:﴾

* أعظمها أذية نبيهم الذي جاء هدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
بِمَا فِي الْحَبِوَةِ الذَّنْبِ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَصِرْفِونَ
﴿٥٤﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْقَهُونَ ﴿٥٥﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَخْرَجًا
لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٦﴾ وَهَنَّهُمْ مَنَ بِلِسَانِكَ فِي
الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
هُمْ يَسْتَعْظَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَسِيرِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَى فَهُوَ فِي الرِّقَابِ
وَالْقُرْبَىٰ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَاءُ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَهَنَهُمُ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ
النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

* ومنها: عدم اهتمامهم أيضا بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

* ومنها: قدهم في عقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلا، وأتمهم إدراكا، وأتقهم رأيا وبصيرة.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ
وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ
عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

يَخْلُقُونَ بِأَلْفِ لَيْسُو كُفْرًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَحَقُّ
أَنْ يُرْضَوْا إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ يَقَالُوا أَنَّهُ مِنْ
بِحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْتَ لَهُ تَارِكٌ حَتَّىٰ خَلِدَ فِيهَا
ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ
تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا
بِإِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ
وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَآئِفَةً
بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكِرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْقَلْبَانُ ﴿٦٦﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَاتِ تَارِكَةً خَالِدَاتٍ فِيهَا هُنَّ
حَسْبُهُنَّ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الْعَادَاتِ ﴿٦٦﴾

* في هذه الآيات دليل على أن من أسر
سريرة، خصوصا السريرة التي يمكر
فيها بدينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله،
فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها،
ويعاقبه أشد العقوبة. وأن من استهزأ
بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله
الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه،
أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر
بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل
ذنب، وإن كان عظيما.

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ
لَا يَحِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

* ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴾ أي يعيبون، ويطعنون ﴿ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي الصَّدَقَاتِ ﴿ فَيَقُولُونَ ﴾ مراؤون، قصدهم الفخر والرياء. ويلمزون

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم ﴿ فَيَسْحَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ فقبلوا على صنيعهم بأن ﴿ سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٦) فإنهم جمعوا في كلامهم هذا، بين عدة محاذير:

- **منها:** تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩].

- **ومنها:** طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.

- **ومنها:** أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

- **ومنها:** أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي [هو] إعانتة، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثيبتهم بها قالوا فيهم، وعابوهم عليه.

- **ومنها:** أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!

- **ومنها:** أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: «الله غني عن صدقة هذا» كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله - وإن كان غنيا عنهم - فهم فقراء إليه ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) [الزلزلة: ٧] وفي هذا القول من الشيطان عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْتَوْكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٨٣)

اسْتَفْعَزَ لَهُمْ أَوْلَى اسْتَفْعَزَ لَهُمْ إِنْ اسْتَفْعَزَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٣﴾ فَجَحَّ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجْهَدُوا بِأَمْرِ إِلَهُمْ وَنَفْسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْتَبِهُوا فِي الْحَرْبِ نَايِبَهُمْ أَنْتُمْ حُرٌّ تَوَكَّلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَلَيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيَبْكُوا كَثِيرًا لِحَاذَاتِهِ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْتَوْكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْبُدُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ أَعْمُوا بِاللَّهِ وَجِهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّلُوقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا عَلَى مَا كُنَّا نَفْعَلُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٨٥﴾

* فيه تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم.

﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (٨٤)

* في ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال

لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلح عليه.

* وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقررًا في المؤمنين.

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩١)

* يستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في [نفسه] أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن - وهو المسيء - كالمفرط، أن عليه الضمان، **﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** (٩١).

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا
 اللَّهُ مِنْ آخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِنَائِ الْعَلِيِّ
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ
 إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَ اللَّهُ لَا
 يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا
 لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ آخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
 اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِنَائِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
 لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
 عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن
 تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
 ﴿٩٦﴾ الْآخِرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ يَنْعَمُوا حُدُودَ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
 الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُبْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ
 الدَّوَابِرَ عَلَيْهِنَّ دَائِرَةٌ مِنَ السُّعْيِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
 الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِرُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُبْفِقُ
 قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْآنٌ لَهُمْ
 سَبِّحْ لَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

* تأمل كيف قال: ﴿ فَإِنَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ
 عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٩٦﴾ ولم يقل:
 (فإن الله لا يرضى عنهم) ليدل ذلك
 على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم
 مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله
 يتوب عليهم، ويرضى عنهم. وأما
 ما داموا فاسقين فإن الله لا يرضى
 عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو
 خروجهم عما رضيه الله لهم من الإيمان
 والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك، والنفاق، والمعاصي.

* وفي هذه الآيات إثبات الكلام لله تعالى في قوله: ﴿ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ
 آخْبَارِكُمْ ﴾، وإثبات الأفعال الاختيارية لله، الواقعة بمشيئته [تعالى]
 وقدرته في هذا.

* وفي قوله: ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ أخبر أنه سيراه بعد وقوعه .
 * وفيها إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين.

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ قُرْبَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾ ﴾

يَتَّخِذُونَ الْكُفْرَ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُم قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِن أَمْرِكُمْ وَسَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُؤْتِيكُمُ الْغَيْبَ وَاللَّهْدَى فَيَتَّبِعُهُمُ الْكَيْدَ إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ ۖ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغْرَضُوا عَنْهُمْ فَاغْرَضُوا عَنْهُمْ إِنْهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُؤْتِي الْكَيْدِ سَيُؤْمِنُونَ ۖ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّمَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ عَنِ الْقَوْمِ الْمَنفِيqِينَ ﴿١٧﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ قُرْبَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

* في هذه الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك.

* **ومنها:** أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخفف بحسب الأحوال.

* **ومنها:** فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفرا ونفاقا، وذكر

السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله.

* **ومنها:** أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك. فإن في معرفتها يتمكن من فعلها - إن كانت مأمورة بها، أو تركها إن كانت محظورة - ومن الأمر بها أو النهي عنها.

صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

* وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا

يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها.

* وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي أن يكون جهراً، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

* ويؤخذ من المعنى أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه. وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملاً صالحاً بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ

عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾

وفي هذه الآيات فوائد عدة :

* منها: أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار الذي اطلع على مقصود أصحابه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِسْعَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يَقْبَلُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَبَّلُونَهَا وَبِغْتَابُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالنَّوَارِثِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٨١﴾

* **ومنها:** أن العمل وإن كان فاضلا تغيره النية، فينقلب منها عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

* **ومنها:** أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها. كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وائتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله.

* **ومنها:** النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها.

* **ومنها:** أن المعصية تؤثر في البقاء، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد (قباء) حتى قال الله فيه: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ﴾، ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه.

* **ومنها:** أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية أربع قواعد مهمة، وهي:

- كل عمل فيه مضارة لمسلم.
- أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر.
- أو فيه تفريق بين المؤمنين.
- أو فيه معاونة لمن عادى الله ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه.

* **ومنها:** أن الأعمال الحسية الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها، ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرات.

* ومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى، فمسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى.

* ومنها: أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم. والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.

﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ
الزُّكُورُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ التَّيْبُوتُ
وَالنَّاهُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَقِيقَةُ لِيُحْدِثَ اللَّهُ
وَيَبَيِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّاتِ أَنْ يَقُولَ
أَنْ يَسْتَفْتُوا بِالْمُنْكَرِ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُوَّةٍ
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّتَ لَهُمْ آيَاتِهِمْ أَصْحَابُ الْمَجِيزِ ﴿١١٥﴾ وَمَا
كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَخِيهِ إِذْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَعَدَّهَا
إِسَاءَةً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَدُّ حَيْثُ وَجَّهَ وَجْهَهُ لِلدِّينِ الْحَقِّ وَالنَّبِيِّاتِ
هَدَيْتَهُمْ حَقَّ بَيِّنَاتٍ لَهُمْ فَايْتَقُونِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَمْلُوكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٥﴾
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْصَرِفِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٍ مِّنْهُمْ لَمَّا تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

* في هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه.

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

خَلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

* وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى

النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

* **ومنها:** لطف الله بهم، وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

* **ومنها:** أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

* **ومنها:** أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يخرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

* **ومنها:** أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين.

* **ومنها:** أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿خُلِفُوا﴾ إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، [أو خلفوا عن من بُتَّ في قبول عذرهم، أو في رده] وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: (تخلفوا).

* **ومنها:** أن الله تعالى منَّ عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالافتداء بهم فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١٩﴾

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ

وَعَلَى الْفَلَكَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّاءَ إِلَيْهِ تَوَارَبَ عَلَيْهِمْ رُسُلُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَوِيُّ الرَّحِيمُ ﴿١١٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٠﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ يَوْمَئِذٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَا يُضِيعُونَ فَتْحًا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا أَكْبِتُوا وَكَانَ اللَّهُ أَخْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا فَتْرُوهِنَّ لَفِئَةٌ قَائِمَةٌ لِّيَنْتَفِعَنَّهُ فِي الَّذِينَ يُبَدِّلُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٤﴾

مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُوتُ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

وَعَلَى الْفَلَكَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أُسُفُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَمَلْجَأٌ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ تُنَادُوا بِعَلَيْهِمْ لِيَسْتَوْبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢١﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا أَعْتَبَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا يَرَعَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُوتُ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾



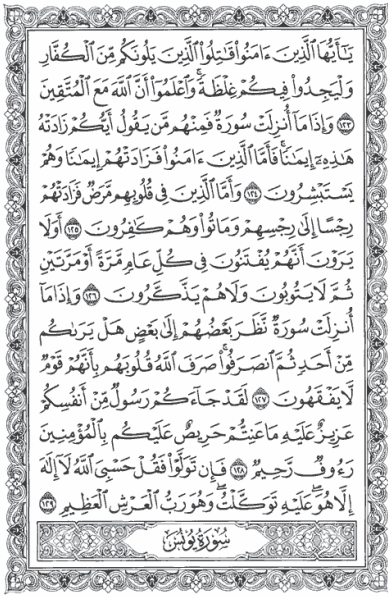
* في هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير.

﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

* في هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه، فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره الذي ينمى له. وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما.

* وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبية لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن



المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٢٦) ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (١٢٧) ﴿﴾

* في هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميّه، ليكون دائما في صعود.



سُورَةُ يُونُسَ

* سورة يونس (مكية).

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّيَالَةَ أَيُّكَ الْكَبِيرُ ﴿٥﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَرْتَحِبْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ وَنُبَيِّرَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقِي عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ
إِنَّ هَذَا السِّجْرُ مِثْلُ آبِ الرَّيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بِدَبْرٍ أَلْمَزَّ
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ دَعَا إِلَيْكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُوهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ حَمِيمٍ
وَصَدَائِقِهِمْ يَسَآكُونُ أَكْفُرُونَ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٩﴾

* في هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تفتح البصيرة، ويزداد الإيـان والعقل، وتقوى القرية، وفي إهمال ذلك تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيـان، وجمود للذهن والقرية.

﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾.

* يدخل في هذا، أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه هلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حلـم حكيم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرْنٍ

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ۗ إِنَّ اللَّهَ

أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

* يستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، لأن الله أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده.

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ

إِنِ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

الآيَاتُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٠﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَتَّخِذُونَ الْكٰفِرِينَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾

* يقول تعالى مخبراً عن بهت المشركين لرب العالمين: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ فزعه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿ سُبْحٰنَهُ ۗ ﴾ أي: تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقائص إليه علواً كبيراً، ثم برهن على ذلك، بعدة براهين: - أحدها: قوله: ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ أي: الغني منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له

الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه، فإذا كان غنياً من كل وجه، فلا شيء يتخذ الولد؟ الحاجة منه إلى الولد؟ فهذا منافع لغناه فلا يتخذ أحد ولداً إلا لنقص في غناه.

- البرهان الثاني: قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد ممالك. ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون

له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقاً ولا مملوكاً. فملكيته لما في السماوات والأرض عموماً، تنافي الولادة.

- البرهان الثالث: قوله: ﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ بِهٰذَا﴾ أي: هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن الله ولداً، فلو كان لهم دليل لأبدوه، فلما تحداهم وأعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه. وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) فإن هذا من أعظم المحرمات.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنَبِّئُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرُ
قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلَمْ يَأْتِكُمْ مَلٰٓئِكَةٌ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا الْفُتُوٰقَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ إِلَّا سِحْرٌ وَإِنَّ اللَّهَ سَابِقٌ لِطٰغُوتِ الْإِنسٰنِ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٨﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْمَيِّتَ بِكَلِمٰتِهِ وَأَلْوَكْرَةَ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٩﴾ فَمَاءَ أَمِنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهِمَٰنَ يَفْتِنُهُمْ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُتْرَفِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُعْتَمِرُ
كُنُوزَ أَمْسِمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَأَلَا أَن كُنْتُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٢١﴾
فَقَالُوا أَعْلَىٰ اللَّهُ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾
وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِهِمْ كَمَا بَوَّءَا لِقَوْمِهِمْ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
قِبٰلَةَ الْقِبْلَةِ الْأَشْرَفِ وَأَنبِئْهُمُ الْغُورِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِزَعْوَةٍ وَإِنَّا لَمُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيٰوةِ
الْأَدْنَىٰ رَبَّنَا لِضُبُلِنَا عَلٰٓءٌ سَبِيْلًا رَبَّنَا اطْمِسْ عَلٰٓءَ أَمْوَالِنَا
وَأَشْدُدْ عَلٰٓءَ قُلُوبِنَا فَلَا نُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٦﴾

﴿فَمَا أَمِنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ﴾
﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾
﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الْمُتْرَفِينَ﴾ (١٦-٢٠)

* الحكمة - والله أعلم - بكونه ما آمن
لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية
والشباب أقبل للحق، وأسرع له
انقياداً، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن

تربى على الكفر فإنهم - بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة - أبعد
من الحق من غيرهم.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦)

* هذا دليل على أن موسى، [كان] يدعو، وهارون يؤمن على دعائه، وأن الذي
يؤمن يكون شريكاً للداعي في ذلك الدعاء.

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿١٤﴾

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَوَيْتُمْ وَلَا تَجْعَلُوا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَجَوِّزْنَا بِنَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ بِلِ الْبَيْتِ فَاتَّبِعُوهُ وَيُحْسِنُوا وَحُسْنُهُمْ بِغَيْرِ عَدْوٍ وَأَحْسِنُوا إِذَا أَدْرَكَهُ الْقَرْعُ قَالَ ءَامَنَّا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَّا بِهِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ءَالْقُرْآنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ ءَالْيَوْمِ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِيَسْكُنَ لَعْنُ حَلْفِكَ ءَابِيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَابِيَتِنَا لَيَقُولُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْقَالَ حَبِّ الْبُرِّ أَن يُصَدِّقُوا بِرَبِّكَ فَنَجَّيْنَاكَ بِبَدَنِكَ لِيَسْكُنَ لَعْنُ حَلْفِكَ ءَابِيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَابِيَتِنَا لَيَقُولُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْقَالَ حَبِّ الْبُرِّ أَن يُصَدِّقُوا بِرَبِّكَ فَنَجَّيْنَاكَ بِبَدَنِكَ لِيَسْكُنَ لَعْنُ حَلْفِكَ ءَابِيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَابِيَتِنَا لَيَقُولُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْقَالَ حَبِّ الْبُرِّ أَن يُصَدِّقُوا بِرَبِّكَ فَنَجَّيْنَاكَ بِبَدَنِكَ لِيَسْكُنَ لَعْنُ حَلْفِكَ ءَابِيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَابِيَتِنَا لَيَقُولُونَ ﴿٢٠﴾

* **إن قيل:** إن كثيرًا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته، والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانًا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

﴿ **فالجواب عن هذا، من عدة أوجه:**

* **منها:** أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم. وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كـ(عبدالله بن سلام) [وأصحابه وكثير ممن أسلم في وقت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وخلفائه، ومن بعده] و«كعب الأخبار» وغيرهما.

* **ومنها:** أن شهادة أهل الكتاب للرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه. فإذا كان موجودًا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدق، ويشهد له بالصحة، فلو اتفقوا من أولهم لآخريهم على إنكار ذلك لم يقدح بما جاء به الرسول.

* **ومنها:** أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد. ومن المعلوم أن كثيرًا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فلو كان عندهم ما يريد ما ذكره الله، لأبدوه وأظهروه وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه.

* **ومنها:** أنه ليس أكثر أهل الكتاب رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعًا واختيارًا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب. فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياستهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجًا لملكهم، وتمويهًا لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البينة الظاهرة.



سُورَةُ هُودٍ

﴿سورة هود (مكية).﴾

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ ۖ وَضَائِقٌ بِهِ ۖ صَدْرُكَ ۚ أَنْ يَقُولُوا ۖ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ۖ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ ۖ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ۖ افْتَرَبَهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ ۖ مُفْتَرِيَاتٍ ۖ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ۖ فَاعْلَمُوا ۖ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ۖ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾
فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْخَيْرَ
الَّذِي تَارِبًا رَبَتْهَا أَوْفَىٰ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُخْسِرُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
الْأَسْأُ وَحَيْطٌ مَا صَبَّغُوا فِيهَا وَيَطِيلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِّنْ زَيْهٍ وَرَيْهٍ وَسَاهِدٍ مِّنْهُ وَمَنْ قَبْلِهِ
يَكْتُبُ مَوْحِيًّا إِنَّمَا وَحْيُهُمُ الْأُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِّنَ الْأَخْرَابِ قَالَ مُرَادٌ مَّوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِّنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَمَنْ
أَطْرَفَ مَعَنَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَسْعَوْنَ فِيهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾

* في هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصدده اعتراض المعارضين، ولا قدح القادحين. خصوصاً إذا كان القدح لا مستند له، ولا يقدر فيها دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب.

* وفيها: أن هذا القرآن معجز بنفسه، لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء تحادهم الله بذلك، فلم يعارضوه، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم على ذلك.

* وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَآن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٧).

* دل هذا على أن نوحا، عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن عنده علم، بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه محرم، داخل في قوله: ﴿وَلَا تُخَاطَبُ فِي الدِّينِ ظُلْمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ (٢٧)، بل تعارض عنده الأمران، وظن دخوله في قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وبعد ذلك تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم، والمراجعة فيهم.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتوبوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٦١).

إِنَّ قَوْلَ لَّا أَعْرَبُكَ بَعْضُ الْعَهْتَاءِ يَسْتَوْقَلُ إِلَى أَشْهَدَ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ وَمَتَّانَةٌ كَرْتٌ ۖ مِّن دُونِهِ فَيَكُونُ جَمِيعًا لَّا يُنْظَرُونَ ۖ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا أَهْوَأُ لَئِذَا بَتَأْتِيهَا مِنِّي رَبِّي صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۖ فَإِن قَوْلُوا أَتَقَدَّرُ بِنَافِلَتِكُمْ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُمْ شَيْئًا إِن رَّبِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۖ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِّنَا هُوَذَا الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَرَحِمْتَنَا وَنَجَّيْنَا مَن مِّنْ عَذَابِ غَلِيظٍ ۖ وَذَلِكَ عَدَابُ جَدِّ وَأَبِي آدَمَ رَبِّهِمْ وَعَصُوا أَوْسُلَهُمْ وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۖ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ الْآلِ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا عِدَّةً أَلْفًا قَلِيلًا ۖ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتوبوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۖ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ آبَاءَنَا لَمِن شَرِّ قَوْمٍ فَاتَّبَعُوا آبَاءَهُمْ قَرِيبٌ

* اعلم أن قربته تعالى نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربته بعلمه، من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) [ق: ١٦]، والقرب الخاص: قربته من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (١١) [العلق: ١٩] وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وهذا النوع قرب يقتضي إلفه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه (القريب) اسمه (المجيب).

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لِيثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ

حَنِيدٍ ﴿٦١﴾

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّي وَآتَيْتَنِي مِنهُ رَحْمَةً مِّن يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦١﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٢﴾ فَصَرُّوهَا فَقَالَ تَمَسُّعُوا فِي دَارِكُمْ فَلَمَّا آتَاكُمْ ذَلِكَ وَعَدُّكُمْ مَكْرًا وَقِبَلْتُمَا آيَةَ الرَّسُولِ مَنَاجَاةً أُنزِلَتْ بِحُجَّتِنَا صَالِحًا وَالذِّكْرَ أَسْمَأُ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمٍ إِذْ ذُكِرْتُمْ هُنَا لَقَوْتُمْ عُتْبَرَ ﴿٦٣﴾ وَالْحَدَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِينِهِمْ حَتِيبَاتٍ ﴿٦٤﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتِنَا فَكُرُوهَا كَمَا كُرُّوا بِرَبِّهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْقَمُودِ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لِيثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لَّطِيفِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَمْرًا نَقِيسُهُ فَصَدَّكَ عَنْهَا يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٨﴾

* في هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* وأن السلام قبل الكلام.

* وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، وردة بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوِرَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا

تَنْقُصُوا أَلْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقَوِرَ أَوْفُوا أَلْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ

تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقَوِرَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنهُ

رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ

وَيَقْوَرُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ لِيَكُنَّ
 بِعَبِيدٍ ﴿٨٨﴾ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُذَوِّدُكُمْ وَأَسْتَفِيءُ لَكُمْ إِنَّ رَبِّي
 لَخَبِيرٌ بِالْعَاصِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لَوِ اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ
 آلِهَةً مَعَ اللَّهِ كَيْفَ يُقْوَرُ أَرْضِيكُمْ أَنْ تُعْبُدُوا اللَّهَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ لِكَيْ تَتَّقُوا
 مِثْلَ قَوْمِ لُوطٍ وَإِنِّي لَمُرْسَلَةٌ إِلَىٰ عَسَافِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ
 سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ
 وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٠﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِّنَا
 شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَلْخَذتْ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩١﴾
 كَانُوا لَمَّا بَدَأْنَا الْآبَاءَ الْمَدِينِ كَمَا بَدَأتْ ثَمُودٌ ﴿٩٢﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِكَتِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَعْمَىٰ فَرِغْوَانًا وَمَا أَكْفَرُوا بِرِشِيدٍ ﴿٩٤﴾

مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
 وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقْوَرُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي
 أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
 هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ
 بِعَبِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
 تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا
 يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ
 فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا
 أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقْوَرُ أَرْضِيكُمْ
 أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ

ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقْوَرُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي
 عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي
 مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِّنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَأَلْخَذتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَمَّا بَدَأتْ ثَمُودٌ
 بَعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَدَأتْ ثَمُودٌ ﴿٩٥﴾

* وشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، وفي

قصته من الفوائد والعبر، شيء كثير:

- منها: أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون بأصل الإسلام، فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد مرتباً على مجموع ذلك.
- ومنها: أن نقص المكايل والموازين، من كبائر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان

سرقتهم في المكايل والموازين موجبة للوعيد، فسرقتهم على وجه القهر والغلبة من باب أولى وأحرى.

- **ومنها:** أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب بنقيض ذلك، وكان سبباً لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: ﴿إِنِّي أَرْزُقُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ أي: فلا تسببوا إلى زواله بفعلكم.

- **ومنها:** أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام، وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ففي ذلك من البركة، وزيادة الرزق ما ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة.

- **ومنها:** أن ذلك من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل، فالإيمان ناقص أو معدوم.

- **ومنها:** أن الصلاة لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، وتقديمها على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبإقامتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها تختل أحواله الدينية.

- **ومنها:** أن المال الذي يرزقه الله للإنسان - وإن كان الله قد خوله إياه - فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما يزعمه الكفار، ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاؤون ويختارون، سواء وافق حكم الله، أو خالفه.

- **ومنها:** أن من تكلمة دعوة الداعي وتمامها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿وَمَا

أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمُ إِلَى مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ ﴿٢﴾، ولقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

- **ومنها:** أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان، فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها، أو بتحصيل ما يقدر عليه منها، وبدفع المفسد وتقليلها، ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة. وحقيقة المصلحة، هي التي تصلح بها أحوال العباد، وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية.

- **ومنها:** أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح، لم يكن ملوما ولا مذموما في عدم فعله ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه، وفي غيره ما يقدر عليه.

- **ومنها:** أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يزال مستعينا بربه، متوكلا عليه، سائلا له التوفيق، وإذا حصل له شيء من التوفيق، فلينسبه لموليه ومسديه، ولا يعجب بنفسه لقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

- **ومنها:** الترهيب بأخذات الأمم، وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر. كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

- **ومنها:** أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه، فإن الله تعالى يحبه ويوده، ولا عبرة بقول من يقول: «إن التائب إذا تاب، فحسبه أن يغفر له، ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود» فإن

الله، قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ﴿١٠١﴾.

- ومنها: أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك، لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان. فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدينية، لكان أولى، من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدينية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عملاً وخدمًا لهم. نعم؛ إن أمكن أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام، فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة، والله أعلم.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَفْعُلُوهَا مَا يَفْعُلُونَ لِأَلَّا يَكْفُرُوا
 ءَابَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَأَنَا لَمُؤْمِنٌ فَصِيْبُهُمْ عَيْرٌ مَنفُوسٍ
 ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَتَوَلَّى كَلِمَةً
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ فَفَضِلْ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
 ﴿١٠٢﴾ وَإِنْ كُنَّا لَأَيُّؤُونَكَ مِنْ رَبِّكَ أَهْمًا لَمَنْ أَنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ
 حَبِيرٌ ﴿١٠٣﴾ فَأَسْتَفِزْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَلَّعْ
 إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا
 لَانصُرُونَ ﴿١٠٥﴾ وَأَقْبِرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلَاتِهَا
 الْيَلِيلُ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَنِ
 لِلذَّكِرِينَ ﴿١٠٦﴾ وَأَضْرِبْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١٠٧﴾ فَتَوَلَّى كَانٍ مِنَ الْفُرُونَ مِنْ قَبْلِ كَوْنِ أَوْلِيَاءِ يَتَهَمُونَ
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ آمَنُوا مِنْهُمْ وَأَتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا بِهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا
 كَانَ رَبُّكَ لِيُجْلِكَ الْقُرْبَىٰ بظلمهم وأهلها المضلحون ﴿١٠٩﴾

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ
 وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا
 تُنصُرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

* في هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى

الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية من الظلم.

﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١١٥)



* في هذا ترغيب عظيم، للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله، كلما ونت وفترت.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١١٦)



* في هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس،

قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى. وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إماما في الدين، إذا جعل عمله خالصا لرب العالمين.



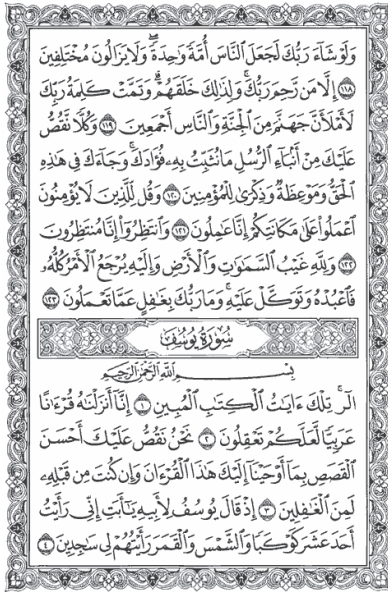
فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ وَإِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُرَفُوهُمْ يُضِلُّهُمْ عَنْ مَرْمُوسِ
 ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَوَلَّى كَلِمَةً
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقِضَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مِنْهُ مَرِيبٌ
 ﴿ وَإِنَّا لَلْآتِقُونَ عُوقُوتَ رَبِّكَ أَتَمَّ لَهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ
 حَيْرٌ ﴿ فَاسْتَفْعِرْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعَنُوا
 إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَتَمَسَّكُوا النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصَرُونَ ﴿ وَأَقْرَبُ الصَّلَاةِ عَطْفِي النَّهَارِ وَرَأْفَتَيْنِ
 الْبَلِّ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَ
 لِلذَّكَّيرِ ﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿ وَمَا
 كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿

سُورَةُ يُوسُفَ

✽ سورة يوسف (مكية).

✽ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ

مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ✽.



* اعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرِك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر

يتتهي إلى هذا الحد قبحا! فإن تضاعف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل.

✽ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ

هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ✽.

* فيه بشارة له بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض.

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ، وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣١)

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ، وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَهُنَّ رَبِّيَ، كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَسْتَجَابَ آيَاتِهَا وَقَدَّتْ قَيْصُومَهُ، مِن دُبُرِهَا أَلْقَيْتُهَا لِذَا الْيَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَتْني عَن نَفْسِي، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَيْصُومُهُ، وَقَدْ مِّنْ نُجُيٍّ فَصَدَقَتْ، وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ قَيْصُومُهُ، وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ، وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُومَهُ، وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ، إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا، وَأَسْتَفْهَرَ لِدُنْيَاكَ، إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّاها عَن نَّفْسِهَا، فَذَاقَتْ وَجْدَهَا، وَاتَّخَذَتْ لَهُ رَقِيبًا، فَأَبْدَى إِلَيْهَا فَتَىٰ بطنها، فَضَلَّتْ رِجْلًا، وَنَجَّىٰ يوسُفَ ﴿٣٩﴾

* هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا، وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فُلْمَا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ، وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١)

* كان هذا القول منهن مكرًا، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحنق امرأة العزيز، وترهين إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرًا، فقال: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

* هذا يدل على أن النسوة جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيده، وجعلن يكدنه في ذلك.

﴿ وَاتَّبَعَتْ مَلَءَءِ ابَاءِيَ إِِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَان لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

وَاتَّبَعَتْ مَلَءَءِ ابَاءِيَ إِِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَان لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْصِيحِي السِّجْنَ وَأَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ أَلْتَجِدُ الْقَهَّارَ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَشْرَءَ آبَاءِكُمْ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِن سُلْطَانٍ إِن لِّلْكَوْالِبِ لَآيَةٍ ﴿٤٠﴾ أَمَرَ الْأَنْبِيَاءَ وَإِلَّا يَأْتِهِ ذَٰلِكَ الْيَوْمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ يَصْصِيحِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا يَسْتَعِي رَبَّهُ رَحْمَةً وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الْقُلُوبُ مِن رَّأْسِهِ يُضَى الْأُمُرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَدَهُ السِّجْلُ لَمْ يَكُنْ فِي رُؤْيِهِ فَلَمَّتْ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سِتْرَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنِعَ عِجَافٌ وَسِنِعَ سُبُلَاتٍ خُضِرٌ وَأَخْرَجَ بَابِيَّتٍ بِأَيْمَانِهَا أَمَلًا أَفْطُونِي فِي رُؤْيِي إِن كُنْتُمْ لِلزُّلْمَةِ يَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٤﴾

* في هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتين لما تقرر عنده أنها رآياه بعين التعظيم والإجلال - وأنه محسن معلم - ذكر لها أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث منَّ عليَّ بترك الشرك واتباع ملة آبائه، فبهذا وصلت إلى ما رأيتهما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

﴿ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ .

* ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإننا لا نعبرها. فجمعوا بين الجهل والجزم بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا.

* وهذا أيضاً من لطف الله بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملائ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها - لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية، فعبها يوسف - وقعت عندهم موقعا عظيما، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سأهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «أنا لها، أنا لها» فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فبسبحان من خفيت أطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان إلى خواص أصفياه وأوليائه!

﴿ قَالُوا سَنُرْوِدُّ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ٦١ ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي

﴿ وَمَا أُوتِيَ نَفْسٌ إِذْ نَفْسٌ لَأَتَمَّ أَرْبَابَهُ بِالسُّوءِ وَالْإِمَارَةِ رَبِّي إِذْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ٦٢ ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُوبِي بِهِ أَمْ تَخْلِي سَبِيلَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ ٦٣ ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾ ٦٤ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا أَمْرَهُ حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٦٥ ﴿ وَلَا نُجْزِ الْأَجْرَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْبُرْجَانُ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٦٦ ﴿ وَجَاءَ إِخْوَتَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ٦٧ ﴿ وَلَمَّا جَاهَهُمْ بِجَاهِهِمْ قَالَ أَتُوبِي بِأَجْرِكُمْ إِنِّي أَمِيرٌ آلِ فِرْعَوْنَ أَزْوَاجٌ لَكُمُ الْكَيْلُ وَإِنِّي أَتُوبِي بِهِ فَمَا كُنْتُمْ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ ﴾ ٦٨ ﴿ قَالُوا سُرْوِدُّ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ٦٩ ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِجَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ٧٠ ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَصْكُنْ لَهٗ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ٧١ ﴿ قَالَ هَلْ ءَأَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَأَمْنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَفِيظٌ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ٧٢ ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزَادُ كَيْلَ

رِجَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَصْكُنْ لَهٗ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَأَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَأَمْنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَفِيظٌ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزَادُ كَيْلَ

بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ .

* ﴿قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ دل هذا على أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مولعا به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ لما أمرتنا به.

* ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَلْعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ هذا دليل على أنه قد كان معلوما عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها. ف ﴿قَالُوا﴾ لأبيهم - ترغيباً في إرسال أخيهم معهم: ﴿يَتَأَبَانَا مَا نَبْنِغِي﴾ أي: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وثق لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَمَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعِبْرَةُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا لَقَدْ فَضَّلْنَا الْمَلِكَ وَلَئِن جَاءَ بِهِ بِجَمَلٍ بِعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَفَمَا جِئْتُمُوهُ إِذْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِزْلُوهُ مِنْ وَجْدِ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جِزْلُوهُ كَذَلِكَ تَجْرَى الظُّلُمَاتِ فِي أَدْبَارِ ابْنِ عِيسَى قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَّ جِهَانِ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَيْدَ تَالْيُوسُفَ مَا كَانَ لِأَخِيهِ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرَفَعَ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَقَوَى كَيْلَ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٧٠﴾ قَالُوا إِن يَسْرِفْ فَقَدْ سَرَفَ أَخَاهُ مِنْ قَبْلُ فَاسْرَحْهُ يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أُنْتُمْ سَرَفْتُمْ كَمَا أَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَانَا سَيِّئًا كَيْدًا فَخُدْ لِحَدِّ تَامِكَةَ اللَّهُ وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٢﴾

* فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبروا من أحوالهم ما يدلهم على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهمهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: «تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق».

﴿يَبْنِغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ﴾

وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

* دل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه .

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾

* ﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ هذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه لا ينبغي ولا يليق منهم .

﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾

فَلَمَّا آتَى جَاءَ الْبَيْتِ الْقُدْسَ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَرَادَ بِصَبْرٍ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا
يَا أَبَتَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٠﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩١﴾ فَلَمَّا
كَحَلُوا عَلَى يُوسُفَ وَأَوْتَعَهُ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴿٩٢﴾ وَرَفَعَ أَبُوبِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ
مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّي
قَدْ آتَانِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمَنِي مَا أَرِيدُ مِنَ الْحَدِيثِ
فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْغَيْبِ وَالْآخِرَةُ
تُوفَى بِمُسْلِمٍ وَالْحَقِيقِيُّ بِالصِّدِّيقِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْعَلَمِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ تَلْمِزُهُمْ إِذْ اجْتَمَعُوا أَمْرُهُمْ
وَمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا كُنْتَ تُلْمِزُهُمْ إِذْ اجْتَمَعُوا بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

* هذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الحب، لتتام عفوّه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي. فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: (أحسن بكم) بل قال: ﴿ أَحْسَنَ بِي ﴾ جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته

من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب .

* ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ﴿١٠٠﴾ فلم يقل (نزغ الشيطان إخوتي) بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة .

فصل في ذكر شيء من الفوائد في هذه:

* **من ذلك:** أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنّة، ومن ذل إلى عز، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع واتتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبيّنها.

* **ومنها:** أن فيها أصلاً لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشاكلة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين.

* **وجه المناسبة فيها:** أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها، فكذا الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

* **ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث،** فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته.

* **ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود [له] معظم محترم،** فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظما محترما عند أبيه وإخوته.

* ومن لازم ذلك أن يكون مجتبي مفضلاً في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾. ومن المناسبة في رؤيا الفتين، أنه أول رؤيا الذي رأى أنه يعصر خمرا، أن الذي يعصر في العادة، يكون خادما لغيره، والعصر يقصد لغيره، فلذلك أوله بما يؤول إليه، أنه يسقي ربه، وذلك متضمن لخروجه من السجن.

* وأول الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، بأن جلدة رأسه ولحمه، وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل.

* وأول رؤيا الملك للبقرات والسنبلات، بالسنين المخضبة، والسنين المجدبة. ووجه المناسبة أن الملك به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية، واستقامة أمر المعاش أو عدمه.

* وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، ويستقى عليها الماء، وإذا أخضبت السنة سمنت، وإذا أجدبت صارت عجافا، وكذلك السنبال في الخصب، تكثر وتخضر، وفي الجذب تقل وتيبس، وهي أفضل غلال الأرض.

* ومنها: ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قص على قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحدا. يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، وهو أمي لا يحط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون.

* **ومنها:** أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تحشى مضرتة، لقول يعقوب ليوسف ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* **ومنها:** أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

* **ومنها:** أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾، ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.

* **ومنها:** أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه، حتى في معاملة الوالد لأولاده، في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وآثره على إخوته، جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم.

* **ومنها:** الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبا متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبكون، ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث حصل من الإخبار بالكذب والافتراء، ما حصل، وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة.

* **ومنها:** أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين. ولهذا - في أصح الأقوال - أنهم كانوا أنبياء لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣] وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن في رؤيا يوسف، أنه رآهم كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة.

* **ومنها:** ما من الله به على يوسف **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، والدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفوا بادرهم به، وتمم ذلك بأن لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به. ثم بره العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، بل لعموم الخلق.

* **ومنها:** أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقاءه أرضا، وقال قائل منهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

* **ومنها:** أن الشيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال، ولم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع، أنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع، أو استعمال، فإن يوسف **عَلَيْهِ الصَّلَامُ** باعه إخوته بيعا حراما لا يجوز، ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها، وبقي عند سيده غلاما رقيقا، وسماه الله شراء، وكان عندهم بمنزلة الغلام الرقيق المكرم.

* **ومنها:** الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توخّدها بيوسف، وحبها الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة.

* **ومنها:** أن الهمّ الذي همّ به يوسف بالمرأة ثم تركه الله، مما يقربه إلى الله زلفى، لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى. فكان ممن ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله»، وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير عزما، ربما اقترن به الفعل.

* **ومنها:** أن من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [٢٤] على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله أخلصه الله، وخلصه من السوء والفحشاء.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية، لأن يوسف عليه السلام - لما راودته التي هو في بيتها - فر هاربا، يطلب الباب ليتخلص من شرها.

* **ومنها:** أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار، فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة. وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة حرفتهما من غير بينة، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر، من هذا الباب، فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قد القميص، واستدل بقده من دبره على صدق يوسف وكذبها. ومما يدل على هذه القاعدة، أنه استدل بوجود الصواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير بينة شهادة ولا إقرار، فعلى هذا إذا وجد المسروق في يد السارق، خصوصاً إذا كان معروفًا بالسرقة، فإنه يحكم عليه بالسرقة، وهذا أبلغ من الشهادة، وكذلك وجود الرجل يتقياً الخمر، أو وجود المرأة التي لا زوج لها ولا سيد، حاملاً فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقم مانع منه، ولهذا سمي الله هذا الحاكم شاهداً فقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

* **ومنها:** ما عليه يوسف من الجمال الظاهر والباطن، فإن جماله الظاهر، أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أوجب، وللنساء اللاتي جمعتهن حين لمنها على ذلك أن قطعن أيديهن وقلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١). وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها، وشهادة امرأة العزيز والنسوة بعد ذلك ببراءته، ولهذا قالت امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾، وقالت بعد ذلك: ﴿الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١)، وقالت النسوة: ﴿حَشَى لِّلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

* **ومنها:** أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين - إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية - أن يختار العقوبة الدنيوية على مواجهة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة،

ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقي في النار.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

* **ومنها:** أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس، وإن كان معصية ضارا لصاحبه.

* **ومنها:** أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء، فعليه عبودية له في الشدة، فـ (يوسف) **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن استمر على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك. ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيها قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظن الحسن وقالوا له: ﴿إِنَّا نَرْنَكَ **مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾**﴾، وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرآهما متشوفين لتعبيرها عنده - رأى ذلك فرصة فانتهازها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولا، أن الذي أوصله إلى الحال التي رآها فيها من الكمال والعلم، إيمانه وتوحيده، وتركه ملة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن عليه.

* **ومنها:** أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف - لما سأله الفتيان عن الرؤيا - قدم لهما قبل تعبيرها دعوتها إلى الله وحده لا شريك له.

* **ومنها:** أن من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

* **ومنها:** أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه، وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قد قال، ووصى أحد الفتیین أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه.

* **ومنها:** أنه ينبغي للمسؤول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده، فإن يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم - مع ذلك - على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته.

* **ومنها:** أنه لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمد على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

* **ومنها:** فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال

يوسف، فإن يوسف - بسبب جماله - حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

* **ومنها:** أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير المرثي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٤١)، وقال الملك: ﴿ أَقْتُونِي فِي رُءْيَايَ ﴾، وقال الفتى ليوسف: ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ﴾ الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

* **ومنها:** أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٥)، وكذلك لا تدم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يدم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فهذه الأمور ينهى عن طلبها، والتعرض لها.

* **ومنها:** أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي، وفضله العظيم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا جَزَاءُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴾ (٥٧).

* **ومنها:** أن جباية الأرزاق - إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم - لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجذبة، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله، ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه.

* **ومنها:** حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جداً حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بغير وحمله.

* **ومنها:** مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ٥٩.

* **ومنها:** أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم، فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عاجلوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، وقال لهم في الأخ الآخر: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ثم لما احتبس يوسف عنده، وجاء إخوته لأبيهم قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فهم في الأخيرة - وإن لم يكونوا مفرطين - فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير إثم عليه ولا حرج.

* **ومنها:** أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضا من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لابنيه: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.

* **ومنها:** جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم.

* **ومنها:** أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يجب أن يطلع عليه، أن يستعمل المعارض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّواع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موهما أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ ﴾، ولم يقل: (من سرق متاعنا)، وكذلك لم يقل (إنا وجدنا متاعنا عنده)، بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه، وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبينت الحال.

* **ومنها:** أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾.

* **ومنها:** هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويجزئه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة، لا تقصر عن خمس عشرة سنة، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٨٤)، ثم ازداد به الأمر شدة، حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفي بما وعد به، ولا ينافي ذلك، قوله: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَفِي إِلَى اللَّهِ ﴾، فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين.

* **ومنها:** أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطراب لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرابا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يتلي أوليائه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد - بذلك - إيمانهم ويقينهم وعرفانهم.

* **ومنها:** جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضَّرَّ﴾ ولم ينكر عليهم يوسف.

* **ومنها:** فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلها، أحسن العواقب، لقوله: ﴿قَالُوا لَأَنَّا لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

* **ومنها:** أنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكرا حاله الأولى، ليحدث لذلك شكرا كلما ذكرها، لقول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾.

* **ومنها:** لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائما في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ لِي ۗ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١١) .



سُورَةُ الرَّعْدِ

﴿سورة الرعد (مدنية).﴾

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿١٤﴾

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوَىٰ وَالْكَصَابِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا تَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْسًا وَلَا ذَرْبًا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تُسَوَّىٰ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلْقًا كَلْفَوْهُ فَمَا تَسْمَعُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبِيلُ زَبَدًا زَبَابًا وَيَمَازُجُ الْوُجُوهَ عَلَيْهِ فِي الْبَارِئَةِ جَلِيدٌ أَوْ مَنَعَ زَيْدٌ مَنَابَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي النَّاسُ فَمِمَّا فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلْحُكْمِ وَالَّذِينَ تَوَسَّعُوا لَهُ رُءُوسًا لَهُمْ مَقَابِلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمَعَهُمْ لَأَقْدَارُ يَوْمَهُ أُولَئِكَ لَهُمْ سَوْءُ الْحِسَابِ وَأُولَئِكَ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴿١٨﴾

* تشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفِئِحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

[الأعراف: ٤٠].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٤٣﴾

* ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٤٣﴾ وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول، من آمن واتبع الحق صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فأخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

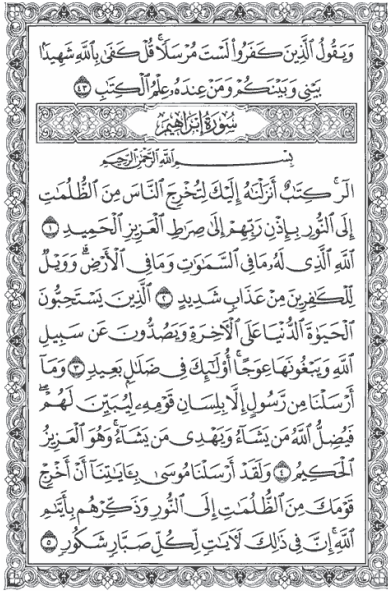
* وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم، والله أعلم.



سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

﴿ سورة إبراهيم (مكية) ﴾

﴿ الرَّكِّتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ﴾



* في ذكر ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ بعد

ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله، قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة. وليدل ذلك على أن صراط الله من أكبر الأدلة على ما الله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه

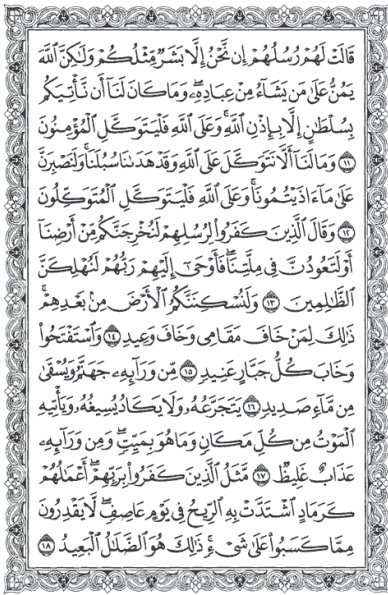
مألوه معبود بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أن له ملك السماوات والأرض خلقا ورزقا وتدبيراً، فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، ولا يليق به أن يتركهم سدى.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾

* يستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله، لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ عليها صغيرهم، وصارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداء كما تلقى عنهم الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا ﴾

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١﴾



* في هذا كالإشارة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لقومهم بأية عظيمة، وهو أن قومهم - في الغالب - لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدثهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكركم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه:

﴿ يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِعَايِنِ اللَّهِ فَاعْلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس: ٧١].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ

أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ
هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾

* ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١١﴾ يحتمل أن المعنى: إن يشأ يذهبكم
ويأت بقوم غيركم يكونون أطوع لله منكم، ويحتمل أن المراد أنه: إن يشأ
يفنكم، ثم يعيدهم بالبعث خلقا جديدا، ويدل على هذا الاحتمال ما ذكره
بعده من أحوال القيامة.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ
فَأَخْلَفْتُمُوهَا وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي
وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا
أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٢﴾

* هنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم
﴿وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٤]، واعلم أن الله ذكر في هذه الآية

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿١١﴾ وَيَرْزُقُوا لَكُمْ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا
قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ
فَأَخْلَفْتُمُوهَا وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا
أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ
أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ
كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
يَجْمَعُهُمْ فِيهَا سَائِرٌ ﴿٢٢﴾ الرَّحْمَنُ كَيْفَ حَرَّبَ اللَّهُ مَلَائِكَةَ طَيْبَةَ
كَتَبَتْ رُطْبَيْبَةَ أَصْلَهَا ثَابِتٌ وَقَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾

أنه ليس له سلطان، وقال في آية
أخرى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ
يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾
[النحل: ١٠٠]، فالسلطان الذي نفاه
عنه هو سلطان الحجة والدليل،
فليس له حجة أصلا على ما يدعو
إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من
الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على
المعاصي. وأما السلطان الذي أثبتته فهو

التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه يُؤزّهم إلى المعاصي أزا، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بمولاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

﴿يُثِبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣٧).

* في هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه.

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا بِمَا تَعْمَلُونَ لَخَبِيرُونَ﴾ (٣٤).

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا بِمَا تَعْمَلُونَ لَخَبِيرُونَ ﴿٣٤﴾ وَذَلِكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ النَّاسَ مِنْ تَبَعِي فَإِنَّهُ مَعَىٰ ذُنُوبِي وَإِنِّي مِنَ الْمُرْسِلِينَ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ وَمِنَ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَالَىٰ مَا نُخْبِرُ وَمَا نَعْلَمُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الْقَالِمُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٣﴾

* في هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره، ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧).

* افترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم، وجعل فيه سرا

عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرا على الدوام، بل كلما

أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة.

﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾ ﴿٤٥﴾

* يدخل في هذا كل من مكر من المخالفين للرسول لينصر باطلا، أو يبطل حقا، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئا، ولم يضروا الله شيئا وإنما ضرروا أنفسهم.

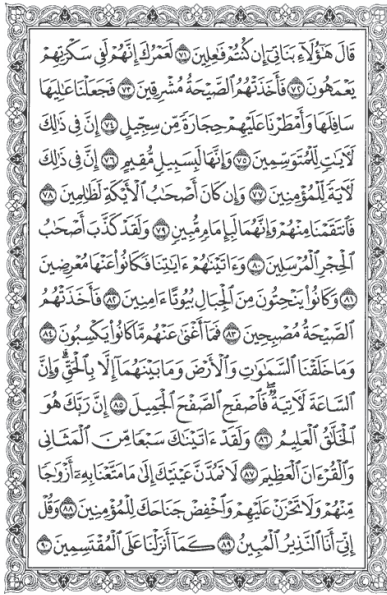


مُهْطِعِينَ مُقْبِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَالِكٌ ﴿٤٥﴾ وَأَنْذِرْنَا النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ لَوْ تُرَكُّوا أَتَقْتَمُونَ فَمَنْ قَبِلُ مَا لَكُمْ مِنْ رُؤَالِ ﴿٤٦﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٧﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٨﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعْدَهُهُ رُسُلُهُ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُوقُوا عَذَابَ اللَّهِ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْوَجِدَاءَ الْقَهَّارِ ﴿٥٠﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْحَادِ ﴿٥١﴾ سَرَابِطُهُمْ مِنْ قِطْرٍ رَقِيقٍ وَقَعَشَى ﴿٥٢﴾ وَجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ تَقْسٍ تَمَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٤﴾ هَذَا بَالِغُ اللَّتَائِسِ وَيُسْتَدْرَأُ بِهِ وَيُعَامَرُ أُنْمَا هُوَ اللَّهُ وَجِدَّ وَيَذَكَّرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿٥٥﴾

رسله أن يمروا على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كي يبشروه بالولد، ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عَلَيْهِ السَّلَامُ في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه.

* وكذلك لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرافة بهم قدر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: ﴿إِنَّ مَوْعَدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ﴿٨١﴾ [هود: ٨١].

* ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.



﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ ﴾ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

* ﴿ فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ ﴾ ﴿٨٥﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل قابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتتال من ربك، جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب.

* وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا، وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.



﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٦)

* وجه الآية فيها أن الله تعالى خلقها بخلقة تصلح للطيران، ثم سخر لها هذا الهواء اللطيف، ثم أودع فيها من قوة الحركة وما قدرت به على ذلك، وذلك دليل على كمال حكمته وعلمه الواسع وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته وكمال اقتداره، تبارك الله رب العالمين.

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٨١)

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَادِهَا وَأَوْبَارِهَا أَكْنَانًا وَاكْنَانًا وَتَمَّتْ إِلَى جِبِينَ ﴿٥٥﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاءُ النَّبِيُّ ﴿٥٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُهَا وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَيَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ آتَى الْبَيْنَ نَلَّامُوا الْعِدَّةَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ آتَى الَّذِينَ آمَنُوا مَرْكَاتَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا اتَّبِعُوا الْبَيْتَ الْقَدِيمَ إِنَّكُمْ لَعِنْدُنَا مِنْ قَوْمٍ آتِينَ ﴿٦١﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ يَذُقُ السَّعِيرَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٢﴾

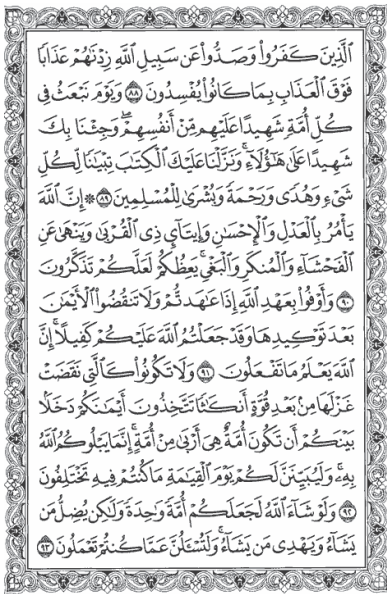
* ﴿ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ ولم يذكر الله البرد لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم وآخرها في مكملاتها وتمامتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨١)

* ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبين باللفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يشني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها

عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبيدها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم وديناهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح. والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم.



﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٠﴾

* صارت هذه الآية جامعة لجميع
المأمورات والمنهيات لم يبق شيء
إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع
إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة
مشملة على عدل أو إحسان أو إيتاء

ذي القربى فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء. ولهذا قال: ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾ أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم عما فيه مضرته. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكروتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فسدتم سعادة لا شقاوة معها.

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ كَذِبًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَشْفَعُوا لِعِبَادِنَا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ أَتَىٰهُ مِن مَّوَدِعٍ فَلَنَجْزِيَنَّهُ حَسَنًا طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠٥﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا بَدَلْتُمُ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَآلَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا يُبَدَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَلَنَزَّلَهُنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

* في هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا. خصوصا الزهد المتعين، وهو الزهد فيما يكون ضررا على العبد، ويوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه وتقديمه على حق الله، فإن هذا الزهد واجب. ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد من الفرق والتفاوت ما يدعو إلى إيثار أعلى

الأمرين [وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام والذكر ونحوها، بل لا يكون العبد زاهدا زهدا صحيحا حتى يقوم

من العقاب العاجل والآجل، فإن كان [المدعو] يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدوها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.



سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

✽ سورة الإسراء (مكية).

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٧﴾﴾

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ وَيُنذِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْملُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرًا ﴿٨﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَابْنَا لهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْقَفْأَةِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا الْآيَةَ وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ فَصَحَّوْا بِهِ الْآيَةَ وَجَعَلْنَا آيَةَ الْفَجْرِ مُبْصِرَةً لِّتَسْتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ رَبَّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ الْيَسِينِ وَالْحَسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَضَّلْنَا تَقْصِيلًا ﴿١١﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا عَلَيْهِ فِي عُقُوْبِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٢﴾ أَفَوَلْيَكُنْ يَوْمَ تَقْضَىٰ يَوْمَكَ حَسِيبًا ﴿١٣﴾ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهِيَ قَرْيَةً عَنْ آثِمَاتِهَا فَانْفَسْنَا فِيهَا مِنْ غَيْرِهَا الْقَوْلَ فدمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٥﴾ وَكَوَّاهُمْ كَوَانِ الْفُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكُنْ بِرَبِّكَ يُدُوبٍ عِبَادِهِ حَسِيدًا ﴿١٦﴾

* في هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لثلاث أسباب ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير. ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله، مكن لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم.

﴿أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

* استدلل بهذه الآية على أن أهل الفترات وأطفال المشركين لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولا لأنه منزه عن الظلم.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

الأعمال كلها لله، والنصح فيها، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقذور عليها، فمن زعم أنه يجب الله بغير ذلك فهو كاذب.

﴿ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿٦٤﴾

* يدخل في هذا كل داع إلى المعصية.

* ﴿ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ يدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل الشيطان ورجله.

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٧٢﴾

* في هذه الآية دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها وكتابها، هل عملت به أم لا؟ وأنهم لا يؤخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ صَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُةً فَلَمَّا تَجَدَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٤﴾ فَأَمْسُرْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمُ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكُيًّا ﴿٦٥﴾ أَمْ أَمْسُرْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبَاتٍ مِنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَنَّكُمْ فَصَافِكُمْ تُوًّاظُّكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُيُنًا يُبِينُكُمْ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيْرِ بَدَنًا وَصَلَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا فَقَضَيْتُمْ ﴿٦٧﴾ وَنَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ كَذَٰلِكَ لَيُنْفِقُ رِزْقَ عَلَيْنَا غِيْرَةً وَإِذَا لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكُيًّا ﴿٧٣﴾ وَإِذَا لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكُيًّا ﴿٧٤﴾ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيْرِ بَدَنًا وَصَلَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا فَقَضَيْتُمْ ﴿٦٧﴾ وَنَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

* وأن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

* وأن أهل الخير، يعطون كتبهم بأيانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك، لأنهم لا يقدرّون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثبورهم.

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَدِ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ .

وَأَمَّا مَسْكُ الْفُطْرِ فِي الْبَحْرِ صَدَّ عَنْ تَدْعُوتِ الْآيَاتِ فَلَمَّا تَجَدَّوْا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿٧٤﴾ فَأَمْسُرْ أَنْ يَضِيقَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴿٧٥﴾ أَوْ أُنسِيَهُ أَنْ يُعِيدَ كُرْفِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا تَارَةً أُخْرَى فَيُعْرِضُكُمْ بِمَا كُفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهِ نَصِيرًا ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٧﴾ وَوَرَدَتْهُمَا كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ وَإِلَيْهِمْ تُرْجَعُ أَرْوَاقُهُمْ بِسْمِيهِ فَأُولَئِكَ يَفْقَهُونَ كَيْفَ هُمْ وَلَا يُظَلِّمُونَ قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهِيَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٩﴾ وَلَنْ كَذِبًا أُولَئِكَ يُنْفَخُونَ عَنْ الذِّكْرِ أَوْحِيًا إِنَّا إِلَهُ الْإِنْسَانِ فَتَدَّبَّرْتَ عَلَيْنَا عِبْرَةً وَإِذَا لَا تَجِدُ لَكَ خَلِيلًا ﴿٨٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَدِ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٨١﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨٢﴾

* في هذه الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقاً لربه، أن يشبهه على الإيمان، ساعياً في كل سبب موصل إلى ذلك لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أكمل الخلق، قال الله له: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَقَدِ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (٧٤) فكيف بغيره؟ .

* وفيها: تذكير الله لرسوله منته عليه،

وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يجب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم - عند وجود أسباب الشر - بالعصمة منه، والثبات على الإيمان.

* وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل - وحاشاه من ذلك - بقوله: ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٧٥) .

* وفيها: أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم.

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ۞

وَلَنْ كُنَّا وَالْبَسِطُ زُورًا كَمِثْرِ الْأَرْضِ يُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَلَا أَلَيْسَ لَخَلْقِكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٩﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْرِ سُنَّتِنَا
قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَحْدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٨٠﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ
إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٨١﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨٢﴾
وَقُلْ رَبِّيَ أَدْخَلَنِي مُدْخَلِ صَدَقٍ وَأَخْرَجَنِي مَخْرَجِ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٣﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَوَقَّقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٤﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ إِنْ مَاهُوَ
شِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٥﴾
وَلَا تَقْسَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَكُنَّا بِجَانِبِهِ وَلَا مَسَّةُ
الشَّيْطَانِ نُوَسْوِسًا ﴿٨٦﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيحُهُمْ أَغْلَالُهُ
يَمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٧﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٨﴾ وَلَنْ يَشْتَاكَ تَعَبَنَ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَتُجَادِلُكَ بِهِ عَالِمِينَ ﴿٨٩﴾

* في هذه الآية، ذكر الأوقات الخمسة،
للصلوات المكتوبات، وأن الصلوات
الموقعة فيه فرائض لتخصيصها بالأمر.
* وفيها: أن الوقت شرط لصحة الصلاة،
وأنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها
لهذه الأوقات. وأن الظهر والعصر
يجمعان، والمغرب والعشاء كذلك،
للعذر، لأن الله جمع وقتها جميعًا.

* وفيه: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القراءة فيها، وأن القراءة فيها ركن،
لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها، دل على فرضية ذلك.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ۞

* في هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن
يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.



سُورَةُ الْكَهْفِ

﴿سورة الكهف (مكية).﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ ﴿٢﴾﴾



* في وصفه بالحسن، دلالة على أنه لا مكدر فيه ولا منغص بوجه من الوجوه، إذ لو وجد فيه شيء من ذلك لم يكن حسنه تاما.

* وفي ذكر التبشير ما يقتضي ذكر الأعمال الموجبة للمبشر به، وهو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح، موصل لما تستبشر به النفوس، وتفرح به الأرواح.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴿٥﴾﴾

* تأمل كيف أبطل هذا القول بالتدرج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولاً: أنه ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ والقول على الله بلا علم، لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانياً، أنه قول قبيح شنيع فقال: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ ثم ذكر ثالثاً مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق.

أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.

* ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.

* ومنها: جواز أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف

المنهي عنه لقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾

وخصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك، ولعل هذا عمدة كثير من

المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة،

التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

* ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين،

واستعمال الكتان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين.

* ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة في دينهم،

وتركهم أوطانهم في الله.

* ومنها: ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه،

وأن هذه الطريقة هي طريقة المؤمنين

المتقدمين والمتأخرين لقولهم: ﴿وَلَنْ

تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾.

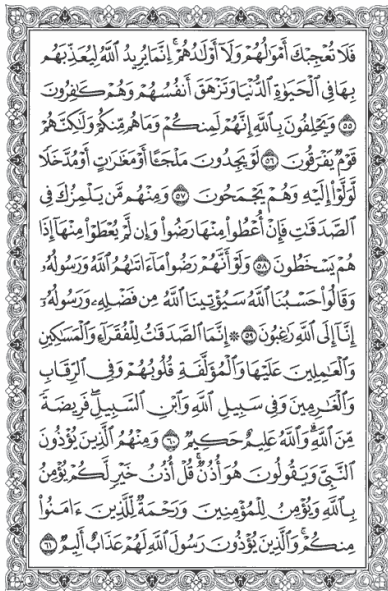
﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ

يَنْتَظِرُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ

بُنْيَانًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ

أَمْرِهِمْ لَنْ نَحْتَدِيكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.



* في هذه القصة، دليل على أن من فر بدينه من الفتن سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله، آواه الله وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (١١٨) [آل عمران: ١٩٨].

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُحَارِبْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢).

فَلَا تُحَارِبْ أَمْرُهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَوَارٍ ﴿٢٢﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ لَوْ جِدُّوْتَ مَلَجًا أَوْ مَفْرَبًا أَوْ مَدْعَاةً لَوْلَا إِلَهَ الْوَعْدِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَعْطُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَنَّ هُمْ رَضُوا مَاءَ الْبَحْرِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّمَا الصَّادِقَاتُ اللَّفُفَاتُ وَالْمَسْكِينُ وَالْمُهَلِّبَاتُ عَلَيَّهَا وَالْمَوْلَاتُ فَلَوْ بُهْتَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالرَّبَّ السَّبِيلِ قَرِيبَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّجَى وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنُّهُ أَذُنٌ خَيْرٌ لِّكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَيُؤْمِرُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِّنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

* فيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هو عن الفتوى من باب أولى وأحرى.

* وفي الآية أيضا، دليل على أن الشخص قد يكون منها عن استفتائه في شيء

دون آخر. فيستفتى فيها هو أهل له، بخلاف غيره، لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقا، إنما نهي عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادِّكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا﴾ (٢٤).

* يؤخذ من عموم قوله: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْفُلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْفُلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْمُؤْمِنِينَ فَرَقْنَا شَاءَ قَلْبُهُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْدَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَوِيضُوا لِقَائِهَا إِيمَانًا كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ السَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَكَاسِ يُمْسَوْنَ الرُّبَايِعَ وَسَحَابَتٌ مُرْتَقَقًا ﴿٣١﴾ وَأَصْرَفْنَا لَهُمْ قَنَاةً زُرَّاقًا تَجْعَلْنَا الْأَخْيَارَ مَا جُنَّتْ مِنْ أَعْيُنٍ وَحَفِيفًا مِمَّا يَشْعَلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرَّاقًا ﴿٣٢﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ، أَنْتَ أَكْثَرُ لَوْ تَقَلَّبْتَهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ قَمَرًا فَقَالَ لَصَاحِبِهِهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ ثَمْرًا وَأَنْتَ أَكْثَرُ نَفْسًا ﴿٣٤﴾

* فيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.

* **ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلاء قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مرضي**

ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماما، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام.

* **وفي الآية استحباب الذكر والدعاء والعبادة طري النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه.**

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

* دلت الآية الكريمة وما أشبهها، على أن الحلية عامة للذكور والإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها في قوله: ﴿ يُجْلُونَ ﴾، وكذلك الحرير ونحوه.

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ وَأَضْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ

أَكْلَاهَا وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَاهُمَا

نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا

﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا

أَظُنُّ أَلْسَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى

رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ

صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾

لَنِكَأَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ

اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرْتِينَ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي

خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ

وَأَضْرِبَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْقَابِنَا قَلْبَهُ رَعْنٌ وَكِرًا وَأَرْجِعْ هَوْبَهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ يُرْمَى ﴿٣١﴾ وَيُقَالُ لِمَنْ رَمَى مِنْ سَهْلٍ قَلْبِي وَمَنْ
سَهْلًا فَلَيْبُكَ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أُخَالِدُ بِهِمْ مَسْرُوعُهُمْ
وَلَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا وَإِنَّمَا كَأَلْهَمِيلُ يَسْئُرُ الْوَجْوهُ بِئْسَ
الْشَّرَابُ وَسَهْطٌ مُرْتَفَقًا ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَعْيُنًا عَنْهُمْ حَتَّىٰ نَحْمِلَهُمْ فِيهَا
لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٣﴾ وَأَضْرِبَ
لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٤﴾ كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلَاهَا
وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٥﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٦﴾



يُصْبِحَ مَاؤُهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُرُّونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤١﴾ وَمَا أَظُنُّ النَّاسَ قَائِمَةَ وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ أَنْفَخَ فِيكَ مِن سَوْدِكَ رَجُلًا ﴿٤٣﴾ لَئِكَ تَأْهُو لِلَّهِ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْ كُنَّا ﴿٤٥﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنَا خَيْرًا مِن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْفًا ﴿٤٦﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿٤٧﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٩﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٥٠﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْخَيْرَةَ الَّتِي تَأْكُمُهَا مِن تَرَابِهَا فَذُكِّرُوا بِالْحَقِّ وَنُذِرُوا ﴿٥١﴾ فَأَصْبَحَ هَبِيبًا نَّذِيرًا ﴿٥٢﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٥٣﴾

* في هذه القصة العظيمة اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دنيوية، فألتهته عن آخرته وأطعته، وعصى الله فيها، أن مالها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلا فإنه يجرمها طويلا، وأن العبد ينبغي له - إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده - أن يضيف النعمة إلى موليتها ومسديها، وأن يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ليكون شاكرًا لله

متسببا لبقاء نعمته عليه، لقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

* وفيها: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير لقوله: ﴿إِن تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَوْ كُنَّا وَمَا أَظُنُّ النَّاسَ قَائِمَةَ وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾.

* وفيها: أن المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَ أَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

* وفيها الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصاً إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم.

* وفيها أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيحتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم ف ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ ﴿٤٤﴾
أي: عاقبة ومآلا.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ﴿٥٠﴾ .

الْمَالُ وَالنَّسُوبُ رِيئَةُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَالْبَيْتَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٥٠﴾ وَيَوْمَ نَسِفُ الْجِبَالَ وَنَرَى
الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَدَرَهُمْ فَوْقَ نَعَادِهِمْ نُحُومًا ﴿٥١﴾ وَعَرْضُوا
عَلَى رَبِّكَ صَمًّا لَقَدْ جِئْتُمُوكَ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ كُنْتُمْ
أَنْ تَجْعَلَ لَكُمْ تَوَعْدًا ﴿٥٢﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِي يَدَيْ الْمُتَجَرِّبِينَ
مُشْفِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَتَابِهِ وَيَتَوَلَّوْنَ يَكُفِّرْنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ
لَا نَعَادُ رِضِيغَةً وَلَا كِبْرَةً إِلَّا أَنْ حَصَّنْتَهَا وَجَعَلْنَا أَمْعَالَهُمْ
حَاضِرًا وَلَا يَنْظُرُونَ بِرَبِّكَ أَعْمَاءً ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٥﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَكَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ السَّمَكِ وَالْمَاءِ كُنْتَ تُتَّخَذُ الْفُضَيْلِينَ عَضًا
﴿٥٦﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَادْعُوهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَهْجًا ﴿٥٧﴾ وَرَأَى الْمُتَجَرِّبُونَ
النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا ﴿٥٨﴾

* في هذه الآية، الحث على اتخاذ الشيطان

عدوا، والإغراء بذلك، وذكر السبب

الموجب لذلك، وأنه لا يفعل ذلك إلا

ظالم، وأي: ظلم أعظم من ظلم من

اتخذ عدوه الحقيقي وليا، وترك الولي

الحميد؟. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ

يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٠] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ﴿٥٧﴾ .

* في هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ ۝٦٠ ﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِينَا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا ۝٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطٰنُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٢ قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْوَدْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٣ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٤ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلٰٓيَ أَن تَتَّبِعَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رَبِّي قَالَ إِنَّا فَتْنَاكَ لَن نَسْتَبِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٥ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلٰٓي مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا ۝٦٦ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللّٰهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٧ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٦٨ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٦٩ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٠ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَفَرًا كَيْفَ بَعَثْتَ نَفْسًا رَّكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ لَّكَ ۝٧١ قَالَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝٧٢ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّا لَن نَسْتَطِيْعُ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٣ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝٧٤ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا

حُفْبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ ءَإِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطٰنُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْوَدْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلٰٓيَ أَن تَتَّبِعَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رَبِّي قَالَ إِنَّا فَتْنَاكَ لَن نَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٦ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلٰٓي مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا ۝٦٧ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللّٰهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٨ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٦٩ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٦٩ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٠ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَفَرًا كَيْفَ بَعَثْتَ نَفْسًا رَّكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ لَّكَ ۝٧١ قَالَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝٧٢ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّا لَن نَسْتَطِيْعُ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٣ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝٧٤ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا

عَلَىٰ أَن تَتَّبِعَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رَبِّي قَالَ إِنَّا فَتْنَاكَ لَن نَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٦ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلٰٓي مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا ۝٦٧ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللّٰهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٨ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٦٩ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٠ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَفَرًا كَيْفَ بَعَثْتَ نَفْسًا رَّكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ لَّكَ ۝٧١ قَالَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝٧٢ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّا لَن نَسْتَطِيْعُ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٣ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝٧٤ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا

فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَنَحَدْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ
بِنَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ
فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ
مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغَيْنَا وَكُفِرْنَا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ
رُكُودًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ
لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً
مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ❁

❁ في هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله :

* منها: فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

* ومنها: البداية بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك،

والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل.

* ومنها: جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤن، وطلب الراحة، كما فعل موسى.

* ومنها: أن المسافر لطلب علم أو جهاد أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده، فإنه أكمل من كتمه، فإن في إظهاره

❁ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَنَحَدْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِنَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغَيْنَا وَكُفِرْنَا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ رُكُودًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

فوائد من الاستعداد له عدته، وإتيان الأمر على بصيرة، وإظهاراً لشرف هذه العبادة الجليلة، كما قال موسى: ﴿لَا أَبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾ وكما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه حين غزا تبوك بوجهه، مع أن عاداته التوروية، وذلك تبع للمصلحة.

* **ومنها:** إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره، لقول فتى موسى: ﴿وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.

* **ومنها:** جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع، أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقا، لقول موسى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿٦٢﴾.

* **ومنها:** استحباب كون خادم الإنسان، ذكيا فطنا كيسا، ليتم له أمره الذي يريده.

* **ومنها:** استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعا، لأن ظاهر قوله: ﴿ءَاِنَّا غَدَاءَنَا﴾ إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو جميعا.

* **ومنها:** أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله، يعان ما لا يعان غيره لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿٦٢﴾ والإشارة إلى السفر المجاوز لمجمع البحرين، وأما الأول، فلم يشتك منه التعب، مع طوله، لأنه هو السفر على الحقيقة. وأما الأخير، فالظاهر أنه بعض يوم، لأنهم فقدوا الحوت حين أووا إلى الصخرة، فالظاهر أنهم باتوا عندها، ثم ساروا من الغد، حتى إذا جاء وقت الغداء قال موسى لفتاه: ﴿ءَاِنَّا غَدَاءَنَا﴾، فحيث تذكر أنه نسيه في الموضع الذي إليه منتهى قصده.

* **ومنها:** أن ذلك العبد الذي لقيه، ليس نبيا، بل عبدا صالحا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو

كان نبيا، لذلك كما ذكره غيره. وأما قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨].

* **ومنها:** أن العلم الذي يعلمه الله [لعباده] نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده. ونوع علم لدني يهبه الله لمن يمن عليه من عباده، لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥).

* **ومنها:** التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنت هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

* **ومنها:** تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى - بلا شك - أفضل من الخضر.

* **ومنها:** تعلم العالم الفاضل للمعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة. فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه. فعلى هذا، لا ينبغي للفقهاء المحدث، إذا كان قاصرا في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه من العلوم، أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثا ولا فقيها.

* **ومنها:** إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) أي: مما علمك الله تعالى.

* **ومنها:** أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦).

* **ومنها:** أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر -يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه- إنه لا يصبر معه.

* **ومنها:** أن السبب الكبير لحصول الصبر إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلك الأمر الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدرى، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٦٨)، فجعل الموجب لعدم صبره، وعدم إحاطته خبراً بالأمر.

* **ومنها:** الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود.

* **ومنها:** تعليق الأمور المستقبلية التي من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

* **ومنها:** أن العزم على فعل الشيء ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل.

* **ومنها:** أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصرا، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالا، لا يتعلق في موضع البحث.

* **ومنها:** جواز ركوب البحر في غير الحالة التي يخاف منها.

* **ومنها:** أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في حقوق العباد لقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾.

* **ومنها:** أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسامة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر.

* **ومنها:** أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال، والدماء وغيرها، فإن موسى عليه السلام، أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وأن هذه الأمور ظاهرها أنها من المنكر، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يسعه السكوت عنها في غير هذه الحال التي صحب عليها الخضر، فاستعجل عليه السلام، وبادر إلى الحكم في حالتها العامة، ولم يلتفت إلى هذا العارض الذي يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار.

* **ومنها:** القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعي أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينها أعظم شرا منه، وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانها خير من

ذلك، فلذلك قتله الخضر. وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل في هذا.

* **ومنها:** القاعدة الكبيرة أيضا وهي أن «عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير» كما حرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غضب الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن.

* **ومنها:** أن العمل يجوز في البحر، كما يجوز في البر لقوله: ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ ولم ينكر عليهم عملهم.

* **ومنها:** أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين لهم سفينة.

* **ومنها:** أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

* **ومنها:** أن القتل قصاصا غير منكر لقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾.

* **ومنها:** أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته.

* **ومنها:** أن خدمة الصالحين، أو من يتعلق بهم، أفضل من غيرها، لأنه علل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما، أن أباهما صالح.

* **ومنها:** استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب

السفينة إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأما الخير، فأضافه إلى الله تعالى

لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾

كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] ﴿وقالت الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

* **ومنها:** أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته، حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى.

* **ومنها:** أن موافقة الصاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.

* **ومنها:** أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قدر محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على الطافه في أقضيته، وأنه يقدر على العبد أموراً يكرها جداً، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجاً من لطفه وكرمه،

ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [٢٨١].

* هذا يدل على كونه (ذي القرنين) من الملوك الصالحين والأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله.

إِنَّمَا مَكَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَتَابِعْتَهُ مِنْ كُلِّ قَبِيٍّ وَسَبَّحَا ﴿فَاتَّبَعَ سَبَّحَا﴾
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ السَّمَاسِ وَجَدَهَا تُعْرَبُ فِي عَيْنِ حَمْرٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْتُمْ أَيُّ الذَّيْنِ إِيْمَانٌ لَمْ نَدَبْ وَلَا مَا أَنْ تَخْتَدَّ بِهِمْ حَسَنًا﴾
 ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ نُعْذِرُ إِلَىٰ رَبِّهِ فَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَظِيمًا﴾
 ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾
 ﴿فَاتَّبَعَ سَبَّحَا﴾
 ﴿إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ السَّمَاسِ وَجَدَهَا تُعْرَبُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ دِينًا دُورَهَا يُسْرًا﴾
 ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا﴾
 ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَّحَا﴾
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾
 ﴿قَالُوا أَيُّ الذَّيْنِ إِيْمَانٌ تَأْتِيهِمْ وَمَأْتِيهِمْ فِي الْأَرْضِ فَعَلْ يَجْعَلْ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾
 ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعْبُوهُمْ فَعُوهُ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾
 ﴿ءَاتُوهُ زَكَاةً يُبَدِّلُهَا رَحْمَةً﴾
 ﴿إِنَّا سَأَلْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ عَنِ السَّبْحِ إِذَا سَأَلُوا بَيْنَ السَّدَيْنِ قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ رَءُفًا عَلَيْهِمْ وَقُلُوبَهُمْ أَصْفَىٰ﴾
 ﴿فَمَا أَصْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَصْطَلَعُوا لَهُ رَقَبًا﴾

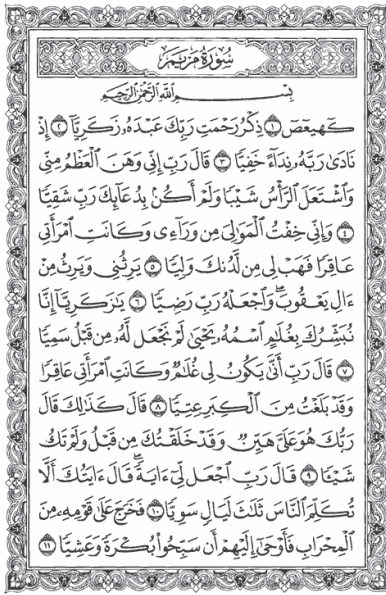


سُورَةُ هُرَيْمِیَّةٍ

﴿سورة مريم (مكية)﴾

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِنْ وَرَأَىٰ وَكَانَتْ أَمْرًا قَافِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا ۝﴾



* ظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عَلَيْهِ السَّلَام ونصحته، وأن طلبه للولد ليس كطلب غيره قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا

يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقرة، أي ليست تلد أصلا، وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد. ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝﴾ وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿يَرْتَضِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾ أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولدا، ذكرا، صالحا، يبقى بعد موته، ويكون وليا من بعده، ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته.

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٤١ ﴾

* تدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها

﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٣٨ ﴾

فكفي وأشرفي وفكري عينا فإما ترى من البسر أحد أقربي
إني نذرت للرحمن صوما فلن أكفر اليوم إنسيا ۝ فأتت
بده قومها تحملا ۝ قالوا أسمعنا لقد جئت شيئا فريا ۝
يتأخت هرون ما كان أولك أمرا أسوء وما كانت
أمك بيئا ۝ فأشارت إليه قالوا كيف نكفر من كان في
الهدى صبيا ۝ قال إني عبد الله اتقوا الكتاب ويجعلني
بيئا ۝ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصني بالصلاة
والزكاة ما ذممت حيا ۝ وتبرا بولدي ولم يتبعني
جبارا سفيها ۝ وأسألكم على نعمة فإدبكم وتوعدكم أمور
وتوعدكم نعم حيا ۝ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق
الذي فيه تمة ۝ وما كان لعل أن يتخذ من ولده سجدة
إذ احتسب أمرها وإنما يقول له كن فيكون ۝ وإن الله ربي وربكم
فأعبدوه هذا صراط مستقيم ۝ فأختلف الأحزاب من
بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ۝ أسمع بهم
وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ۝

* تأمل كيف قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
بعد قوله: ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾
ولم يقل (فويل لهم) ليعود الضمير إلى
الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين،
طائفة أصابت الصواب، ووافقت
الحق، فقالت في عيسى: «إنه عبد الله
ورسوله» فآمنوا به، واتبعوه، فهو لاه
مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد،
فلهذا خص الله بالوعيد الكافرين.

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٤٢ ﴾

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢ ﴾

* ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢ ﴾ هذا
برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا.
ودل بتنبهه وإشارته أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال
العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى.

﴿ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (٤٣) يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

وَأَذْرَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَالْحَسْبُ وَذُنُوبُهُمْ أَلَمْرُؤُهُمْ فِي عَقْلِهِ وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ ﴿٤٣﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤٥﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٦﴾ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٧﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٨﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٩﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٥٠﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٥١﴾ وَأَعْتَرُكُمُ كَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدَعَاةٍ رَبِّي شَاقِيًّا ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَيْبَتِ اللَّهِ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَأَجْعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٥﴾

* في هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى، فإنه لم يقل: «يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل» أو «ليس عندك من العلم شيء»، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها.

* وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن

اتباع ملته سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السامة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعل.

﴿ وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (٥٢)

* في هذه إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافا لمن أنكروا ذلك من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحاهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾

وَدَرَبْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ يَمِينًا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ جَنَّتَيْنَا جَنَّةَ عَدْنٍ هَاهُنَا نُتِلَّى لَهُ الْكِتَابُ بِإِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالْصَّلَاةِ وَالزُّكُوفِ وَكَانَ عَبْدًا رَهِيمًا مَرْضِيًّا ۖ وَكَانَ فِي الْكِتَابِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۖ كَانَ صِدْقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهَا خَلْفَ أَصْحَابِ الصَّلَاةِ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٦٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۖ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءَ أَلْسِنَةٍ سَلْطًا وَلَا هُمْ يَرْفُهُونَ فِيهَا بُرُجٌ وَعَشِيْرَةٌ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۗ اللَّهُ مَابِينَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ۖ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

* في إضافة الآيات إلى اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ دلالة على أن آياته من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۖ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ ﴿٦١﴾

* ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يحتمل أن تكون متعلقه

بـ ﴿وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ فيكون المعنى على هذا، أن الله وعدهم إياها وعدا غائبا، لم يشاهدوه ولم يروه فآمنوا بها، وصدقوا غيبها، وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف لو رأوها، لكانوا أشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، وأكثر لها سعيًا. ويكون في هذا، مدح له بإيمانهم بالغيب الذي هو الإيمان النافع. ويحتمل أن تكون متعلقة بعباده، أي: الذين عبدوه في حال غيبهم وعدم رؤيتهم إياه، فهذه عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشد له عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حبا، وأجل شوقا ويحتمل أيضا. أن المعنى: هذه الجنات التي وعدها الرحمن عباده من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلا الله، ففيه من التشويق لها، والوصف المجمل، ما يبيح النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها، فيكون هذا مثل قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ

لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ [السجدة: ١٧-١٨] والمعاني كلها صحيحة ثابتة، ولكن
الاحتمال الأول أولى، بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾﴾ لا بد من
وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ وَلَعَلَّكَ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٧﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسْتُ
أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٨﴾ وَأَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ
وَلَعَلَّكَ شَيْئًا ﴿٦٩﴾ قَوْلِكَ لَتُخَضِرَنَّ هُنَّ وَالسَّعْيُطُ لَنُ
لَتُخَضِرَنَّ هُنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧٠﴾ لَعَلَّكَ نَزَعْتَنِي مِن كُلِّ
شَيْعَةٍ أَهْلُهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٧١﴾ فَوَلِّتَنِي أَهْلَهُم بِالَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِن يَنْكُرُوا إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَسْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٣﴾ فَمَنْ نَسَىٰ الْآيَاتِ أَن يَقُولُوا وَنُذِرُوا الْغَافِلِينَ
فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٤﴾ وَإِذْ أَنشَأَ عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَثُرُوا
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَّةً الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدَبًا ﴿٧٥﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَهَبًا ﴿٧٦﴾
قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ
مَآبِدَ عُدُنِ إِيمَانِهِمْ لَمَّا تَصَاةً فَسَمِعَ لَمَنٌ مِّنْ هُمْ نَزَرَ
مَكَانًا وَاصْتَفَىٰ جُنْدًا ﴿٧٧﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لَهْدًى
وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٨﴾

* في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ دعوة
للنظر بالدليل العقلي بالطف خطاب،
وأن إنكار من أنكر ذلك مبني على غفلة
منه عن حاله الأولى، وإلا فلو تذكرها
وأحضرها في ذهنه لم ينكر ذلك.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٨﴾﴾

* في هذا دليل على زيادة الإيثار ونقصه،

كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾
[المدثر: ٣١]، ﴿وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] ويدل عليه
أيضا الواقع، فإن الإيثار قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان
والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور أعظم تفاوت.



سُورَةُ طٰهٍ

﴿سورة طه (مكية).﴾

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١١﴾﴾

* في هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل يصد عن الإيـان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسِبُ بِهَا عَلَيَّ غَنِيًّا وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾﴾

* من أدب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال محتملا عن السؤال عن عينها، أو منفعتها أجابه بعينها، ومنفعتها .

﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ

﴿حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾﴾

* في وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم.

وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٧﴾ أَنَّى أَنَا اللَّهُ لَأَلَّهُ إِلَّا أَنَا
فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكْبَرُ إِذْ أَخْفِيهَا لِشَجَرٍ كُلِّ ثَمَرٍ مِمَّا تَشْتَعُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَصُدُّكَ
عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿٢٠﴾ وَمَا يَلِكُ
بِيَسْبِيكِ يَمُوسَى ﴿٢١﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا
وَاهْتَسِبُ بِهَا عَلَيَّ غَنِيًّا وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ قَالَ أَلْقَهَا
يَمُوسَى ﴿٢٣﴾ فَأَلْقَهَا فَأِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٤﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَحْزَنْ سُبْعِيذَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ
إِلَى جَنَاحِكَ فَخَرَجَ بِيَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَمٍّ ؕ آيَةٌ أُخْرَى لِلرَّبِّكَ
مِنَ الْبَيِّنَاتِ الْكُفْرَى ﴿٢٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٧﴾ قَالَ
رَبِّ أَسْرِخْ لِي صَدْرِي ﴿٢٨﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٩﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ
لِّسَانِي ﴿٣٠﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٣١﴾ وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٢﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٣﴾
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٣٤﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٣٥﴾ وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٦﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٧﴾
أُودِعْتُ سُرُوكَ يَمُوسَى ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ مَنَّاتُ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٩﴾

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ أَسْرِخْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾

أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ٣١ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٣٢ كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ٣٦ *

وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ٣٧ إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ٣٨ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَمُوتُونَ ٣٩ وَمَا يَلِكُ بِسَيِّدِكَ يَا مُوسَى ٤٠ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ٤١ قَالَ أَفَأَمَّا يَا مُوسَى ٤٢ قَالَ فَلَمَّا فَازَ مِنَ حِجَّةٍ شَعْبَى ٤٣ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْتَفِ سُبْعِيهَا سَابِقَتِهَا الْأُولَى ٤٤ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ فَخَرَّجَ بَيْضَتَهُ مِنْ غَرْمِيهِ ٤٥ يَا مُوسَى ٤٦ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ٤٧ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٤٨ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٤٩ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٥٠ وَاجْعَلْ لِي سُلْطَانًا مُبِينًا ٥١ وَاجْعَلْ لِي زِينَةً لِأَهْلِ الْبَيْتِ ٥٢ هَرُونَ أَخِي ٥٣ أَتَذَكَّرُهُ أَزْرَى ٥٤ وَأَفْرِكُهُ فِي أَمْرِي ٥٥ كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٥٦ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا ٥٧ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٥٨ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ٥٩ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدِكَ لَمَّا تَوَخَّاهُ ٦٠

* من تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله.

* وهذا السؤال من موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته، ومعرفته للأمر، وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصا إذا كان المدعو من أهل العناد

والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عما يريد، ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكثرة المراجعات والمراوضات، ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقييح الباطل وتهجينه، لينفر عنه.

* ويحتاج مع ذلك أيضاً أن يتيسر له أمره، فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلا بحسب حاله، وتمام ذلك، أن يكون لمن هذه صفته، أعوان ووزراء، يساعدونه على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت، لا بد أن تؤثر، فلذلك سأل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هذه الأمور فأعطياها.

* وإذا نظرت إلى حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق، رأيتهم بهذه الحال، بحسب أحوالهم خصوصاً خاتمهم وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال، وله من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة اللسان، وحسن التعبير والبيان، والأعوان على الحق من الصحابة، فمن بعدهم، ما ليس لغيره.

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ۝٥٣ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ۝٥٤ ﴾

* ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾ ساقها على وجه الامتنان، ليدل ذلك على أن الأصل في جميع النوبات الإباحة، فلا يحرم منهم إلا ما كان مضرًا كالسموم ونحوه.

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَّى ۝٥٩ ﴾

* إنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَدَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۝٦١ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ۝٦٢ ﴾

* كلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب. لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة

قَالَ عَلَمُهُا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ إِلَى رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ۝ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ۝ وَمِنْهَا خَلَقْنَا كُرْمًا وَفَيْحًا وَعِدْنًا وَأَنْجَبْنَا لَهُمُ الْغَنَاءَ وَالْقَدْرَ ۝ أَرْبَعًا مِّنْ آيَاتِنَا كَلِمَاتٌ كَذَبَ وَإِنْ ۝ قَالَ أَجِئْتَنَا بِالْخُرْجَانِ مِن أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ۝ فَلَمَّا آيَتَنَّكَ بِسِحْرِ قِبْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُغْلِبُكَ بِهِ نَجْمًا وَلَا أَنْتَ مَكَاثًا سُوَّى ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَّى ۝ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ۝ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَدَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۝ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ۝ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرُنْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَنَا كُرْمًا مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطِرْقَتِكُمُ الْمُنَى ۝ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ فَوَأْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَمْتَلَى ۝

لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا، ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟ ولكن هم إلى الآن ما تم أمرهم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ٥٩﴾ فحينئذ أسروا فيما بينهم النجوى، وأنهم يتفقون على مقالة واحدة، لينجحوا في مقالهم وفعالهم، وليتمسك الناس بدينهم.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي

هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢﴾.

قَالُوا يَمْوَسِيٰ اِيْمَانًا نَّكُرُ اَنْ نُّكُوْنُ اَوَّلَ مَنْ اَلَقَى ۗ قَالَ بَلْ اَلْفَوْا فَاِنَّا جِبَالُهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُجْعَلُ اِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ اَنْهٰٓا نَسَعَى ۗ فَاَوْجَسَ فِيْ نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُّوسَى ۗ فَلَمَّا لَاحَظَ اَنَّكَ اَنْتَ الْاَخْلَى ۗ وَاَلَى مَا فِىْ يَمِيْنِكَ نَلْقَفُ مَا نَسْفَعُوْا اِنَّمَا نَسْتَعُوْا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اَتَى ۗ فَاَلَى السَّحْرِ مُجْتَدًا قَالُوْا اَمْ اَنْتَ اَبْرَٓهٖمُ هٰٓؤُلَآءِ وَمُوسَى ۗ قَالَ اَمْ اَسْئَلُكُمْ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ اِنَّهٗ لَكَيْدٌ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطَعْنَ اَيْدِيكُمْ وَاَرْجُلُكُمْ فِىْ خَلْفٍ وَلَا تُحْسَبْنَ كُفْرًا فِىْ جُذُوْعِ النَّخْلِ وَتَلْعَمَنَّ اَيْتَانَا شُدَّ عَذَابًا وَاٰتَيْنِ ۗ قَالُوْا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلٰٓى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ اِنَّمَا اَمْثَارُ بِرِّتَالِيْمٍ فَرْنَا حَظِيْمًا وَمَا الْاَرْضُ سَنًا عَلَيْنَا مِنَ السِّحْرِ وَاللّٰهُ خَبِيْرٌ وَّاٰتَيْنِ ۗ اِنَّهٗ مِنْ بَيْنِ رِيْبَةٍ مُّجْرِبًا فَاَنْ لَّهٗ جَهَنَّمُ لَا يَبُوْرُ فِيْهَا وَلَا يُجْحَى ۗ وَمَنْ يَأْتِ رِيْبَةً مُّجْرِبًا عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَاُوْتِيَ لَهَا الَّذِي رَجَتْ اَلْفُ ۗ جَنَّكَ عَدُوِّي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَذٰلِكَ جَزَاؤُ مَنْ تَزَكَّى ۗ

* في هذا الكلام من السحرة دليل على أنه ينبغي للعاقل أن يوازن بين لذات الدنيا ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿اِنَّا ءَاْمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيْئَتَنَا وَمَا اَكْرَهْتَنَا

عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَّاَبْقَى ٧٣﴾.

* هذا دليل على أنهم غير مختارين في عملهم المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراها.

* والظاهر - والله أعلم - أن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ

مُوسَى وَيٰكُمُ لَا تَقْتَرُوا عَلٰٓى اللّٰهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۗ اَثَرٌ مَّعَهُمْ، ووقع

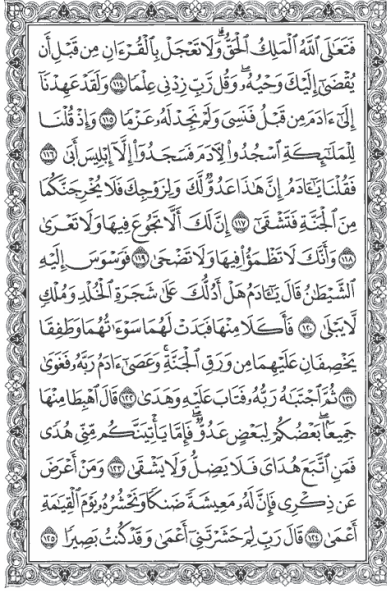
منهم موقعا كبيرا، ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام والموعظة، ثم إن فرعون

ألزمهم ذلك، وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق

قبل إتيانهم، حيث قالوا: ﴿اِنَّ هٰٓذٰنِ لَسَجِرٰنِ يْرِيدٰنِ اَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ اَرْضِكُمْ

بِسِحْرِهِمَا ۗ فَجُرُوْا عَلٰٓى مَا سَنَهُ لَكُمْ، وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة التي

قامت بقلوبهم من كراحتهم لمعارضة الحق بالباطل وفعلمهم، ما فعلوا على وجه الإغماض، هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووقفهم للإيمان والتوبة.



﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ١١٦

* يؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ الملمي والمعلم من كلامه المتصل بعبه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده

سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم، فإنه سبب للحرمان.
* وكذلك المسؤول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ١١٣

* في هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً على زينة الدنيا وإقبالاً عليها أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا.

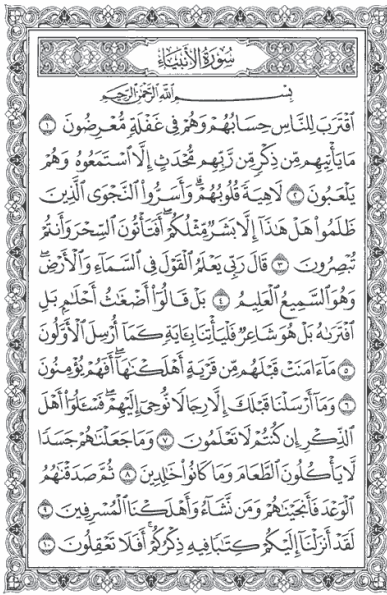


سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

﴿سورة الأنبياء (مكية).﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾



* هذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه.

* وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك.

* وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

* في هذا من بيان عظمتهم وجلالة سلطانهم وكمال علمهم وحكمتهم، ما يوجب أن

لا يعبد إلا هو، ولا تصرف العبادة لغيره.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٨)

* هذه الآية من أدلة إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّهِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥)

* هذه الآية تدل على بطلان قول من يقول ببقاء الخضر، وأنه مخلد في الدنيا،

فهو قول لا دليل عليه، ومناقض للأدلة الشرعية.

﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٦)

* قال: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وفي ذكر اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ هنا بيان لقبح حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن - مسدي النعم كلها، ودافع النعم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا إياه - بالكفر والشرك.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢) ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (٥٣) ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٥٤) ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ (٥٥)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٥١) ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِشَاءٌ مُضْمَرٌ لَا تَفْقَهُوا دُرُوبَهُ يَا قَوْمِ أَيْدِيَهُمْ وَأَمْشَانَهُمْ وَلَا تَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٥٢) ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ لِيَأْتِ اللَّهَ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَانَ جَنْبِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَالِمِينَ﴾ (٥٣) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمْعَوِيَّ وَالْأَنْصَارِيَّةَ كَانُوا تَوْفِيقَهُنَّ مَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْعَمَلِ كُلِّ عَمَلٍ عَمَلًا لَوْ هُوَ إِلَّا تَوْفِيقًا مِنَّا وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِيسًا أَنْ يُعْبُدِيَهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا لِيَبْتَغَا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٥٤) ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَحْفُوفًا وَهُدًى عَنِ ذَيْئِهَا مَعْزُونًا﴾ (٥٥) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٥٦) ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّهِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٥٧) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٨)

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾
 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ
 لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

قُلْ إِنَّمَا أُذْرِكُمْ بِالْوَجْهِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُدْعَوْنَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا مَسَّهُمْ نَجْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَمُوتُنَّ يَوْمَئِذٍ إِنَّكَ نَازِلٌ عَلَيْهِمْ ﴿٥٧﴾ وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ يَنْتَقِلُ حَبَّةٌ مِنْ حَبِّ زَلِّ اتَّبَعَتْهَا رَبُّكَ بِمَا كُنْتَ تَصَاحِبُهَا ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَهُ وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأُخْرَىٰ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٠﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَقْدَمُ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٦٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْرَكَاءَ مَا شَرِكُوا لِي فِي صِلَاتِي فِيهِمْ ﴿٦٥﴾ قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْنَا بِالْحَقِّ أُمَّةً مِنَ اللَّعِينِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٧﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴿٦٨﴾

* ﴿٥٦﴾ قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْنَا بِالْحَقِّ أُمَّةً مِنَ اللَّعِينِينَ

﴿٥٥﴾ ﴿٥٥﴾ إنها رددوا الكلام بين الأمرين،

لأنهم نزلوه منزلة المتقرر المعلوم عند

كل أحد، أن الكلام الذي جاء به

إبراهيم كلام سفيه لا يعقل ما يقول .

* ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴿٥٧﴾

تأمل هذا الاحتراز العجيب، فإن

كل ممقوت عند الله، لا يطلق عليه

ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته

لأصحابه، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَتَبَ إِلَىٰ مَلُوكِ الْأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ

يقول: «إلى عظيم الفرس» «إلى عظيم الروم» ونحو ذلك، ولم يقل «إلى العظيم»

وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ ولم يقل: «كبيراً من أصنامهم»، فهذا ينبغي

التنبه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه.

﴿٥٨﴾ فَجَعَلَهُمْ سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاثِنًا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ

وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٥٩﴾

* ﴿٥٨﴾ فَجَعَلَهُمْ سُلَيْمَانَ أَي: فهمناه هذه القضية، ولا يدل ذلك أن داود لم

يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصها بالذكر بدليل قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ من داود

وسليمان ﴿ءَاثِنًا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق

والصواب، وقد يخطئ ذلك، وليس بمعلوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده.

﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

وَمِنَ الظَّالِمِينَ مَنْ يُصَوِّرُ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا ذُوْنَ ذَلِكَ وَكَانَ لَهُمْ حَقِيقَاتٌ ﴿٨٧﴾ وَأُتِيَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَنَّى مَسَى الظُّرُورُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَفَفْنَا مَا بِيَدِهِ مِنْ ضَرَرٍ وَأَيْنَاهُ أَهْلُهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعَدْنَا وَكَرِهْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٩﴾ وَأَسْمِعِلْ وَادْرِيسَ وَذَا الْكَيْفِ كُلِّ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩٠﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا أَنَّهُمْ قَرَأُوا الصَّلَاحَاتِ ﴿٩١﴾ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَكَرِهْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٩٠﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ نَارًا رَعبًا وَيَدْعُونَ نَارًا رَعبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩١﴾

* ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

هذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل بـ «يونس» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ نَارًا رَعبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

* ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ رُوحَهُ ﴾ بعدما كانت عاقراً لا يصلح رحمها للولادة، فأصلح الله رحمها للحمل، لأجل نبيه زكريا، وهذا من فوائد الجليس والقرين الصالح، أنه مبارك على قرينه، فصار يحيى مشتركا بين الوالدين.

﴿ حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ حَذْبٍ يُنْسَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

* في هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم.

سُورَةُ الْحَجِّ

﴿سورة الحج (مدنية)﴾

﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمَدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ ﴿١٥﴾

* هذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٢٤﴾

وهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَظَهَرَ بَيْنِي لِلظَّالِمِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكُوعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُولِي الْأَرْبَابِ كُلٌّ مِنْ صَابِرٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَتَذَكَّرُوا أَنَّكُمْ لَكُمْ مَنَافِعُ مِنْهُ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ وَلْيَبْشُرُوا إِيَّاهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْآخِرَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدانا اللَّهُ ﴿٢٨﴾ [الأعراف: ٤٣].

* في ذكر ﴿الْحَمِيدِ﴾ هنا، لبيان أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنتته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدانا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظَلِّمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾

* في هذه الآية الكريمة وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها.

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

* يدخل في تطهيره، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة التي تشوش المتعبدين بالصلاة والطواف، وقدم الطواف على الاعتكاف والصلاة لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف لاختصاصه بجنس المساجد.

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا آصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

حُفَاءَ اللَّهِ عَزْمُ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ السَّيْحَةُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٣٦﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظَمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٧﴾ لِكُرْفِهَا مَنَافِعَ إِلَىٰ أَجْلِ مُسَمَّى رُوْحَهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٨﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ فَلَا تَعْلَمُ فِي أَلْهَمِكُمْ إِلَهُ وَجِدَ قَلْبُهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا آصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤٠﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لِكُرْفِ سَعْبِيرِ اللَّهِ لِكُرْفِهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَابًا فَإِذَا وَجِدَتْ جُنُودَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَائِمَ وَالْمُعْتَزِلَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لِكُرْمَا كُرْبَىٰ تَسْكُرُونَ ﴿٤١﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لِكُرْبَىٰ كَثِيرٍ ﴿٤٢﴾ اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٤﴾

* أتى بـ ﴿من﴾ المفيدة للتبعض، ليعلم سهولة ما أمر الله به وورغ فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فإياها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله ينفق الله عليك، ويزدك من فضله.

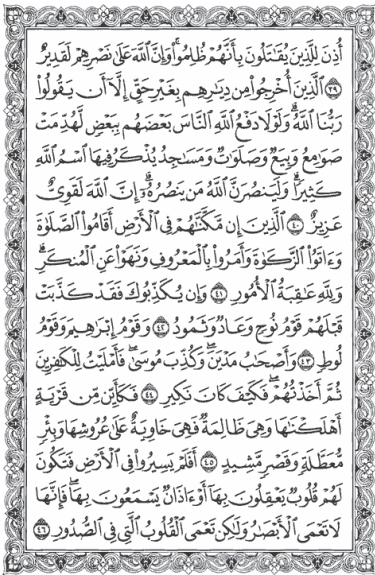
﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لِكُرْمَا كُرْبَىٰ تَسْكُرُونَ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

* ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ في هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخرًا ولا رياء، ولا سمعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله كانت كالعشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه.

* أجيّب بأن هذا السؤال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها، فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل أمة وجنس تحت ولايتها، وداخلاً في حكمها، تعتبره عضواً من أعضاء المملكة، وجزءاً من أجزاء الحكومة، سواء كانت تلك الأمة مقتدرة بعددها أو عددها، أو مالها، أو عملها، أو خدمتها، فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب الدينية والدينيوية، وتحشى إن لم تفعل ذلك أن يختل نظامها، وتفقد بعض أركانها، فيقوم من أمر الدين بهذا السبب ما يقوم، خصوصاً المساجد، فإنها - والله الحمد - في غاية الانتظام، حتى في عواصم الدول الكبار.

* وتراعي تلك الدول الحكومات المستقلة، نظراً لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد والتباغض بين دول النصارى، الذي أخبر الله أنه لا يزال إلى يوم القيامة، فتبقى الحكومة المسلمة، التي لا تقدر تدافع عن نفسها سالمة من كثير ضررهم، لقيام الحسد عندهم، فلا يقدر أحدهم أن يمد يده عليها خوفاً من احتوائها بالآخر، مع أن الله تعالى لا بد أن يري عباده من نصر الإسلام

والمسلمين، ما قد وعده به في كتابه. وقد ظهرت - والله الحمد - أسبابه بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم، والشعور مبدأ العمل، فنحمده ونسأله أن يتم نعمته، ولهذا قال في وعده الصادق المطابق للواقع: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: يقوم بنصر دينه، مخلصاً له في ذلك، يقاتل في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا.



﴿ أذن للذين يفتلوت بأنهم ظلموا ﴾  وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَاعِقُ وَبِيعَ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ .

* يؤخذ من هذه الآية قاعدة شرعية،

وهي أن (المشقة تجلب التيسير)،

و(الضرورات تبيح المحظورات)، فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية شيء

كثير معروف في كتب الأحكام.



أذن للذين يفتلوت بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿٣٩﴾ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره وإن الله لقيوم عزيز ﴿٤٠﴾ الذين إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وبالله عتقة الأمور ﴿٤١﴾ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلكم قورنوح وعاد وثمود ﴿٤٢﴾ وقوم إبراهيم وقوط لوط ﴿٤٣﴾ وأصحاب مدائن وكذب موسى فأمليك للكافرين ثم أخذتهم فكيف كانت نكير ﴿٤٤﴾ فكأن من قريظة أهلكتها وهي ظالمة فيهن خاوية على عروشها وبني معطل وقصر تشيد ﴿٤٥﴾ أفتر يسئروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿٤٦﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

سورة المؤمنون مكية

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١٠﴾ فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعَايُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْيَتِيمَ دُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِذْ كُنْتَ تَعْدُ ذَلِكَ لَنِيْلًا ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نُفِخُ فِي الصُّورِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ وَكُنَّا نَسْتَمِعُ لَهَا مِنْ أَجْلِ رَبِّهَا وَمَا كُنَّا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٢١﴾

* ﴿ فَمَنْ أَتْبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ عموم هذه الآية، يدل

على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست

زوجة حقيقة مقصودا بقاؤها، ولا

مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك.

* ويدل قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾

أنه يشترط في حل المملوكة أن تكون

كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم

تحل، لأنها ليست مما ملكت يمينه، بل

هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أن يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا

يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان.

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

* هذا تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدروا عدمها، ماذا يحصل به من

الضرر، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

[الملك: ٣٠].

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرَيْضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾

وَأَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَبَتْ فِي الْأَرْضِ مَاءً عَلَيَّ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ رُودُوا ﴿٢٣﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا قُرْآنًا كَثِيرًا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٤﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْبَةَ تَتَذَكَّرُ أَلَىٰ الذُّهْنِ وَصَنِيعٌ لِلْكَالِمَاتِ ﴿٢٥﴾ وَاللَّهُ لَكُوفٍ بِالْآفَاتِ لَيُبَيِّنُهَا لَكُمْ وَفِي ظُورِهَا لَكُم مِرْيَاتٌ مِنْهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٦﴾ وَتَلَوْنَهَا وَعَلَىٰ الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَوَيْسَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرَيْضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣١﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ يَا نُوحُ إِنَّا جَاءُوكَ بِآيَاتِنَا فَارْتَقِ الْفُلَ فَأَسْكَبْنَا فِيهَا مَاءً وَسَخَّرْنَا لَكَ وَالْجَاوِشَ عَلَيْهِ سَبْعَ عَشْرَ سَنَةً وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣٢﴾

* هذه الشبه التي أوردوها معارضة لنبوة نبيهم، دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وعلى أنهم في غاية الجهل والضلال، فإنها لا تصلح للمعارضة بوجه من الوجوه، كما ذكرنا، بل هي في نفسها متناقضة متعارضة. فقولُه: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أثبتوا أن له عقلا يكيدهم به، ليعلوهم ويسودهم، ويحتاج - مع هذا - أن يحذر منه لثلاث يغتر به، فكيف يلتئم مع

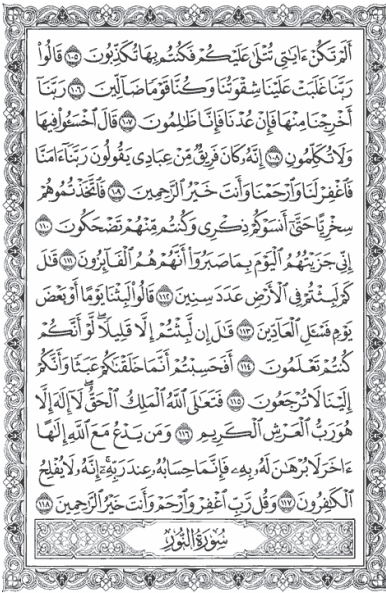
قولهم: ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾، وهل هذا إلا من مشبه ضال، منقلب عليه الأمر، قصده الدفع بأي طريق اتفق له، غير عالم بما يقول؟». ويأبى الله إلا أن يظهر خزي من عاداه وعادى رسله.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

* مر عليّ منذ زمان طويل كلام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

* هذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئاته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا كافرين، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها. وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته، فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.



﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

﴿١٠٩﴾

* جمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ومنتته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم. فهو لاء سادات الناس وفضلاؤهم.



سُورَةُ النُّورِ

✽ سورة النور (مدنية).

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾



* هذا دليل صريح على تحريم نكاح

الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح

الزاني حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج

لزوجته، والزوجة لزوجها، أشد

الاقترانات والازدواجات، وقد قال

تعالى: ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾

[الصفات: ٢٢] أي: قرناءهم، فحرم

الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم،

وفيه من قلة الغيرة، وإلحاق الأولاد

الذين ليسوا من الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما

بعضه كاف للتحريم .

* وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمناً، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا يزيني

الزاني حين يزيني وهو مؤمن » فهو وإن لم يكن مشركاً، فلا يطلق عليه اسم

المدح، الذي هو الإيذان المطلق.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾

* في هذا تقرير حد القذف، ولكن بشرط أن يكون المقذوف كما قال تعالى محصنا مؤمنا، وأما قذف غير المحصن، فإنه يوجب التعزير.
* وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ



لِمَنِ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾

* هل يقام عليها الحد، بمجرد لعان الرجل ونكولها أم تحبس؟ فيه قولان للعلماء، الذي يدل عليه الدليل أنه يقام عليها الحد، بدليل قوله: ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ ﴾ إلى آخره، فلو لا

أن العذاب وهو الحد قد وجب بلعانه، لم يكن لعانها داراً له.

* وظاهر الآيات يدل على اشتراط هذه الألفاظ عند اللعان، منه ومنها، واشتراط الترتيب فيها، وأن لا ينقص منها شيء، ولا يبدل شيء بشيء، وأن اللعان مختص بالزوج إذا رمى امرأته، لا بالعكس، وأن الشبه في الولد مع اللعان لا عبرة به، كما لا يعتبر مع الفراش، وإنما يعتبر الشبه حيث لا مرجح إلا هو.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ تَوَلَّى فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَتَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَعَنَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَتِخَذَ الشُّرَكَاءُ فِي الدُّنْيَا أَوْلِيَاءَ اللَّهُ عَدَاؤُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُعَذِّبُ الْمُذْتَمِرِينَ ﴿١٩﴾ تَوَلَّى فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ ذَرِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ تَوَلَّى فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَتَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

﴿١٥﴾ وَتَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

* جعل الخطاب عاما مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قرح بعضهم ببعض كقبح في أنفسهم، فيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فكما أنه يكره أن يقدر أحد في عرضه، فليكره من كل أحد أن يقدر في أخيه المؤمن الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه.

* ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٣﴾ وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله، لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك من دون أربعة شهود، ولهذا قال: ﴿فَإُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٣﴾

خصوصاً سيدهم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بهذا الأمر قدح في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المتناقضين، فمجرد كونها زوجة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح . فكيف وهي هي؟ « صديقة النساء وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمبطل مقالا، ولا لشك وشبهة مجالا، فقال: ﴿أَوْلَيْتِكَ مُبْرَأَةٌ وَمَا يَقُولُونَ﴾ والإشارة إلى عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أصلا، وللمؤمنات المحصنات الغافلات تبعا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ تستغرق الذنوب، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة صادر من الرب الكريم.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوَدَّنَ لَكُمْ
وَلَنْ يُدَنَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِيهَا وَأَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا
تَحَلُّوْنَ عَلَيْهِمْ ۖ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا فِيهَا
عِزَّةً مَسْكُوتًا فِيهَا مَسْكُوتٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ۖ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۖ
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمْرِهِنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوَاتَّبَعْنَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ
الزَّيْنِ وَالزَّيْنِ وَالزَّيْنِ وَالزَّيْنِ وَالزَّيْنِ وَالزَّيْنِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ
وَلْيُؤَدُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ

* ولهذا سماه الله حفظا، فالشياء المحفوظة إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أو قعاها في بلايا ومحن.

* وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما

﴿٥٠﴾ وَرَسُولُهُ. بَلْ أَوْلَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

* في هذه الآيات، دليل على أن الإيمان، ليس هو مجرد القول حتى يقترن به العمل، ولهذا نفى الإيمان عما تولى عن الطاعة.

* وفيها وجوب الانقياد لحكم الله ورسوله في كل حال، وأن من ينقله دل على مرض في قلبه، وريب في إيمانه.

* وأنه يجرم إساءة الظن بأحكام

الشريعة، وأن يظن بها خلاف العدل والحكمة.

يَقْبَلُ اللَّهُ التَّائِبِينَ وَالْمُتَّوِّبِينَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٠﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَلَأَ مِنْهُمْ مِنْ يَشِي عَلَى بَطْنِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ
يَشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخَافُ اللَّهَ مَخِيفَةً
إِنَّمَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ وَقَالُوا لَوْ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا لَفُتِنَّا لَبِئْسَ مَا كُنَّا لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَخْرُجُوا يَخْرُجُوا إِذَا فَرَّقُوا مِنْهُمْ تُقْرَبُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ لُحُوقٌ
بِأُولِي الْأَبْصَارِ فَدَعُوهُمْ إِلَى الْبِرِّ أَوْ لَا بِرٍّ لَهُمْ تَرْجُوْنَ أَمْ أَرْبَابٌ آخَرُونَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ لَكُفْرًا وَلِيُنَازِلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ كَانُوا يَنْشِئُونَ الْجُنُبَانَ وَالْأَرْبَابَ الْمُضَلَّاتِ لِيَحْبَبُوا
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَخْرُجُوا يَخْرُجُوا
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ، وَخَشِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَقُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٧﴾
﴿٥٨﴾ وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقْرَبُوا فَمَنْ لَمْ يُجِزْ
لِللَّهِ سُبُوحًا مُتَعَدِّدَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥٠﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٥٠﴾

* دلت هذه الآية، أن الله قد مكن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض، كما قال
موسى لقومه: ﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾
﴿[الأعراف: ١٢٩] وقال تعالى: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي
الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٥٠﴾
[القصص: ٥-٦].

﴿٥٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِزَّزْنَ بِكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعَنُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ

مَرَّتْ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

في هاتين الآيتين فوائد:

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَذَابِي مَا مَحَلَّ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا فَتَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَأَطِيعُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُهْمُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسْتَدِينَنَّكُمْ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عَدَاوَةَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ فَمَا يَصْبِرُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٦٢﴾

* منها: أن السيد وولي الصغير مخاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد العلم والآداب الشرعية، لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسْتَدِينَنَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ الآية، ولا يمكن ذلك، إلا بالتعليم والتأديب، ولقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾

* ومنها: الأمر بحفظ العورات، والاحتياط لذلك من كل وجه، وأن المحل والمكان الذي هو مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه، أنه منهي عن الاغتسال فيه والاستنجاء، ونحو ذلك.

* ومنها: جواز كشف العورة لحاجة، كالحاجة عند النوم، وعند البول والغائط، ونحو ذلك.

* ومنها: أن المسلمين كانوا معتادين للقليلولة وسط النهار، كما اعتادوا نوم الليل، لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة.

* ومنها: أن الصغير الذي دون البلوغ لا يجوز أن يمكن من رؤية العورة، ولا يجوز

أن ترى عورته، لأن الله لم يأمر باستئذانهم، إلا عن أمر ما يجوز.

* **ومنها:** أن المملوك أيضا، لا يجوز أن يرى عورة سيده، كما أن سيده لا يجوز أن يرى عورته، كما ذكرنا في الصغير.

* **ومنها:** أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي، أن يقرن بالحكم، بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجردا عن الدليل والتعليل، لأن الله - لما بين الحكم المذكور - علله بقوله: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾.

* **ومنها:** أن الصغير والعبد مخاطبان، كما أن وليهما مخاطب لقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾.

* **ومنها:** أن ريق الصبي طاهر، ولو كان بعد نجاسة، كالقيء، لقوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ مع قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سئل عن الهرة: «إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات».

* **ومنها:** جواز استخدام الإنسان من تحت يده، من الأطفال على وجه معتاد لا يشق على الطفل لقوله: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾.

* **ومنها:** أن الحكم المذكور المفصل إنما هو لما دون البلوغ، فأما ما بعد البلوغ فليس إلا الاستئذان.

* **ومنها:** أن البلوغ يحصل بالإنزال، فكل حكم شرعي رتب على البلوغ، حصل بالإنزال، وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف، هل يحصل البلوغ بالسن، أو الإنبات للعانة، والله أعلم.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى



أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ
مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ
أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ
طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
أَسْتَأْذِنُ الْبُرْجَانُ مِنَ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَالْقَوْلُ عِدَّةٌ مِنَ الْبَيْتِ
الَّذِي لَا يَدْخُلُ فِيهِ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ
يَسَابِهَهُنَّ غَيْرَ مُتَرَجِّحِينَ بِرَبِّتِهِمْ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ
لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى جُنَاحٌ وَلَا
عَلَى الْأَعْرَجِ جُنَاحٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ جُنَاحٌ وَلَا عَلَى الْأَنْفُسِ
الَّتِي تَأْكُلُ لَوْ مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ
مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا
عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ
يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

* ليس المراد من قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيت الإنسان نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفى الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه فليس فيه أدنى توهم.

* ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضكم على بعض، لأن المسلمين

كانهم شخص واحد، من تواددهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق بين بيت وبيت .

* وفي هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كلية وهي: أن العرف والعادة مخصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ « فإن الأصل أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاء للعرف والعادة، فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف جاز الإقدام عليه.

* وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتا للإنسان.

* وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام السائل المعتاد.

* وفيها دليل على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض.



سُورَةُ الْفُرْقَانِ

✽ سورة الفرقان (مكية).

✽ وَقَالُوا أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ✽

✽ وهذا القول منهم فيه عدة عظامه:

* **منها:** رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة.* **ومنها:** إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق الكلام وأعظمه وأجله - بأنه كذب وافتراء.* **ومنها:** أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله، وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل

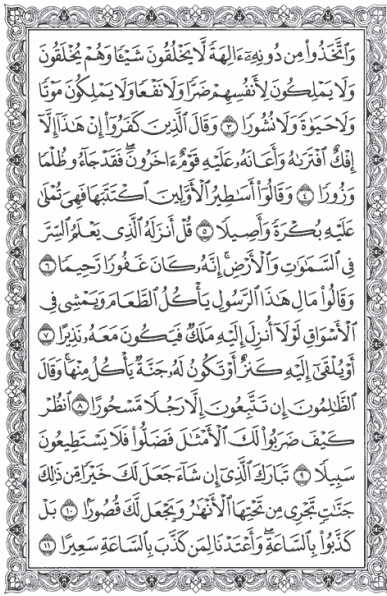
من كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام.

* **ومنها:** أن الرسول قد علمت حالته، وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له، وقد زعموا ذلك.

✽ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِيمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٣٥﴾ أَمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٣٦﴾ ✽

* مما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل



حي، وملاأت الكائنات، وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص، وزال بها كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليها الأسماء الدالة على الغضب، وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها سبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، فما ظنك بما يعاملهم به؟! ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

* هذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَاءَ مَكَانًا وَأَصْلُ سَيِّلًا ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَحَمَلْنَا مَعَهُ أَلْحَابَهُ هَدًى وَزِينًا ﴿٣٤﴾ قُلْنَا آذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٥﴾ وَقَوْمٌ نُوِّجَ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لِنَائِهِمْ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٦﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّيسِ وَقَوْمَنَا بَدَّتْ ذَلِكَ كَبِيرًا ﴿٣٧﴾ وَكُلًّا صَبَرْنَا لَهُ الْأَمْتَلَّ وَكُلًّا نَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْفُرْقَانَ الَّذِي مَطَّرَ النَّسْوَةَ أَقْلَهُ يَكْفُو نُؤَابِرَ وَهَذَا بَلَكُ الْوَالِئِ مَحُوتٍ لَشُورًا ﴿٣٩﴾ وَإِلَّا رَأَوْكَ إِلَّا نَسْجِدُونَكَ إِلَّا هَهُؤُلَا هَهُؤُلَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤٠﴾ إِنْ كَادَ لَيُبْدِلُنَا عَنْ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَيِّلًا ﴿٤١﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٢﴾

حيث جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية.

* وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم، وواعظ أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق، فكلما حدث موجب أو حصل موسم أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك.

* وفيه رد على المتكلمين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيرا من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها، ولها معان غير ما يفهم منها، فإذا - على قولهم - لا يكون القرآن أحسن تفسيرا من غيره، وإنما التفسير الأحسن - على زعمهم - تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفا.

﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (١١) .

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١١﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَمِنَ شَاءَ أَنْ يَخُدَّ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْوَعْدِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿١٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَبِّحْ لَهُ بِحَمْدِهِ خَيْرًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ تُغْوِيًّا ﴿١٥﴾ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا ﴿١٧﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَبِيسُوتُ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَتُوبُونَ رَبَّنَا أُصْرِفْ غَنَاتَ غَدَابَتِنَا وَجَهَّنَّمَا نَ عَذَابَهَا كَانِ عَرَامًا ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا سَاءَتْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الْوَيْطَانِ إِذَا أَتَقَفُوا لِرَبِّهِمْ قَوْلًا وَلَمْ يَتَّقُوا وَكَانَ هِيَ ذِكْرًا قَوْلًا ﴿٢١﴾

* كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿ نَبَارَكُ ﴾ ثلاث مرات لأنها تدل على عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة فيها من الاستدلال على عظمته وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته.

* وفيها ما يدل على سعة رحمته وواسع

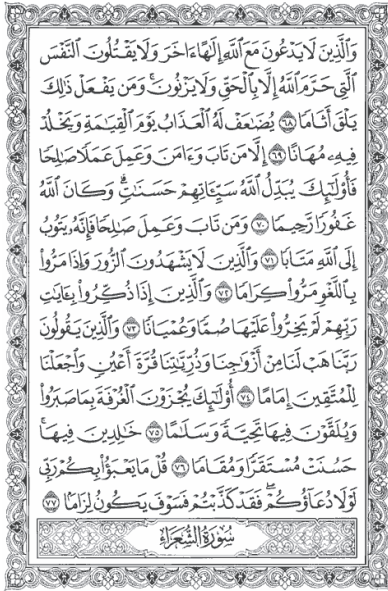
جوده وكثرة خيراته الدينية والدينية ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن .

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (١٨) .

* نص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ﴿٧٢﴾ .

* في قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه .



سُورَةُ النُّجُومِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

﴿سورة الشعراء﴾ (مكية).

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣٨)

قَالَ قَعْلَمَهَا إِذَا مَا إِلَىٰ مُنَا إِلَيْنِ ۖ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ إِيَّامًا يَفْتَنُكُمُ
فَوَهَبْتُ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ وَيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
تَنْبُهُمْ عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ ۖ قَالَ رَجَعُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
ۖ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ
ۖ قَالَ لَيْسَ حَوْلَهُ إِلَّا السَّمْعُومُونَ ۖ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ۖ قَالَ إِنْ رَسُولُكَ إِلَّا الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونًا
ۖ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ
ۖ قَالَ لَيْسَ أَخَذتُ إِلَهُاتٍ غَيْرِي لِأَجْعَلَ لَكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ
ۖ قَالَ أَوْلَوْجِنَّكَ بِسْمِي وَمِيثِيمٍ ۖ قَالَ فَأَيُّ بِيهَاتٍ كُنْتِ
مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ لَقِيَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْلَابٌ مُبِينٌ ۖ
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْتُكَ لِلنَّظِيرِينَ ۖ قَالَ لِلْمَلَاحِقَةِ
إِنَّ هَذَا السِّحْرُ عَلِيمٌ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنَ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِ فَهَذَا تَأْمُرُونَ ۖ قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَمَّا هُوَ فَمَقَتْ فِي الْمَدَائِنِ
حَبِيبِينَ ۖ يَا أَيُّهَا رَبُّ كُلِّ سُحَّارٍ عَلِيمٍ ۖ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۖ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُخْتَلِفُونَ ۖ

* فيه إيحاء وتنبية إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون أنه دأؤكم، فرميتم أذكى الخلق عقلاً وأكملهم علماً بالجنون!!، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم عن إنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسموات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأى شيء تثبتون؟! وإذا جهلتموه فأى شيء تعلمون؟! وإذا لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء بعد الله وآياته تؤمنون؟!

تالله إن المجانين الذين بمنزلة البهائم أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة أهدى منكم .

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحًا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥)

* جمعهم لأن تكذيب نوح كتكذيب جميع المرسلين، لأنهم كلهم اتفقوا على دعوة واحدة و أخبار واحدة، فتكذيب أحدهم كتكذيب جميع ما جاؤوا به من الحق.

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

* من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه من كونه نزل من الله لا من غيره مقصوداً فيه نفعكم وهدايتكم.

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾

* تأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة،

على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه، وهي قلبه، وعلى أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين.

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

* هذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له: أحسن إلى قرابتك، فيكون هذا الخصوص دالاً على التأكيد وزيادة الحث، فامثل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذا الأمر الإلهي، فدعا سائر بطون قريش فعمّم وخصّص، وذكّرهم ووعظهم، ولم يبق **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من مقدوره شيئاً من نصحهم وهدايتهم إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض.

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

* ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم ولا تترك معاملتهم بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعضهم عليه، وانصحهم، وابدل

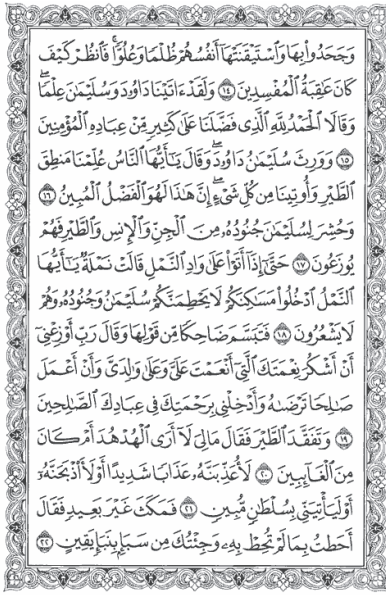
وَأَنْتَوُا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِيَلَةَ الْأُولَى ﴿١١٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا آتَتْ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا آتَى إِلَّا بَشَرٌ مِثْلًا وَإِنْ نَطَلْتُمْ لَمَوْنَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَفِظْ عَلَيْنَا كَيْفَ تَمْنَى السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ ﴿١١٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ لَكَ نَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٢١﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢٢﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّهُ لَكُنزٌ لِلَّذِينَ الْأُولَى ﴿١٢٤﴾ أَوْ لَوْ كَانَ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَرْفَعَهُمْ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ كَيْفَ تَزِيلُ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْتَ بِأَعْيُنِنَا إِنَّا بِمَا يَصْنَعُونَ كَافِرِينَ ﴿١٢٦﴾

قدرتك في ردهم عنه وتوبتهم منه. وهذا الدفع احتراز وهم من يتوهم أن قوله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] يقتضي الرضا بجميع ما يصدر منهم ما داموا مؤمنين، فدفِع هذا بهذا . والله أعلم .



سُورَةُ النَّاسِ

﴿سورة النمل (مكية).﴾



﴿فَتَبَسَّصَ صَاحِبَا كَامِنٍ قَوْلَهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَدَلَيْتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾

* هذه حال الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام: الأدب الكامل والتعجب

في موضعه، وأن لا يبلغ بهم الضحك

إلا إلى التبسم، كما كان الرسول

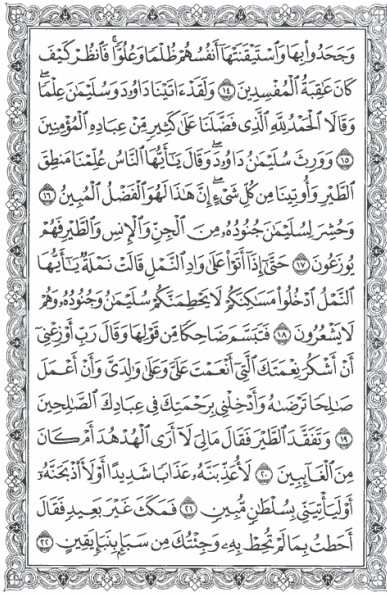
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب، وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه يدل على شراسة الخلق والخبوت، والرسول منزهون عن ذلك .

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾

* دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدييره بنفسه للأمر الكبار والصغار حتى إنه لم يهمل هذا الأمر، وهو تفقد الطيور والنظر هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية، ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منه ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه

دليل، بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والملاحظات أن هذه الحيوانات كلها ليس منها شيء يبصر

هذا البصر الخارق للعادة وينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات. وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: لطلب الهدهد لينظر له الماء، فلما فقدته قال ما قال، أو ففتش عن الهدهد أو بحث عنه ونحو ذلك من العبارات. وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب، ولزومها للمراكز والمواقع التي عينها لها.



* وأيضاً فإن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج إلى هندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعماريات ما يحفرون له الماء ولو بلغ في العمق ما بلغ، وسخر له الريح غدوها شهر، ورواحها شهر فكيف مع ذلك يحتاج إلى الهدهد؟! وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل فينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم، حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع.

* واللييب الفطن أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم، وأمرهم بالتفكير في معانيه وتطبيقها على ألفاظه

العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء؟ وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ردها إلى الأصل، فإن وافقه قبلها من كون اللفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى، أو لفظاً أو معنى ردها وجزم بطلانها، لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها وهو ما يعرفه في معنى كلامه ودلالته.

* والشاهد أن تفقد سليمان **عَلَيْهِ السَّلَام** للطير وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدييره للملك بنفسه وكمال فطنته، حتى فقد هذا الطائر الصغير: **﴿فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِبِينَ﴾** (٢٠) أي: هل عدم رؤيتي

إياه لقلّة فطنتي به لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة أم على بابها بأن كان غائباً من غير إذني ولا أمري؟!

* **﴿لَأَعَذِّبَنَّهٗ، عَذَابًا شَدِيدًا﴾** وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعدر واضح، فذلك استثناء لورعه وفطنته.

وَجَدُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَتَهَا الْفُسْهُمُ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَقِبُهُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَدْ آذَانًا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا
وَقَالَ لِمَنْدُوبِهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٢١﴾ وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَبْنَاءَ النَّاسِ عَلِمْتُ أَنْتُمْ
الطَّيْرَ وَأُوَيْدْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٢٢﴾
وَحُجْرَتِ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُؤْتُونَكَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْكَ عَلَىٰ وَادِ الْقَوْمِ قَالَ كَتَمْنَا بِتَأْنُهَا
الْقَتْلَ إِذْ خَلُّوا مَسْكُوكُمْ لَا يَحْطَمَنَّ كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ وَجُنُودَهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾ فَتَبَسَّصَ حَاكِمًا مِنْ قَوْمِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْرِثْنِي
أَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
﴿٢٤﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ
مِنْ الْعَائِبِينَ ﴿٢٥﴾ لَأَعَذِّبَنَّهٗ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ
أَوْ لَا يُؤْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٦﴾ فَمَكَتْ عَذْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٧﴾

﴿ فَمَكَتْ عَذْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (٢٧)

* هذا يدل على هيبة جنوده منه وشدة ائتمارهم بأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه عذر واضح لم يقدر على التخلف زمنًا كثيرًا.



﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

* أي لا تكونوا فوقني، بل اخضعوا تحت سلطاني، وانقادوا لأوامري، وأقبلوا إليّ مسلمين، وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام لأنه تضمن نبيه على العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها، والانقياد لأمره والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام. وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة، وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب.

إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُكُمْ وَأَوْقَيْتُ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ وَوَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَدُّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ عَمَّا كَانَتْ فَضَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ قَالَ سَتُنطَلِقُ أَسَدَقْتُ أَمْ كَذَبْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ أَذْهَبَ بِكَ هَذَا قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَلَيْسَ لِي بِرَبِّكَ كَرِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٦﴾ أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفُنِّي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا خَلْفَ نَهْيِمْ دُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ اخْنُ أَوْلُوا قَوْمًا وَأَوْلُوا بِأَسْبَابِ شِدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَهْرَاقُوا مَالَهُمْ وَأَعْرَاجُهَا أَغْلَبُوا وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِهِ يَرْتَعِبُونَ ﴿٤١﴾

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ ﴿٤٢﴾

* لم يعتر بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك، لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ ﴿٤٢﴾

فَلَمَّا جَاءَهُ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُوقِي بِمَا لِي قَهَاءً اتن بالله خَيْرٌ وَمَا آتَاكَ بِلِئَامٍ بِهَدِيَّةٍ كَرِيمَةٍ ﴿٤٢﴾ أَرَجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَابَهُمْ يَجُودُوا لِقَوْلِهِمْ بِهَا وَلِيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَوْلَهُ وَهُوَ صَغِيرٌ ﴿٤٣﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفُنِّي بِرَبِّكَ بِعَرَضٍ أَقْبَلُ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ عَفْرِيُّ بْنُ أَبِي لَيْسٍ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٥﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَصَدَّقُوا بِاللَّهِ عَرَضًا تَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ كُنُّونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَفَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ كَانَتْ هُوَ وَأَوْقَيْتُ الْعَالَمِينَ قِيلَ مَا وَكَيْكُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٤٨﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كُفْرِينَ ﴿٤٩﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُضْرَبٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأْتُكَ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٤٤)

* ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ هذا من ذكائها وفطنتها، لم تقل: هو، لوجود التغيير فيه والتكبير، ولم تنف أنه هو، لأنها عرفته، فأنت بلفظ محتمل للأمرين، صادق على الحالين.

فَلَمَّا جَاءَتْ سَلِيمَنَ قَالَ أَتَيْدُونَ بِيَالِ قَهَّاءِ اتِنَاءِ اللَّهِ حَتَّى مَمَّا
ءَاتَكَرُ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٤٤﴾ أَنْزَجَ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَبَيَّنَهُمْ
يُخْبِرُونَ لَا يَقُولُ لَهُمْ يَهْدَىٰ وَكَذَلِكَ خَرَجْتُمْ مِنْهَا أَدْوَالَهُ وَخُوضِعُونَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَيْكُ يَا أَيُّهَا يَعْرَبِيهَا قِيلَ أَنْ يَا أُوْفِي مُسْلِمِينَ
﴿٤٦﴾ قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنْ لَيْنِ أَنَاءِ أَيْكُ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ
وَأَيُّ عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٍ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا
أَبْرِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لِيُؤْتِيَ الْعِلْمَ مَنْ يَشَاءُ لَمْ أَكْفُرْ وَمَنْ شَكَرْنَا
يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٨﴾ قَالَ نَسَىٰ رَأْيَهَا
عَرَبِيهَا نَنْظُرَ أَنَّهُ قَدِ اتَّوَكَّلَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا
جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا
وَكَنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ
قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٥١﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ
مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٤)

* هذا أيضاً من عقلها وأدبها فإنها لم تنتفع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله لعلها أنها لم تستدع إلا للإكرام، وأن ملك سليمان وتنظيمه قد بناه على الحكمة، ولم يكن في قلبها أدنى

شك من حال السوء بعدما رأت ما رأت، فلما استعدت للخوض قيل لها ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي: مجلس من قوارير، فلا حاجة منك لكشف الساقين، فحيثئذ لما وصلت إلى سليمان وشاهدت ما شاهدت، علمت نبوته ورسالته، وتابت ورجعت عن كفره: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤).

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٨٢)

* هذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشرار

الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، «ولم يأت دليل يدل على كيفيتها ولا من أي نوع هي، وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس، وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه. والله أعلم».



سُورَةُ الْقَصَصِ

﴿سورة القصص (مكية)﴾

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِمُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن

وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قُرْبَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلُمَّنَّ وَجُنُودَهُمَا
وَيُنْفِرُونَا كَأَنَّا بِنَدَارٍ ﴿١٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمْمُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا اخْتَفَتْ عَلَيْهِ فَالْقَبِيهِ فِي الْبَيْتِ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا آدُوهُ وَإِنَّا كُنَّا مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿١٢﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرِمُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا
أَنْ رَزَقْنَاكَ عَلَىٰ قَلْبِهَا لِيُتَكَبَّرَ مِنْهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَقَالَتِ
لِأَخِيهِ يَا قُتَيْبُ فَبَصُرْتُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٥﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
﴿١٦﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آلِهِ كَمَا نَقَرْنَا
عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنِي وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٧﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأْتَيْنَاهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨﴾ وَدَخَلَ

رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأَخِيهِ قُصِيْبُ فَبَصُرْتُ بِهِ عَنْ
جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
نَصِيْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آلِهِ كَمَا نَقَرْنَا
عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنِي وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأْتَيْنَاهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ

الْمَدِيْنَةَ عَلَىٰ حِينٍ عَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعِنِهِ وَهَذَا مِنْ
عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَاهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ
هُوَ الْعَفُوُّ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

* ﴿لِتَكُونَ﴾ ﴿بذلك الصبر والثبات﴾ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ ، فإن العبد إذا

أصابته مصيبة فصبر وثبت ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك على أن استمرار
الجزء مع العبد دليل على ضعف إيمانه.

* وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أمًا، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله، صدقا وحقا.

* ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٧) ﴿ هذا وعد من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَكَذَلِكَ نَحْيِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ وَخَلَّ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَكَرِهَ، مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأْتِرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٢﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ أَلْمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٣﴾ فَجَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينِكَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينِكَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٦﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٧﴾ فَجَاءَتْهُ أَحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأْتِرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ أَلْمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَجَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينِكَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينِكَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ أَحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ .

* ﴿تَمْشَىٰ عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾ هذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء.

* ويدل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخدم الذي لا يُستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ ثَلَاثَةٌ مَدِينَةَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سُبُلَ السَّبِيلِ ﴿٢٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَةٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُحُونَ وَوَجَدَهُمْ يُرْشِدُونَ أَمْرًا رَبَّنَا قَالَ مَا حَظُّبِكُمْ كَمَا قَالَتْ الْأَنْسِيُّ حَتَّىٰ بُصِّدَ الرَّجُلَ وَالنَّوْثَا سَمِعَ كَيْدًا ﴿٢٦﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا تَوَلَّىٰ إِلَى الظَّلِيلِ فَقَالَ رَبِّي إِنِّي لَمَّا أُرْتُكَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَدِيرٌ ﴿٢٧﴾ فَجَاءَهُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشَىٰ عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ ابْنَ يَدْعُوكَ لِيجْرِيَنَّكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتُ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَضَىٰ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ جَعَلْتُ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣١﴾ .

* وهذا يدل على أن الرجل الصالح ينبغي له أن يحسن خلقه معها أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ﴿٢٨﴾ .

* هذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر



عند كثير من الناس:

- فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون أن شعيباً **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟
- وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟
- ولو كان ذلك الرجل شعيباً، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان.
- وأيضاً فإن شعيباً **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاد الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما.
- وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادماً له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله أعلم.

فصل في ذكر بعض الفوائد والعبر في هذه القصة العجيبة:

- * **فمنها:** أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص لأجلهم، وأما غيرهم فلا يعبأ الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى.
- * **ومنها:** أن الله تعالى إذا أراد أمراً هياً أسبابه، وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج، لا دفعة واحدة.
- * **ومنها:** أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا الإيأس من ارتقائها إلى أعلى

- الأمور، خصوصا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.
- * **ومنها:** أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها [ولا دنياها] ولا يكون لها إمامة فيه.
- * **ومنها:** لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.
- * **ومنها:** أن الله يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله سرورا أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شرا أكثر منه، كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهلم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورا.
- * **ومنها:** أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.
- * **ومنها:** أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبیت من الله، عند المقلقات، كما قال تعالى.
- ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها.
- * **ومنها:** أن من أعظم نعم الله على عبده، و [أعظم] معونة للعبد على أموره، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه وروعه وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا يتتفع بنفسه في تلك الحال.

* **ومنها:** أن العبد - ولو عرف أن القضاء والقدر ووعده الله نافذ لا بد منه - فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافيا لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك اجتهدت على رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

* **ومنها:** جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال من غير محذور، كما جرى لأخت موسى وابنتي صاحب مدين.

* **ومنها:** جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على من يفعل ذلك.

* **ومنها:** أن الله من رحمته بعبد الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، ويشهده من بيناته ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق.

* **ومنها:** أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف، لا يجوز، فإن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عدّ قتله القبطي الكافر ذنبا، واستغفر الله منه.

* **ومنها:** أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

* **ومنها:** أن من قتل النفوس بغير حق، وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهيب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله قول القبطي ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١١) على وجه التقرير له، لا الإنكار.

* **ومنها:** أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شريعته فيه، لا يكون ذلك نميمة - بل قد يكون واجبا - كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحا له ومحذرا.

* **ومنها:** أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى.

* **ومنها:** أنه عند تزامم المفسدين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداهما أنه يرتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن موسى، لما دار الأمر بين بقاءه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل [يدله] غير ربه، ولكن هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.

* **ومنها:** أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢).

* **ومنها:** أن الرحمة بالخلق، والإحسان على من يعرف ومن لا يعرف، من أخلاق الأنبياء.

* وأن من الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة العاجز.

* **ومنها:** استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالماً لها، لأنه تعالى، يجب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكته، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤).

* **ومنها:** أن الحياء - خصوصاً من الكرام - من الأخلاق الممدوحة.

* **ومنها:** المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين.

* **ومنها:** أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب

- مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض.
- * **ومنها:** مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، ممن لا يقدر العمل، وإنما مرده العرف.
- * **ومنها:** أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعاً.
- * **ومنها:** أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخيره، لا يلام عليه.
- * **ومنها:** أن خير أجير وعامل [يعمل] للإنسان، أن يكون قويا أميناً.
- * **ومنها:** أن من مكارم الأخلاق، أن يُحسِّن خلقه لأجيريه، وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٧).
- * **ومنها:** جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إسهاد لقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٢٨).
- * **ومنها:** ما أجرى الله على يد موسى من الآيات البيّنات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن الغرق.
- * **ومنها:** أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماماً في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيّناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماماً في الخير هادياً مهدياً.
- * **ومنها:** ما فيها من الدلالة على رسالة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، حيث أخبر بذلك تفصيلاً مطابقاً، وتأصيلاً موافقاً، قصه قصاً، صدق به المرسلين، وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا مشاهدة لموضع واحد من

تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئاً من هذه الأمور، ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحى أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوما جاهلين، وعن النذر والرسل غافلين.

* فصلوات الله وسلامه، على مَنْ مجرد خبره ينبيء أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة ما جاء به، وصدقه خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة التي لا تناسب، ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان.

* ولم تزل الأمم المعاندة، والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكائد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نمواً، ولا آياته وبراهينه إلا ظهوراً، وكل وقت من الأوقات يظهر من آياته ما هو عبرة للعالمين، وهداية للعالمين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَنْ رَحِمْتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرْعَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَرْجُمَانِمْ كُلٌّ أُمَّةٍ نَهَبْنَا مَا نَؤْتِيهِمْ كُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ إِنْ قَرَّبُونَ كَاتِبًا مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ ذُرِّيَّةً مِنْ نَوْءٍ مَائِدَةٍ مَقَالِقُهُمْ لَتَأْتِيَنَّ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٧١﴾

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، وَعَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَوْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ، مِثْرَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَكَثْرَتُ جَمْعًا
 وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٣﴾ فَصَحَّحَ عَلَى قَوْلِهِ
 فِي زَيْتِيَّةٍ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَنْ يَكُونُوا
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَدَّعُونَ قُرْبَانَ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ نَامَسَ وَعَجِلَ
 صَدِيقًا وَلَا يُتْلَقُهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٥﴾ فَحَسَّسْنَا بِهِ
 وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَصْرُوهُ، مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا
 مَكَانَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ يَفُورُونَ وَيَكْفُرُونَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا
 وَيُنَكِّتُنَا لَا نُلْفِئُ إِلَّا بِأَعْيُنِنَا رَبُّنَا إِنَّكَ الْدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْمَلُهَا
 لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
 ﴿٨٧﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
 بِجُرْئِيَتِ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَلَمًا كَأَنَّهُمْ يُفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

* في هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر.

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣)

* ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق.
 * وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب.

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٤)

* شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله



به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى
وحقوق العباد .



سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

﴿سورة العنكبوت (مكية).﴾

﴿فَأَمَّا لَوْمَةُ لَوِطٍ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنْ التَّارِكِينَ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ مَّن بَيْنِكُمْ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٧﴾ فَأَمَّا لَوْمَةُ لَوِطٍ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَسَىٰ أُنْتَبِهُ أَفَلَا تُعْقِلُونَ ﴿٣٠﴾ مَآ سَجَدَ لَهُمُ الْبَتَّةَ إِذْ سَأَلُوا أَن يَنْزِلَ عَلَيْهِ السَّنَّابُ فَاذْبَحُوا بِمَا كَفَرُوا قُلُوبَهُمْ غَاوِيَةٌ فَأَنزَلْنَاهُمْ سُلَالًا وَكَانُوا غَافِلِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُنْفَكِينَ ﴿٣٢﴾

* لما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم، لم يذكر الله عنهم أنه أهلهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم. فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره

كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك أن الخليل **عليه السلام** من أرحم الخلق وأفضلهم [وأحلمهم] وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذابا عاما. وما يدل على ذلك أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾

* تقدم أن لوطا عَلَيْهِ السَّلَام آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إبراهيم. فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبياً رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣)

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَنسَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَمِيعِينَ ﴿٤٣﴾
فَكَيْفَ أَتَى النَّبِيَّ يُرِيهِمْ فَوَيْلٌ لِلنَّاصِيَةِ
وَمِنْهُمْ مَن آخَذَ نَهْلَ النَّاصِيَةِ وَمِنْهُمْ مَن حَسَفْنَا
بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّهُمْ
وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَا اتَّخَذَ الْفَارِسِيُّ
أَتَّخَذَ بَيْتًا لِأَوْلِيَاءِهِمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْتَبِرُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٦﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
﴿٤٧﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ أَنْتَلَى مَا أَرَى إِلَيْكَ مِنَ الْكُتُبِ
وَأُفِيءَ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٩﴾

* هذا مدح للأمثال التي يضر بها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين. والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضر بها الله في القرآن، إنما هي للأمر الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبدلون جهدهم

في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى، ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها.

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

* ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾ أي:

ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِرُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَنَّكَ تَتْلُو مِنَ الْغَيْبِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٧﴾ أَوَلَمْ يَكْفِ فِيهَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُقَالُ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَنِي وَبَنَاتِكُمْ شُهَدَاءَ إِنَّكَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَلْزَمُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٩﴾

إياهم [على وجه] يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجمع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر.

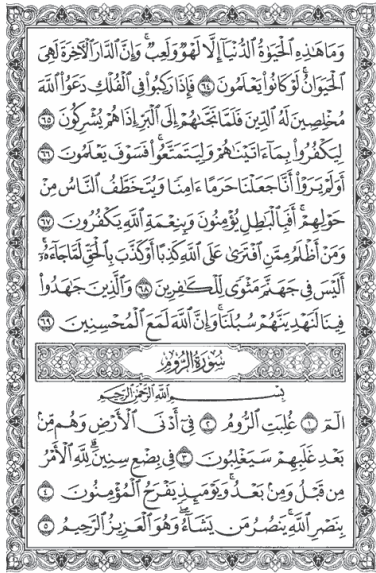
* فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً.

* وأيضا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد **صلى الله عليه وسلم** قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسول كلهم، وهذا من خصائص الإسلام. فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو

يرجع إلى قوله بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن.

* وأيضا، فإن كل طريق تثبت به نبوة أي نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وكل شبهة يقدر بها في نبوة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أظهر وأظهر.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦١﴾



* دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من

الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين.



سُورَةُ الرَّومِ

* سورة الروم (مكية).

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٧) *

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ يَتَنَبَّأُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكُفْرُونَ ﴿٩﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتُوا السَّمَوَاتِ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاهْوَاؤُهُمْ يَخْلَفُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْفَلَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ لِيَرَىٰ يَكْفُرُونَ ﴿١٢﴾ وَيَوْمَ نَعْلَمُ السَّاعَةَ يُبْسِلُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ يَكُن لَهُمْ مِنَ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا يُبْتَغَىٰ بِهِمْ كُفْرَاتٌ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ نَعْلَمُ السَّاعَةَ يَوْمَ يَبْدَأُ تَتَمَتَّتْ رُوحَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

* من العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب، وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن

آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رأهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يترددون. نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون. ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و[ما] حرموا من العقل العالي فعرفوا أن الأمر لله والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه وخذلانه، فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته، [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرقي

إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ
فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ .

* خص الله إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على

الأميرين سَعْيُ البدن، ولهذا قال:

﴿حَنِيفًا﴾ أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه.

* الإنابة إجابة القلب، وانجذاب

دواعيه لمراضي الله تعالى. ويلزم

من ذلك حمل البدن بمقتضى ما

في القلب، فشمّل ذلك العبادات

الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا

بترك المعاصي الظاهرة والباطنة،

فلذلك قال: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾، فهذا يشمل

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاةُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ فَإِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذْ أَنْتُمْ خَائِفُونَ ﴿٣١﴾ وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهْوٍ قَلِيلُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ عَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا
مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ
شَرِكَةٍ فِي مَا رَزَقْتُمْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَسَوَاءٌ أَتَاهُمْ
كَخَيْمَتِكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾ نَبَأَ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَمْوَالَهُمْ بَغْيًا
فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَقْرَبُ
وَجْهًا لِلَّذِينَ حَنِيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ذلك الذين كفروا ولكن آفة
الناس لا يعلمون ﴿٣٦﴾ مُبَشِّرِينَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٧﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٨﴾

فعل المأمورات وترك المنهيات. وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو

إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فهذا إعادتها على التقوى. ثم

قال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فهذا حثها على الإنابة. وخص

من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: ﴿وَلَا

تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٣١] لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها

الإخلاص من كل وجه.

* وفي هذا تحذير للمسلمين من تشبههم وتفرقهم فرقا، كل فريق يتعصب لما

معه من حق وباطل، فيكونون مشاهين بذلك للمشركين في التفرق، بل الدين واحد، والرسول واحد، والإله واحد. وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلغى ويُبني التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟ فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟ وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله، وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكْوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (٣٩)

وَأَمَّا النَّاسُ فَهُمْ عَمَوْا زَكْوٰةَهُمْ فَيُبَيِّنُ إِلَيْهِمْ لَمَّا آتَوْا قَهُمْ
يَتَذَكَّرُ رَحْمَةً إِذَا قَرِئَ مِنْهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
آتَيْتَهُمْ فَتَمَسَّحُوا بِهِنَّ فَتَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطٰنًا فَهَؤُلَاءِ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَإِذَا أَنْزَلْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَيَحُولُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ رَبُّوا آوَانًا فَهُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا أَنْزَلْنَا
إِلَيْهِمْ بَقْرَةً ﴿٤٣﴾ أَوْ كَلْبًا ﴿٤٤﴾ أَوْ نَارًا ﴿٤٥﴾ أَوْ نَبِيًّا ﴿٤٦﴾ لَمْ يَنْتَبِهُوا
وَيَقُولُونَ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٧﴾ لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٨﴾ فَتَابَ ذَا الْقُرْآنِ
حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ ذٰلِكَ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجَهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا
لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ
زَكْوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٥٠﴾
أَنَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَرَزَقَكُمْ فَرُؤْسَكُمْ فَرُؤْسَكُمْ فَرُؤْسَكُمْ هَلْ مِنْ
شُرَكَاءِ لَهُ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥١﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لِنفْسِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٢﴾

* دل قوله: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكْوٰةٍ ﴾ أن
الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق
أو مع دين عليه لم يقضه ويقدم عليه
الصدقة أن ذلك ليس بزكاة يؤجر
عليه العبد، ويرد تصرفه شرعا كما
قال تعالى في الذي يمدح: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي
مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ [الليل: ١٨] فليس
مجرد إيتاء المال خيرا حتى يكون بهذه
الصفة وهو: أن يكون على وجه يتزكى
به المؤتي.



﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾



* هذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف [العقل] خفيفه. فالأول بمنزلة اللب، والآخر بمنزلة القشور، فالله المستعان.



وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِجَالًا مُّضْمِرًا لِّظُلُومٍ مِّنْ بَعْدِهِمْ يَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَانَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ إِذَا وُلِّيًا مُّذِيرِينَ ﴿٦١﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ صُلَيْبِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِعَاقِبَتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخَافُ مَا بَسَّطَهُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُؤْتَىٰ عَذَابٌ سَاءٌ كَمَا كُنَّا فِي أَجْزَارٍ ﴿٦٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَالسَّاعَةُ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٦٧﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

* سورة الأحزاب (مدنية).

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَتْلُوهَا النَّبِيُّ أَوْ لَا تُلْعَقُ الْكُفْرَيْنَ وَالْمُتَّقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٦﴾ وَأَنْتُمْ مَأْمُونُونَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي حُجُوبِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَهُمْ فِي جُفَايِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٠﴾

* أخبر في هذه الآية أن المؤمنين كلهم أولاد للرسول، فلا مزية لأحد عن أحد وإن انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن ولا يأسف.

* وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أمهن لا يجللن لأحد من بعده، كما الله صرح بذلك: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾.

* وهذه الآية حجة على ولاية ذوي الأرحام في جميع الولايات، كولاية النكاح، والمال، وغير ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾.

* ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ يريدون يا أهل المدينة فنادوهم باسم الوطن المنبئ عن

التسمية، فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك مجرد الخور الطبيعي.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كثيراً ٢١ ﴾ .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ الْفِرَارِينَ قَرَّبْتُمُ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلَ وَإِذَا
لَأْتَمَعْتُمْ إِلَى الْقِيَامَةِ ۖ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَتَّبِعُكُمْ مِنَ اللَّهِ
إِنِ ارَادَ بِكُمْ سُوْءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مَن دُونِ
اللَّهِ وَيَتَوَلَّوْا لَدُنَّ عِبَادًا ۗ قَدْ بَدَّلَ اللَّهُ الْمُتَوَلِّينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْرَاجِهِمْ هَلْ يَكُونُ وَلَا يَكُونُ الْبَنَاتُ إِلَّا قَلِيلًا ۗ أَيْخَةَ
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحَقُّ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ وَإِنَّكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَقُّ سَلَفُوكَ
بِالْأَيْسَةِ جَدَاوِ أَيْخَةَ عَلَى الْغَيْرِ أَوْلَيْتَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْطَ
اللَّهُ لَعْنَتَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۗ يَخْسَرُونَ
الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْاِخْرَابَ يَدْعُوا أَنَا أَنُفُسُهُمْ
بَادُونَ فِي الْأَخْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ بَنَاتٍ كَثِيرًا مَّا تَوَكَّلُوا عَلَيْكُمْ
مَاتُوا إِلَّا قَلِيلًا ۗ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۗ
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْاِخْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۗ

* استدلل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة. فالأسوة الحسنة، في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن المتأسّي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة

الله، وهو الصراط المستقيم. وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعيتهم الرسل للتأسّي بهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ٢٢ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

* وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسّي بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّإِزْوَاجِكَ إِن كُنْتَن تَرُدْنَ الدُّنْيَا وَرَبِّنَهَا فَأَعَالِيكَ أُمَّتِيكُمْ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٨ ﴾ وَإِن كُنْتَن تَرُدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ

أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾

وفي هذا التخيير فوائد عديدة:

* **منها:** الاعتناء برسوله، وغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

* **ومنها:** سلامته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾.

قَالَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا ﴿٢١﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَوْ بَدَأُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صِيَابِهِمْ فَذَكَرَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمُرُونَ بِرِيقًا ﴿٢٤﴾ وَأُورِثُوا مَنَازِلَهُمْ وَيَدْعُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَتُوبُوا وَأَمْرًا يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ إِذَا شَاءَ وَسِعَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَإِنَّكُمْ إِتَقَا اللَّهَ لَأُزَوِّجَنَّكُمْ أَزْوَاجًا مِمَّا تَرْضَوْنَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ أَجْرَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يَدْرُسُ النَّبِيُّ مِنْ بَابِ مَنْكَرٍ يَفْدِي حَشْرَةَ مُسَيِّئَةٍ يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ يُضَعِّفُ مَنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سَيِّيرًا ﴿٢٨﴾

* **ومنها:** تنزيهه عما لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها.

* **ومنها:** سلامة زوجاته **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ** عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله. فحسم الله بهذا التخيير عنهن التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

* **ومنها:** إظهار رفعتهن، وعلو درجاتهن، وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

* **ومنها:** استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.

* **ومنها:** ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه

إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ ﴿٣٧﴾

وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة فوائد:

* منها: الثناء على زيد بن حارثة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وذلك من وجهين:

- أحدهما: أن الله سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره.

- والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه،

أي: بنعمة الإسلام والإيمان.

وهذه شهادة من الله له أنه مسلم

مؤمن، ظاهرًا وباطنًا، وإلا، فلا

وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن

المراد بها النعمة الخاصة.

* ومنها: أن المعتق في نعمة المعتق.

* ومنها: جواز تزوج زوجة الدعي، كما

صرح به.

* ومنها: أن التعليم الفعلي أبلغ من القولي، خصوصاً إذا اقترن بالقول، فإن

ذلك نور على نور.

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صَلْبًا مُمْسِكًا ﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ آدَمَ الَّذِي ذُكِّرَ مِنْ قَبْلَ وَأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُونَ إِنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَخْفَوْا مِنْهُ لَنْ يُغْنِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ الْبَيْعَ أَنْ لَا يُبَايِعُوا مَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرُوا بِهِ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرَ بِهِ فَلَا تِلْكَ أُمَّةٌ قَدِ افْتَرَتْ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤١﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ الْبَيْعَ أَنْ لَا يُبَايِعُوا مَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرُوا بِهِ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرَ بِهِ فَلَا تِلْكَ أُمَّةٌ قَدِ افْتَرَتْ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ الْبَيْعَ أَنْ لَا يُبَايِعُوا مَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرُوا بِهِ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرَ بِهِ فَلَا تِلْكَ أُمَّةٌ قَدِ افْتَرَتْ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾

* **ومنها:** أن المحبة التي في قلب العبد لغير زوجته ومملوكته، ومحارمه، إذا لم يقترن بها محذور، لا يأثم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيته أن لو طلقها زوجها، لتزوجها من غير أن يسعى في فرقة بينهما، أو يتسبب بأي سبب كان، لأن الله أخبر أن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أخفى ذلك في نفسه.

* **ومنها:** أن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قد بلغ البلاغ المين، فلم يدع شيئاً مما أوحى إليه إلا وبلغه، حتى هذا الأمر الذي فيه عتابه. وهذا يدل، على أنه رسول الله، ولا يقول إلا ما أوحى إليه، ولا يريد تعظيم نفسه.

* **ومنها:** أن المستشار مؤتمن، يجب عليه - إذا استشير في أمر من الأمور - أن يشير بما يعلمه أصح للمستشير ولو كان له حظ نفس، فتقدم مصلحة المستشار على هوى نفسه وغرضه.

* **ومنها:** أن من الرأي الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمسакها معها أمكن صلاح الحال، فهو أحسن من الفرقة.

* **ومنها:** [أنه يتعين] أن يقدم العبد خشية الله على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى.

* **ومنها:** فضيلة زينب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أم المؤمنين، حيث تولى الله تزويجها، من رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

* **ومنها:** أن المرأة، إذا كانت ذات زوج لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي زوجها وطره منها، ولا يقضي وطره حتى تنقضي عدتها، لأنها قبل انقضاء عدتها، هي في عصمته، أو في حقه الذي له وطر إليها، ولو من بعض الوجوه.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِتَعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾ .

* يستدل بهذه الآية على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح. فلو طلقها قبل أن

يُنكِحَهَا، أَوْ عُلِقَ طُلُقُهَا عَلَى نِكَاحِهَا، لَمْ يَقَعْ، لِقَوْلِهِ: ﴿نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فَجَعَلَ الطَّلَاقَ بَعْدَ النِّكَاحِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَا مَحَلَّ لَهُ. وَإِذَا كَانَ الطَّلَاقُ الَّذِي هُوَ فِرْقَةٌ تَامَةٌ، وَتَحْرِيمٌ تَامٌ، لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، فَالتَّحْرِيمُ النَّاqِصُ لظَهَارٍ، أَوْ إِبْلَاءٍ وَنَحْوِهِ، مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُحْرَى أَنْ لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، كَمَا هُوَ أَصَحُّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ.

يُنكِحَهَا، أَوْ عُلِقَ طُلُقُهَا عَلَى نِكَاحِهَا، لَمْ يَقَعْ، لِقَوْلِهِ: ﴿نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فَجَعَلَ الطَّلَاقَ بَعْدَ النِّكَاحِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَا مَحَلَّ لَهُ. وَإِذَا كَانَ الطَّلَاقُ الَّذِي هُوَ فِرْقَةٌ تَامَةٌ، وَتَحْرِيمٌ تَامٌ، لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، فَالتَّحْرِيمُ النَّاqِصُ لظَهَارٍ، أَوْ إِبْلَاءٍ وَنَحْوِهِ، مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُحْرَى أَنْ لَا يَقَعُ قَبْلَ النِّكَاحِ، كَمَا هُوَ أَصَحُّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ.

* ويدل على جواز الطلاق، لأن الله أخبر

به عن المؤمنين، على وجه لم يلهمهم عليه، ولم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين.

* وعلى جوازه قبل المسيس، كما قال في الآية الأخرى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

* وعلى أن المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها يجوز لها التزوج، حيث لا مانع.

* وعلى أن عليها العدة، بعد الدخول. وهل المراد بالدخول والمسيس، الوطء كما هو مجمع عليه؟ أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى

بذلك الخلفاء الراشدون، وهو الصحيح. فمن دخل عليها، وطئها، أم لا، إذا خلا بها وجب عليها العدة.

* وعلى أن المطلقة قبل المسيس تمتع على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، ولكن هذا، إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض، فإنه إذا طلق قبل الدخول تنصّف المهر، وكفى عن المتعة .

* وعلى أنه ينبغي لمن فارق زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق جميلاً، يحمد فيه كل منهما الآخر. ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما بالآخر، شيء كثير.

* وعلى أن العدة حق للزوج، لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس كان له عليها عدة

* وعلى أن المفارقة بالوفاة، تعدد مطلقاً، لقوله: ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية .

* وعلى أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة.

يَتَأْتِيهَا نَوْرٌ بَلْقَوْمُهُ رَسُولُهُ وَأَعْدَاءُ لَهْمُ أَجْرِكَ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٥﴾ وَدَاعِبًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَسْمَعُ أُمَّمِينَ ﴿٥٦﴾ وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٥٧﴾ وَلَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُتَّقِينَ
وَدَعَى أَذْنُهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٥٨﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا
فَتَيَحْوِيَهُنَّ وَسَيَرُجُوهُنَّ سِرًّا خَائِفِينَ ﴿٥٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ
إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
بِيَمِينِكَ وَمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتَيْكَ
وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَاءَ
مُؤْمِنَاتٍ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهُنَّ
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَكُونَ
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَرِهَاتُ اللَّهِ عَنَّا فَؤَادًا جِيمًا ﴿٦١﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي
آتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ بِيَمِينِكَ مِمَّا
أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتَيْكَ
وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ
مَعَكَ وَأُمَّرَاءَ مُؤْمِنَاتٍ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ
إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ
فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾

لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر. فلاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

﴿لَنْ لَمْ يَنْهَ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾

لَا حَتَّاعَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَقْبِرْتِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَشَهِيدًا ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعَثْنَا مَا لَاَحْتِسابًا فَكَيْدُهُمْ أَهْلَكْنَاهُمْ أَهْلَافًا فَتَمَدَّتْ خِطَابُهُمْ وَاللَّيِّنَاتُ اللَّاتِيَّاتُ سُلُوكًا يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفُرْقَانِ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ مَلْعُونِينَ أَيْمَانًا نُنْفِئُهُمْ الْأَجْدَا وَفُؤُولًا نَقْتَبِلُكَ ﴿٦٤﴾ سُسَّةَ اللَّهِ فِي الْأَذْيَاتِ حَتَّى لَوْ مَن قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُسَّةَ اللَّهِ تُبْدِيكَ ﴿٦٥﴾

* ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾ هذا فيه دليل لنفي أهل الشر الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه .



سُورَةُ سَبَأٍ

﴿سورة سبأ (مكية).﴾

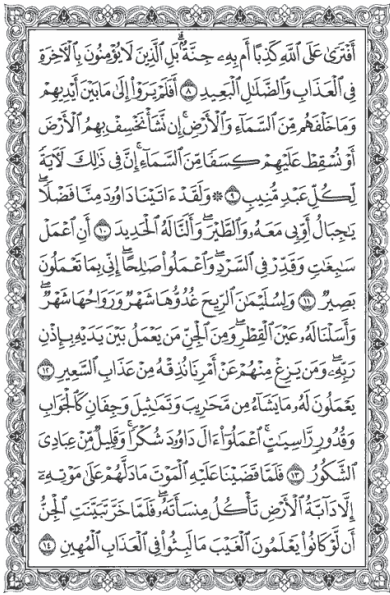
﴿وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

* هذه منقبة لأهل العلم وفضيلة، وعلامة لهم، وأنه كلما كان العبد أعظم علماً وتصديقاً بأخبار ما جاء به الرسول، وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول، احتج الله بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية وغيرها.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَخِيفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾﴾

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالْعَذَابُ الْعَبِيدِ ﴿١﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَخِيفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا نَشَاءُ فَضَلَّأَ يَجِبَالِ أَوْبَى مَعَهُ وَالظُّلَمِ وَالنَّكَالَةَ الْحَدِيدَ ﴿٢﴾ أَنْ أَفْعَلَ سَبْعِينَ وَفَقِذِرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ وَيَسْمَعُ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرًا وَرَوْحًا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْفِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْتِغَى رِزْقَهُ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ذَلِكَ فَمَا لَهُ مَنَاجِدَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَائِمَةً مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَكْمِيلٍ وَجَعَلْنَا كَالْجُرَّابِ وَفُؤُورٍ رَاسِبَاتٍ لَعَمْرُؤُا لَإِذَا دُودُوا شُكِرُوا وَقِيلَ لِمَنِ عِبَادِي السُّكْرُ ﴿٥﴾ فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دُلَّهُمْ عَلَى مَوْجِهِ إِلاَّ أَنَّهُمْ الْأَرْضَ تَأْكُلُ مِنْسَأَةً فَلَمَّا خَصَّ تَبَّتْ الْجَنُّ أَنْ تَوَكَّلُوا يَعْمَلُونَ الْعَبْدَ مَا لِيُؤْفَى الْعَذَابِ الْمُؤْمِنِ ﴿٦﴾

* ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿١﴾ فكما كان العبد أعظم إنابة إلى الله كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْيَ
 مَعَهُ وَالظَّلِيزُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿٨٠﴾ أَنْ
 أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا
 صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨١﴾﴾

* ما خصه به من أمره تعالى الجهادات
 كالجبال، والحيوانات من الطيور، أن
 تُؤوب معه، وتُرَجَّع التسييح بحمد
 ربها، مجاوبة له، وفي هذا من النعمة
 عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي
 لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك

يكون منهضاً له ولغيره على التسييح إذا رآوا هذه الجهادات والحيوانات، تتجاوب
 بتسييح ربها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى.

* **ومنها:** أن ذلك - كما قال كثير من العلماء، أنه طرب لصوت داود، فإن الله
 تعالى، قد أعطاه من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجَّع التسييح
 والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب، طرب كل من
 سمعه، من الإنس، والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها.

* **ومنها:** أنه لعله ليحصل له أجر تسييحها، لأنه سبب ذلك، وتسيح تبعاً له.

* ومن فضله عليه، أن ألان له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلمه تعالى
 كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقاً، ويصنعه كذلك، ثم
 يدخل بعضها ببعض. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمُ

مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

سُورَةُ قَطْرِ

﴿سورة فاطر (مكية)﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

* هذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ [البينة: ٨].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾﴾

* قوله ﴿إِذِنَ اللَّهُ﴾ راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعاونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٥﴾ تَوَّأْوَرَّتْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٦﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٨﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٤٠﴾ وَهُرُوفُهُمْ حُجْرٌ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا تَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا تَعْمَلُ أُولَئِكَ نَجْزِيكَ مَا تَنْزِيكَ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَسَخَرْنَا لِقَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُدُورًا قَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ غِيبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٢﴾

دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

* هذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن.

* ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه.



سُورَةُ يَسِّ

سورة يس مكية

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾



* تأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضوع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيُ الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا

قَدَّمُوا وَأَوَّارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

* ﴿وَأَوَّارَهُمْ﴾ هي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيهِ عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجدا، أو محلا من المحال التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك

وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يباهه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

* وثم احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢) إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (٤٢) الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (٤١) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٤٢) فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

* فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضوع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلاله كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمر الحاضرة والماضية والمستقبلية، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تنزل موجوده في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن، فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية، مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ

﴿٤١﴾ أَي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤١﴾

* في إضافة الآيات إلى ربهم، دليل على كمالها ووضوحها، لأنه ما أبين من آية من آيات الله، ولا أعظم بيانا. وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم، في دينهم ودنياهم.

﴿قَالُوا يَدْعُونَنا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقِدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٢﴾

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ ﴿٥١﴾ وَصَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقذُونَ ﴿٥٣﴾ إِلَّا زَجَمْنَا وَمَسَّا مُتَقَاتِلًا إِلَى جَهَنَّمَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا آلِهَتِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَتَّأْتِيهِمْ مِنْ عَائِدَةٍ مِنْ عَائِدَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَافُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِعُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ أَنَّى قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَلَطْعَمَهُمْ لَوْ كُنَّا نُطْعِمُهُمْ وَإِن كُنَّا لَآلِي فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ مَا نَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٩﴾ فَلَا تَسْتَعْجِلْ بِهِمْ تَوْصِيَةً إِلَّا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا قَوْمِ لَنَا مِن بَعْثِنَا مِن مَّرْقِدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ كُنْتُمْ إِلَّا صَائِحِينَ وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُخْضَرُونَ ﴿٦٣﴾ قَالِيَوْمَ لَا تُظَلُّهُ نَفْسٌ سَائِغٌ وَلَا مَتَجِرَةٌ إِلَّا مَأْكُتٌ تَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾

* لا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَ يَمِيزُ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨] ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾

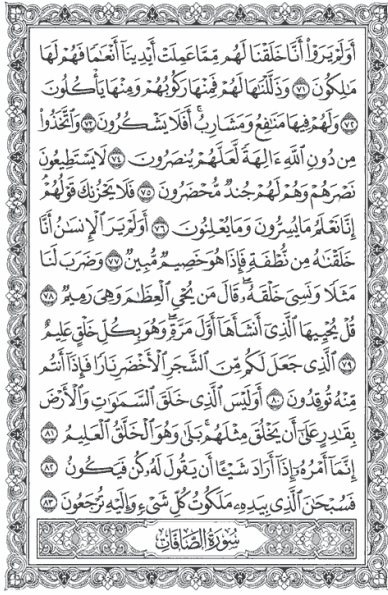
* ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦١﴾ أَي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه،

أنزله الله كذلك على رسوله .

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ
يُنصَرُونَ﴾ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ
لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ .

* ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ ولا أنفسهم
ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون
نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر
له شرطان: الاستطاعة والقدرة فإذا
استطاع، يبقى: هل يريد نصرة من

عبده أم لا؟ فننفي الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما.



سُورَةُ الصَّافَّاتِ

﴿سورة الصافات (مكية)﴾

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ ﴿٥٢﴾ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٣﴾ أَلَمْ نَأْتِكُمْ نَارًا وَعِظْمًا أَهْلًا لَمَدِينُونَ ﴿٥٤﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٥﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

يقول أه نك لمن المصدقين ﴿٥٠﴾ أهدا ميتنا وكنا نرا وعظما أه نأ
لمدِينون ﴿٥١﴾ قال هل أنتم مطلعون ﴿٥٢﴾ فأطلع فرآه في سواه
الجحيم ﴿٥٣﴾ قال تالله إن كدت لتردين ﴿٥٤﴾ ولولا نعمة ربي
لكنت من المخضرين ﴿٥٥﴾ أمتا نحن يعسرين ﴿٥٦﴾ إلا موتنا
الأولى وما نحن بمعدين ﴿٥٧﴾ إن هذا الهو القور العظيم ﴿٥٨﴾
ليثل هذا فليعمل القديون ﴿٥٩﴾ أذلك خير من لا أم شجرة
الزقوم ﴿٦٠﴾ إنا جعلناها فتنة للقلوب ﴿٦١﴾ إنها شجرة
تخرج في أصل الجحيم ﴿٦٢﴾ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴿٦٣﴾
فإنه لا يكون منها طعام ﴿٦٤﴾ وإنما البطون ﴿٦٥﴾ فوالله
عليها الشؤمان جيم ﴿٦٦﴾ ثم إن مرجعهم للى الجحيم ﴿٦٧﴾
إنهم القواء ﴿٦٨﴾ هضر آلين ﴿٦٩﴾ فبه على الأبره رعون ﴿٧٠﴾
ولقد صلب قبلهم أكتر الأولين ﴿٧١﴾ ولقد أرسلنا فيهم
مؤذنين ﴿٧٢﴾ فأظلمت سيق كل عقبة المندون ﴿٧٣﴾
لأعباد الله المخلصين ﴿٧٤﴾ ولقد نادتنا نوح فليغره
المجيبون ﴿٧٥﴾ ونجينه وأهله من الكعب العظيم ﴿٧٦﴾

* ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

وحذف المعمول، والمقام مقام لذة
وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون
بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل
التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن
المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل
عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات
الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من
هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم

من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

* هذا إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة [بإسحاق، ولأن
الله تعالى قال في بشره بإسحاق ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾
[هود: ٧١] فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف الله إسماعيل، عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عن جنى.

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَأْتَهُمُ الْمَلَأِينُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَذَيْبَتُهُ أَنْ يَتَّبِعْتَهُمْ
فَدَصَدَتْ الرُّؤْيَا إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّ
هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٨﴾ وَكَذَيْبَتُهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ ﴿١٠٩﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٠﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١١﴾ كَذَلِكَ تَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَبَشَّرْتَهُ
بِإِسْحَاقَ يَبْنَاقًا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ
وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنًا وَظَلَّ بِرَأْسِهِ مُمِيبًا ﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ مَنَّآ
عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكُوفِ
الْعَظِيمِ ﴿١١٧﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُنُوا لَهُمُ الْعَالِينَ ﴿١١٨﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا
الْكِتَابَ الْمُسْتَوِينَ ﴿١١٩﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَوِيَّ
﴿١٢٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢١﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ لَمَّا أَمَّا
إِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِلرَّبِّ اجْعَلْ لِي سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٢٥﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
الْحَقِيقِينَ ﴿١٢٦﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٧﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٠٦﴾

* الواضح الذي تبين به صفاء إبراهيم،
وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل
عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه
حبا شديدا، وهو خليل الرحمن، والخلة
أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا
يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون
جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب،
فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه

إسماعيل، أراد تعالى أن يصفى وده ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم
حبه ربه، فلما قدم حب الله، وأثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال
ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ

الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَكَذَيْبَتُهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾

* أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيما:

- من جهة أنه كان فداء لإسماعيل.
- ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة.
- ومن جهة أنه كان قربانا وسنة إلى يوم القيامة.

﴿وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامَ مَعْلُومٍ﴾ ﴿١١٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١١٥﴾

* هذا فيه بيان براءة الملائكة عليهم السلام، عما قاله فيهم المشركون، وأنهم عباد

الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدير قد أمره الله به
لا يتعداه ولا يتجاوزه، وليس لهم من الأمر شيء.



سُورَةُ صٰٓءِ

﴿سورة ص (مكية).﴾

﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلٰٓى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
 مَسَّ وَالْقُرْءَانَ ذٰی الذِّكْرِ ﴿٦﴾ بَلِ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا فِی عَذُوْبٍ شَدِیْقٍ ﴿٧﴾
 كَرِهَ اللّٰهُ لِكُلِّ اٰمِنٍ فِیْہِم مِّنْ قَرْنٍ فَمَادَ وَاُولٰٓئِ حٰثِرٍ مِّنَاصٍ ﴿٨﴾ وَتَجِبُوْا
 اَنْ جَاءَہُمْ سُبْحٰنٌ مِّنْہُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُوْنَ هٰذَا سِحْرٌ كَسَدَابٌ ﴿٩﴾
 اَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰہًا وَّجِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ مُّجْتَابٌ ﴿١٠﴾ وَاَنطَلَقَ الْمَلَأُ
 مِنْہُمْ اَنْ اَمْسُوْا وَاصْبِرُوْا عَلٰٓى ءَالِهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿١١﴾
 مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِی الْیَوْمِ الْاٰخِرِ اِنَّ هٰذَا اِلَّا اَسْحَابٌ ﴿١٢﴾ اَنْزِلْ
 عَلَیْہِ الذِّكْرَ مِنْ بَیْنِنَا اَبْلُغْرِ فِی شَاقٍ مِّنْ ذٰلِكَ لَمَّا بُدِئُوْا عَذَابٌ
 ﴿١٣﴾ اَمْ عِنْدَہُمْ خٰزِنٌ رَّحِیْمٌ رَّبُّكَ الْعَزِیْزُ الْوَهَّابُ ﴿١٤﴾ اَمْ لَہُمْ مُّاَلَاکُ
 السَّمَوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَیْنَہُمَا فَلَا یَرَوْنَ اِلَّا السَّمٰوٰتِ ﴿١٥﴾ جُنْدٌ
 مَا لَہُمَا لٰکَ مَعْمُوْرٌ مِّنَ الْاَنْجَابِ ﴿١٦﴾ کَذَّبَتْ قَبٰلَہُمْ قَوْمٌ فُوْجٌ
 وَعَادُوْا فِرْعَوْنَ ذُوْا الْاَوْتَادِ ﴿١٧﴾ وَتَمُوْدٌ وَقَوْمٌ لُّوْطٍ وَاَصْحٰبُ
 لَھٰجِکَ اَوْ لَیْکَ الْاَنْجَابِ ﴿١٨﴾ اِنَّ کُلَّ اِلَّا کَذَّبَ الرَّسُوْلَ
 فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٩﴾ وَمَا یَنْظُرُ ہٰٓؤُلَآءِ اِلَّا الصَّیْحَةَ وَجِدَہٗ مَا لَہَا
 مِنْ فَوَاقٍ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوْا رَبَّنَا نَحْنُ اِنَّا قَاتِلْنَا قَبْلَ یَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾

* فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين، وهم قصدهم أن محمدا ما دعاكم إلى ما دعاكم إلا ليرأس فيكم، ويكون معظما عندكم، متبوعا.

﴿إِنَّ هٰذَا اٰخِي لَهُ، تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً وَّلِي نَجْمَةٌ وَوَجِدَةٌ فَقَالَ اَكْفَلِنِيْهَا وَعَزِّنِيْ فِى الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ اِلَىٰ﴾

نِعَاجِهِ ۗ وَاِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ الْمُخَلَطٰٓءِ لَيَبْغِيْ بَعْضُهُمْ عَلٰٓى بَعْضٍ اِلَّا الَّذِیْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ وَقَلِيْلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ اَنْمَا فَنَنَّهُ فَاَسْتَغْفِرُ رَبِّہٗ ۗ وَحَرَّرَ اٰكِبًا وَاَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾

* ﴿إِنَّ هٰذَا اٰخِي﴾ نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضاها عدم البغي، وأن بغيه الصادر منه أعظم من غيره.

* فقال داود - لما سمع كلامه - ومن المعلوم من السياق السابق من كلامها، أن هذا هو الواقع، فلماذا لم يحتج أن يتكلم الآخر، فلا وجه للاعتراض بقول القائل: لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؟.

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٢١﴾

* هذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

* ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب.

﴿ وَهَلْ أَنْتَ نَبُؤًا الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا

الْمِحْرَابِ ﴾ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ

مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا

عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي

لَهُ، تَسِعْ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَوَجِدَةٌ فَقَالَ

أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ

ظَلَمَكَ سُؤَالُ نَجْمِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا

مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ

أَصْبَرَ عَلَى مَا يُؤْمَلُونَ وَأَذَكَ عِدَانَا دَاوُدَ إِذْ الْيَدِ إِتْمَهُ أَوَّلًا ﴿٢١﴾ إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُونَ بِالْعَمِينِ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٢٢﴾ وَالظَّالِمِينَ
مُخَشِّرِينَ كُلَّهُمْ وَأَوَّلًا ﴿٢٣﴾ وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ
وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴿٢٤﴾ وَهَلْ أَنْتَ نَبُؤًا الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا
الْمِحْرَابِ ﴿٢٥﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تَسْعَ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً
وَلِي نَجْمَةٌ وَوَجِدَةٌ فَقَالَ لَهُ تَسْعَ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَوَجِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
سُؤَالُ نَجْمِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٨﴾
فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّعَاقِبَ ﴿٢٩﴾
يَذُوقُ إِذَا جَعَلْنَا خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٠﴾ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣١﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣٢﴾
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٣٣﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ ﴿٣٤﴾ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٥﴾

دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا

لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّعَاقِبِ ﴿٢٥﴾ يَذُوقُ إِذَا جَعَلْنَا خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ

﴿٢٨﴾ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٩﴾ كَتَبَ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَمَا خَلَقْتَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا تَبْلُغًا ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لَّيِّقٌ كَقَوْلِ الْتَّارِ ﴿٣٠﴾ أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلَ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣١﴾ كَذَّبَ آتْرُكُهُ إِلَيْكَ مُبْتَرِكًا لِيَذَرَ آتَاءَ آتِيهِ. وَلَيْتَ ذَكَرُوا أُولَئِكَ الْآلَاءِ ﴿٣٢﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٣﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ ﴿٣٤﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٥﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ دُونِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٨﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٩﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٤٠﴾ وَأَخْرَجْنَا مَقْرِنَيْهِ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤١﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَثَابٍ ﴿٤٣﴾.

وَلَيْتَ ذَكَرَ أُولَئِكَ الْآلَاءِ ﴿٣١﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٢﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ ﴿٣٣﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٤﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ دُونِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٧﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٨﴾ وَالشَّيَاطِينَ

كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٩﴾ وَأَخْرَجْنَا مَقْرِنَيْهِ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٠﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَثَابٍ ﴿٤٢﴾.

فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام:

* **فمنها:** أن الله تعالى يقص على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا - في هذا الموضع - لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به.

* **ومنها:** أن الله تعالى يمدح ويجب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

- * **ومنها:** أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].
- * **ومنها:** ما أكرم الله به نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهيم يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.
- * **ومنها:** أن من أكبر نعم الله على عبده أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- * **ومنها:** اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
- * **ومنها:** أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبارهم بلطفه.
- * **ومنها:** أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان في أغلب أحواله ملازماً محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتاً يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.
- * **ومنها:** أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود فرع منها، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

- * **ومنها:** أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.
- * **ومنها:** كمال حلم داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فإنه ما غضب عليها حين جاءه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبخهما.
- * **ومنها:** جواز قول المظلوم لمن ظلمه: (أنت ظلمتني) أو (يا ظالم) ونحو ذلك، أو باغ علي لقولهما: ﴿ **خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ** ﴾.
- * **ومنها:** أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشتمز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشتمز ولم يغضب، ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.
- * **ومنها:** أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.
- * **ومنها:** أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.
- * **ومنها:** إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.

* **ومنها:** أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمر الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يجلب له الإقدام عليه.

* **ومنها:** أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

* **ومنها:** أن سليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده أن يهب له ولدا صالحا، فإن كان عالما كان نورا على نور.

* **ومنها:** ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله ﴿ **نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ (٤٤).

* **ومنها:** كثرة خير الله وبره بعبده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.

* **ومنها:** تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.

* **ومنها:** أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فليُفَارِقْهُ وَلْيُقْبَلْ عَلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ.

* **ومنها:** القاعدة المشهورة «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه». فسليمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها آدميون.

* ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* ومنها: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ملكا نبيا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الحال أكمل.

﴿ جَنَّتِ عَدْنٍ مُمْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ ﴿٥٠﴾

* هذا دليل على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها.

وَقَالُوا مَا آتَانَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٥١﴾ أَفَلَمْ نَجْعَلِ لَهُمُ الْحَقَّ أَنْ نَدْعُهُمْ إِنْ شَاءَ رَبُّنَا بِالْحَقِّ وَنُضَاهُ عَنْهُمُ الصَّغِيرَةَ الْجَارِيَةً ﴿٥٢﴾ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّمَاءَ بَدَائِلٌ وَأَنبُيَاءُ يُصَدِّقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّمَاءَ بَدَائِلٌ وَأَنبُيَاءُ يُصَدِّقُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّمَاءَ بَدَائِلٌ وَأَنبُيَاءُ يُصَدِّقُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّمَاءَ بَدَائِلٌ وَأَنبُيَاءُ يُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّمَاءَ بَدَائِلٌ وَأَنبُيَاءُ يُصَدِّقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّمَاءَ بَدَائِلٌ وَأَنبُيَاءُ يُصَدِّقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّمَا تَأْتِي السَّمَاءَ بَدَائِلٌ وَأَنبُيَاءُ يُصَدِّقُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

﴿٦١﴾

* بزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين، وهذا من القياس الفاسد، فإن عنصر النار مادة الشر والفساد والعلو والطيش والحفة، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع وإخراج أنواع الأشجار والنباتات، وهو يغلب النار

ويطفئها، والنار تحتاج إلى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم الذي عارض به الأمر الشفاهي من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلانا وفسادا من هذا القياس.



سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿سورة الزمر (مكية)﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٨)

* ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠)

خَلَقَ كَرِيمٌ نَفْسٍ وَجَدَّ وَشَرَّ جَعَلَ مِنْهَا رُوحَهَا وَأَنْزَلَ لِكُلِّ مِثْقَالَيْنِ الْأَنْفُسِ تَسْبِيحَةً أَرْوَجُ بِخَلْقِكُمْ فِي نَظَرِنِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقْنَا مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلْمَتٍ تَلَدَّ ذَلِكَ اللهُ رَبُّكُمْ اللهُ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِّي نُصِرْتُ ﴿٨﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنَى عَنَّا وَلَا تَرْضَى لِيِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٩﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿١٠﴾ آمَنَ هُوَ قَدِيرٌ رَبُّهُ أَتَىٰ سَاجِدًا وَقَفًا لِيَمْتَدِّرَ الْأَخْرَةَ وَيُزِيلَ فِيهَا رُوحَهُ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢﴾

* ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ إذا منعمت من عبادته في أرض فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، وتمتكون من إقامة دينكم. ولما قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كان لبعض النفوس مجال في هذا الموضوع، وهو أن النص عام، أنه كل من أحسن فله في الدنيا حسنة، فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها ويمتهن، لا يحصل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: ﴿وَأَرْضُ

اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ وهنا بشارة نص عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لا تزال

طائفة من أممي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» تشير إليه هذه الآية، وترمي إليه من قريب، وهو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة، فمهما منعتم من عبادته في موضع فهاجروا إلى غيرها، وهذا عام في كل زمان ومكان، فلا بد أن يكون لكل مهاجر، ملجأ من المسلمين يلجأ إليه، وموضع يتمكن من إقامة دينه فيه.

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٧﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٩﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢٠﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ وَمَنْ أَلْفَيْتُمْ
أَلَّا ذَلِكَ هُوَ الْفِتْرَىٰ أَلْمِينِ ﴿٢١﴾ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِمْ ظُلْمٌ مِنَ النَّارِ
وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظُلْمٌ ذَلِكَ جُزْءٌ مِمَّا يُعَذِّبُ بِهِ عِبَادَهُ بِمَا كَانُوا
فَعَّيْتُمْ عِبَادِ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٣﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كِتَابُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفِقُ مِنْ فِي النَّارِ ﴿٢٤﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رُسُلَهُمْ لَمْ يَخُفْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مَبِيتَةً مُبِينَةً فَنَجَّى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَخْيَارَ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ ﴿٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ مِنْ رَشْتِهِمْ فِي الْأَرْضِ فَنُجِّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٦﴾

* والمراد بالطاغوت في هذا الموضع عبادة غير الله، فاجتنبوها في عبادتها. وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم، لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها.

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾

* في هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن

هؤلاء المدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ الآية ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴾ لأحسن الأخلاق والأعمال ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: العقول الزاكية. ومن لبهم وحزمهم،

أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إثاره على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال حسنها وقيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل.

﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقَلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢٣) ﴿

أَقَمَّنَ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ وَالْإِسْلَامَ فَهَوَّعَ نُورَيْنِ رَبِّهِ قَوْلًا
لِلْقَسْبَةِ فَلُوَّهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾
اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ
جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقَلُوبَهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَقَمَّنَ يَسْتَعِي بِوَجْهِهِ سُوَى
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٣﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهَرُوا الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَبْرِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ
الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ
عَبْرَدِي عِوَجَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَجَلَا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَابِهُونَ وَرَضَلَا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَدِيثُ لِلَّهِ بَلْ كَثُرَ لَعَلَّكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّكَ مَيْتٌ وَأَنْتُمْ
مَيِّتُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكَ فَتَحْتَصِمُونَ ﴿٢٣﴾

* متشابهاً في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع. وأما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] فالمراد بها،

التي تشته على فهم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابهاً، أي: في حسنه، لأنه قال: ﴿ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضاً كما ذكرنا.

* وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتحدث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات.

وَبَدَّ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٤﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَجْمَهُ إِذَا حَوَّلَتْهُ
بِعَمَّةٍ مِمَّا قَالَ إِنَّمَا أَوْفَيْتَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ لَّيْلٌ مِنْ فِتْنَةِ وَالِكِنَّ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا
أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَأْكَأَ الْوَأْكُسِيِّونَ ﴿٥٦﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُنَا لَوْ سَمِعُوا بِهَذَا سَيِّئَاتِ
مَا كَسَبُوا وَأَمَّا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ لَوْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ لَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٨﴾ فَلْيَتَّبِعُوا آيَاتِ الْذِّكْرِ أَمْ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ لَا تَنْقُطُوا
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِغَيْرِ الذُّنُوبِ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْقَوِيُّ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾ وَأَدْبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَتَّبِعُوا الْحَسَنَ
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ مِنَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٦١﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ بِإِنَّ جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٦٢﴾

﴿ وَأَدْبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ
﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن
رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾
أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ فِي
جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ
الْمُنْقِيَاتِ ﴿٥٧﴾ ﴾

* ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ﴾ دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً.

* ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (لو) في هذا الموضوع للتمني، أي: ليت أن الله هداني فأكون متقياً له، فأسلم من العقاب، وأستحق الثواب، وليست (لو) هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾

* ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هذه العبارة وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء - غير الله - مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بقدم

بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدوم الأرض والسموات، وكالقائلين بقدوم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه. وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق من أعظم الجهل، فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات.

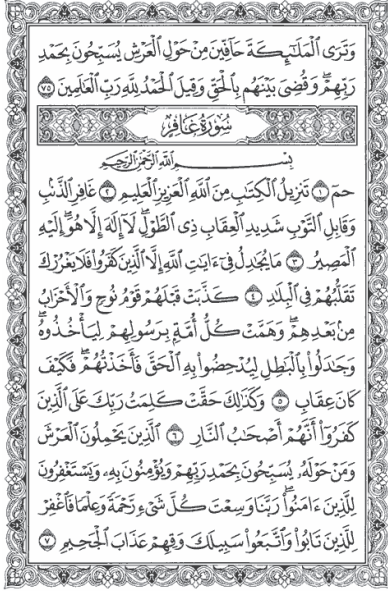
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ .

* قال في النار ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ وفي الجنة ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال،

وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها. وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية التي لا يوصل إليها ولا يناها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى.

وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ نَسِيَ اللَّهُ فُتِّحَ فِيهِ الْآخِرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِعِصْمَةٍ يُنظَرُونَ
﴿٧٣﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ
بِالتَّيْبِينَ وَالشَّهَادَاتِ وَفُتِحَ بَيْتُهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٧٤﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا ابْنَائِنا وَلَكِن كَذَّبَتْ كَلِمَةً الْعَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ نُفُوسًا الَّتِي كَانَتْ فِي أَرْحَامِ آبَائِهِمْ مَتَّعِي
الْمَنَكَةِ بَرِينَ ﴿٧٦﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٧﴾ وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٨﴾

* وفي الآيات دليل على أن النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان اللتان لا يدخل فيها إلا من استحقها، بخلاف سائر الأمكنة والدور.



﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِئِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

* ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة.



سُورَةُ غَافِرٍ

﴿سورة غافر (مكية)﴾

﴿ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ لَمَلَأْتُ اللَّهُ أَعْيُنَ مَنْ مَفَقَتْ كُفْرَهُمْ أَنَّهُمْ إِذْ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ يَتُكْفَرُونَ ﴿٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنَا أَفْتِنَا أَفْتِنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَعَهُ كَفَرْتَهُ فَأَبَتْ لَهُ إِيمَانَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالُوا كَيْفَ نُؤْمِنُ عَلَى الْكَيْبَرِ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ الْكُرْآنَ فِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٢﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ لِقَوْمِ الْآخِرَةِ ﴿١٤﴾ يَوْمَ هُمْ كُرُوفُونَ لَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿١٥﴾ لَمَّا لَمْ يَكُنِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْغَمَّارُ ﴿١٦﴾

* في ضمن ذلك الإخبار عن شرف حملة العرش ومن حوله، وقر بهم من ربهم، وكثرة عبادتهم ونصحهم لعباد الله، لعلمهم أن الله يجب ذلك منهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ﴾.

* واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر، وقر بهم منه يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الحاقة: ١٧].

* ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهذا من جملة فوائد الإيثار وفضائله الكثيرة جداً، أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم.

وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة :

- * كمال معرفتهم بربهم .
- * والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنی، التي يجب من عباده التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما دعوا الله فيه، فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته النفوس البشرية التي علم الله نقصها واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي، ونحو ذلك من المبادئ والأسباب التي قد أحاط الله بها علمًا توسلوا بالرحيم العليم .
- * وتضمن كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة والخاصة، وأنه ليس لهم من الأمر شيء، وإنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من جميع الوجوه، لا يُدلي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله وكرمه وإحسانه .
- * وتضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة، بمحبة ما يحبه من الأعمال التي هي العبادات التي قاموا بها، واجتهدوا اجتهدوا المحبين، ومن العمال الذين هم المؤمنون الذين يحبهم الله تعالى من بين خلقه، فسائر الخلق المكلفين يبغضهم الله إلا المؤمنين منهم، فمن محبة الملائكة لهم دعوا الله، واجتهدوا في صلاح أحوالهم، لأن الدعاء للشخص من أدل الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو إلا لمن يحبه .
- * وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ﴿وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون التدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم

يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتدرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين. فلهذا لم يقل: ﴿وما كيدهم إلا في ضلال﴾ بل قال: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُوْبَ اٰمْرِئِمْسِيْ وَيَتَّبِعْ رَبِّيْ رَبِّيْ اِنِّيْ اَخَافُ اَنْ يَّبَدِّلَ وِسْطِيْ اَوْ اَنْ يُّظْهِرَ فِي الْاَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٥﴾
 وَقَالَ مُوسٰى اِنِّيْ عٰثُوْبٌ بِرَبِّيْ وَرَبِّيْ كَرِيْمٌ ﴿٢٦﴾
 يَتَوَهَّجُ الْحِسَابُ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ
 يَكْتُمُ اِيْمٰنَهُۥٓ اَتَقْتُلُوْنَ رَجُلًا اَنْ يَّسْؤَلَ رَبَّۃَ اللّٰهِ وَقَدْ
 جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَاَنْ يَّكُفِّرَ عَنْ سَيِّئِهِ
 كُذِّبَ، وَاَنْ يَّكُفِّرَ عَنْ سَيِّئِهِ يَكْتُمُ الَّذِيْ يَعْبُدُكُمْ
 اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُّسْرِفٌ كٰذِبٌ ﴿٢٨﴾ وَيَقُوْلُ لَكُمْ
 الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظٰلِمِيْنَ فِي الْاَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّكَ مِنْ بَنِيّ اللّٰهِ
 اِنْ جَاءَكَ تَاۗءَاثُ فِرْعَوْنَ مَاۤ اَرِيْكَ اِلَّا اَمَّاۗرًا وَمَاۤ اَهْدِيْكُمْ
 اِلَّا سَبِيْلَ الرَّسٰلِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِيْ ءَامَنَ يَقُوْمُ اِنِّيْ اَخَافُ
 عَلٰىكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْاَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْرٍ فُوْجٍ وَعٰدٍ
 وَتَمُوْدٍ وَالَّذِيْنَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ وَمَاۤ اَللّٰهُ بِرُبِّدٍ ظٰلِمًا لِّلْعٰلَمِيْنَ ﴿٣١﴾
 وَيَقُوْمُ اِنِّيْ اَخَافُ عَلٰىكُمْ يَوْمَ التَّنٰازُلِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ نُوَلُّوْنَ مُّذٰبِيْنَ
 مَا لَكُمْ مِّنَ اللّٰهِ مِنْ عٰصِمٍ وَمَنْ يَضِللِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ اِيْمٰنَهُۥٓ اَتَقْتُلُوْنَ رَجُلًا اَنْ يَّسْؤَلَ رَبِّيَ اللّٰهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَاِنْ يَكُفِّرَ عَنْ سَيِّئِهِ كُذِّبَ فَعَلَيْهِ كُذِّبَ، وَاِنْ يَكُفِّرَ عَنْ سَيِّئِهِ يَكْتُمُ الَّذِيْ يَعْبُدُكُمْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُّسْرِفٌ كٰذِبٌ ﴿٢٨﴾﴾.

* ﴿وَاِنْ يَكُفِّرَ عَنْ سَيِّئِهِ يَكْتُمُ الَّذِيْ يَعْبُدُكُمْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُّسْرِفٌ كٰذِبٌ﴾ هذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى

بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

* ﴿اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُّسْرِفٌ كٰذِبٌ ﴿٢٨﴾﴾ وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه.

﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْٓ ءَايٰتِ اللّٰهِ يَغَيِّرُ سُلْطٰنِيْۡنًا اَتٰهُمْ اِنْ فِيْ صُدُوْرِهِمْ اِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبٰلِغِيْهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ ﴿٥١﴾﴾.

* هذا نص صريح، وبشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوسٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُكْرًا مَوْسُومًا وَمَنْكُرًا مِّنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَلْعِزُّ أَجْلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ هُوَ الَّذِي يُخَيِّمُ قِيَادًا فَصَحَّ أَمْرًا فَإِنَّا نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضْمِرُونَ ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أُرْسِلْنَا بِهِ مُرْسِلًا فَحَسَبُوا بِعِلْمِهِمْ إِنْ أَلْحَقْنَا فِيهِمْ أَلْعَنِيهِمْ وَاسْلُكْسِلْ يُسْحَبُونَ ﴿٧٦﴾ فِي الْحَجِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ دَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَقْرَأُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْجُرُونَ ﴿٨٠﴾ أَذْخُلُوا الْأَرْبَابَ جِهَةً حَلِيلِينَ فِيهَا فَيُنْسِ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قِيمًا لِّرَبِّكَ تَعَسَّى الَّذِي يُعَذِّبُهُمْ وَأَتَوَفَّيْتَنَّهُمْ فَوَيْلٌ لِلنَّاصِبِينَ ﴿٨٢﴾

* ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾

يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل - وهو الأظهر - أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس الله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال

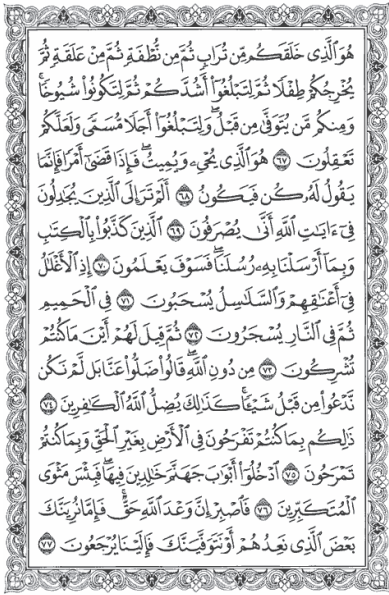
الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [يونس: ٦٦] ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف: ٥].

﴿ فَلَمَّا جَاءَ تَهُم رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

* ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ *

من المعلوم، أن فرحهم به يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقاً، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّتْ به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية

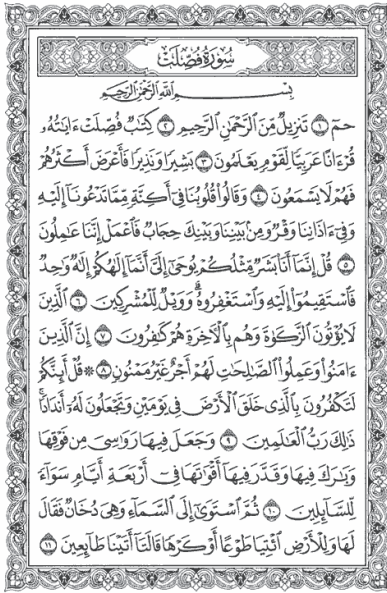
القاطعة أدلة لفظية، لا تنفيذ شيئاً من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها والمناقضة، فالله المستعان.



سُورَةٌ فَصَّلَتْ

﴿سورة فصلت (مكية).﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾.



* في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته، فبذلك يكون عمله خالصاً صالحاً نافعاً، وبفواته يكون عمله باطلاً.

﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ أُنْتَبَاهُ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتَبَاهُ طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾﴾.

* اعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣٠﴾ [النازعات: ٣٠] يظهر منها التعارض، مع أن كتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف. الجواب عن ذلك، ما قاله كثير

من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾ (٣١) ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا﴾ (٣٢) [النازعات: ٣١-٣٢] متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠) ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ إلى آخره ولم يقل: (والأرض بعد ذلك خلقها).

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَٰعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧)

فَقَضَّاهُمْ سَاعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الَّتِي بَعَصَدِيحٍ وَحَقَّقْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا أَقْبَلْنَا نَذْرَهُمْ صَٰعِقَةٌ وَقَتْلُ صَٰعِقَةٍ
عَادٍ وَثَمُودُ ﴿١٨﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَوَيْتٍ
خَلْفَهُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً بِمَاءِ أَنْزَلْنَاهُمْ لِيَشْرَبُوا ﴿١٩﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا لِمَ أَتَيْنَا هَٰذَا وَلَوْ نَرَوْا آلَ اللَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُلَذِّقَهُمْ
عَذَابَ الْحِزْبِ فِي الْحِزْبِ فِي الْحِزْبِ الَّتِي وَالْعَذَابِ الْآخِرِ وَهُوَ
لَا يُصْرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَٰعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٢٢﴾ وَجِئْنَا بِالَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَسْتَوُونَ ﴿٢٣﴾ وَنُوحٍ يَجْتَمِعُونَ
إِلَى الْبَارِئِ فَهِيَ كَانَتْ إِذْ جَاءَتْهَا وَهِيَ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

* ﴿أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان، لأن آية ثمود آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأثامهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى.

﴿وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢١)

* ﴿وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ﴾ هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٢٦)

* ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَغْلِبُونَ﴾ وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق

ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم أنهم لا يغلبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (٣٩) .

* في هذا بيان حقيق بعضهم على بعض، وتبري بعضهم من بعض .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُرُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٣﴾ تَعْنِ أَوْلِيَاءُ كُنتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْزَرِ وَلَكِنَّ فِيهَا مَاتَسْتَبِهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكِنَّ فِيهَا مَاتَنَّهُنَّ ﴿٣٤﴾ يُؤَلِّمُنَّ عَقُوبَ رَجِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ عَظِيمُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّمَا تَرَفَعْتَ مِنَ السَّمَاءِ نَبْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ وَمِنْ لَدُنْهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْقَمَرُ لَا يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ رِيبًا تَفِيئُونَ ﴿٤٠﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْخَرُونَ ﴿٤١﴾

* هذا استفهام بمعنى النفي المقرر

أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة، وحالة ﴿مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾

بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق

يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه،

ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومن الدعوة إلى الله تحييه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

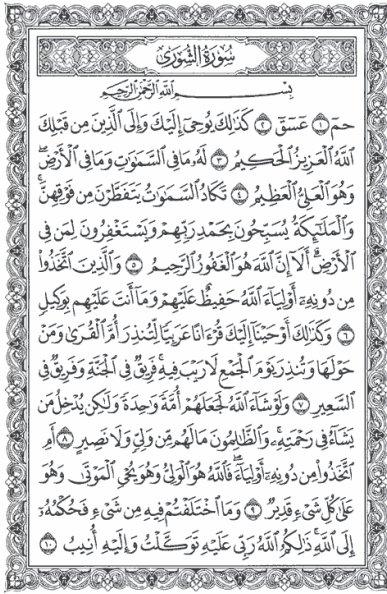
* ومن الدعوة إلى الله الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين. ومن ذلك الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.



سُورَةُ الشُّورَى

﴿سورة الشورى﴾ (مكية).

﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَقَ ۝٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾
 لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
 فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾.



* في وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموماً، وإلى محمد - صلى الله عليهم أجمعين - خصوصاً، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف

جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول اتخاذ أنداد لله من دونه ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم.

﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
 وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾.

* مفهوم الآية الكريمة، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب الله وسنة رسوله.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ مَسَّحَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ كِبْرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَقْرَأُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَيِّنَاتٍ مِمَّا سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى الْأَجْلِ مُسَمًّى لِقَضَى بَيْنَهُمْ وَأَنْ أَوْرَأُ الْكَتَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَقَدْ سَلَّمَ فِيهِ مِنْ رَبِّكَ فَذَلِكَ فَانِجٌ وَأَسْتَفْتَى كَمَا أَلْمَزْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْمَلُ بِبَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ رَبِّنَا وَرَبِّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَاللَّهُ الْعَلِيمُ ﴿١٤﴾

* هذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا

تَنْفَرُوا فِيهِ كِبْرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣).

* في هذه الآية أن الله يهدي إليه من ينيب مع قوله: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ﴾ مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين.

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

فَأَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ اللَّيْلِ أَنْزَلَ بِذُرُوفِهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٥﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ مَسَرَّحَ لَكَ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَى بِهِهُ وَمَا الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَمْتَرُوا هَذِهِ لَكُم مِّنْ مَّوَدِعَ الْمُتَسَكِّينَ مَن آتَاهُم مِّنَّا فَادْعُهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٧﴾ وَمَا فَتَرْتُمْهُ إِلَّا مِمَّن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا لِّكَلِمَةٍ سَمِعَتْ مِنْ دُونِكَ إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَقَدْ نُنِيبُ فِيهِمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورُوا إِلَيْكَ مِن بَعْدِهِمْ لَمَن لَّمْ يَكُن مِّنْ قَبْلِهِمْ نَبِيٌّ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾



* في هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيـان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابتنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيـان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها،

وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته. وأما مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابتنا، فلم يأمرنا بالإيـان بهم.

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

* الكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل.

* وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية،

والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخله في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله.

* وما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب والميزان مما قيل: إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك من خبر المسائل وما أخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه.

* وأما من اغتر بالعبارات المزخرفة، والألفاظ المموهة، ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوفاه وخلافه سيان.

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (١٩)

* من لطفه أن أمر المؤمنين بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث

هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

* ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ، حَجَّاجُونَ
دَاجِجَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ ﴿ يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
الْآنَ إِنَّ الَّذِينَ يُعَارِفُونَ فِي السَّاعَةِ لَيَكْفُرُنَّ بِعِيدِ
اللَّهِ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدِ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ شَيْءٍ ﴾ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَتَوَلَّوْا كَيْفَ لَقِيتُ الْقَوْمَ لَقِيتُ
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ لَا يَهْتُمُّونَ بِذُنُوبِهِمْ
﴿ أَسْأَلُكُمْ عَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رُؤُوسَاتِ الْجِبَالِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِأَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَبِصَاحِ اللَّهِ الْبَطْلُ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿٢٤﴾

* هذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته، وسنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات فإن عاقبته الاضمحلال.

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ الْمَوَازِيحَ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٦﴾ إِنَّ يَسَاءَ لِمَنْ كَفَرَ بِالرِّيحِ فِطْرَتُهُمْ رَوْادِكٌ عَلَى ظَهْرِهِمْ وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٧﴾ أَوْ يُوقِنُ أَنَّ يَمَاسِكُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْ يَغْفِرَ عَنْ كَبِيرِ الْعَذَابِ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ فِيءَ الْبَيْنَاتِ مَا كُفِّرُوهَا أَوْ يَكُونُ فِيهَا عِشْرُونَ مَرَّةً يُغْفَرُ لَهُمْ فِيهَا عِشْرُونَ مَرَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبُرْصُ كَفَرُوا فَبِعَذَابِنَا يَسْتَفْتِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزَائِرِ الْأُمُورِ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنْ رَبِّهِ سَبِيلٌ ﴿٣٧﴾

* الفرق بين الكبائر والفواحش - مع أن جميعها كبائر - أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع أفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه.

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ﴿٤١﴾

* شرط الله في العفو الإصلاحي فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به.

* وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يجب أن يعامله الله به، فكما يجب أن يعفو الله عنه فليُعْفُ عنهم، وكما يجب أن يسامحه الله فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

* ودل قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ وقوله: ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أنه لا بد من إصابة البغي والظلم ووقوعه. وأما إرادة البغي على الغير، وإرادة

ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدي تاديباً يردعه عن قول أو فعل صدر منه.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾

* هذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات.

وَتَرْتَهُمْ يَعْضُوبُ عَلَيْهِمْ خَشِعَتِ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ
مِنْ ظُلْفٍ يَخِيفُ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقْبِرٍ ﴿٤٧﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٨﴾ أَسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٩﴾ فَإِنِ اعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِذْ أُنبِئَكَ وَإِنَّا إِذَا
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَدَّبَّا بِهَا وَإِنِ ضُحِبَتْ سَيِّئَتُهُ
يَمَاقِدَ مَتَّ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَقَبْرٍ ﴿٥٠﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ
مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِن تَتَّبِعُونَ
وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الْدُّورَ ﴿٥١﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً
وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾ وَمَا كَانَ
لِإِنْسَانٍ بِكَلِمَةٍ إِلَهٌ إِلَّا أَوْحَىٰ أَوْنًا وَرَأَىٰ جَهَابًا أَوْ يُسِيلُ
رَسُولًا فَيُؤَيِّدُ بَدَانِهِ مَآئِدَةً إِنَّهُ عَلَىٰ حَكْمٍ مُّبِينٍ ﴿٥٣﴾



سُورَةُ الزَّخْرُفِ

﴿سورة الزخرف (مكية).﴾

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

ذلك باطل من عدة أوجه :

* منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

* ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

* ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون

الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهن بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

* ومنها: أن الصنف الذي نسبه الله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراحتهم لذلك ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من كراحتة وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

* ومنها: أن الأئني ناقصة في وصفها، وفي منطقتها وبيانها، ولهذا قال تعالى:

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْزَلْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْمَنًا
 كَذَلِكَ نُخْرِجُكَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا جَعَلَ
 لِكُلِّ مِزْجٍ مَلَائِكَةً وَاللَّاتِيغِيوَاتُ يَسْتَوِينَ ۚ لَبَّسْنَ
 لِبَاسَهُنَّ لِيُبْدِيَ لَهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ غَيْرِ مُبْدِيْنَ ۚ وَتُحْجَبْنَ
 بِهِنَّ ۚ وَتُكْرَمْنَ ۚ وَلِلَّهِ الْغَيْبُ ۚ وَتَقُولُنَّ سُبْحَانَ
 الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
 لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ
 لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ بِنَاتِ
 الْإِنْسَانِ يَأْتِيَنَّهُنَّ الْغَيْبُ أَتِيَنَّهُنَّ بِمَا يَكْفُرْنَ
 بِهِ ۚ وَإِذَا الْبُشْرَىٰ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
 ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٨﴾ أَوَمَنْ يُنْفِقُ فِي
 الْحَيَاةِ وَهُوَ كَافِرٌ يَصْرِفْهُمُ إِلَىٰ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا
 الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتُمْ أَشْهَادُ ۚ خَلَقْتَهُمْ
 مِنْ سُلْطَانٍ مُّسْتَكْبِرٍ ﴿٢٠﴾ سَهْدَ النَّهْمِ إِذْ أَنشَأَ الِلسَانَ
 تَالِيَةً ۚ فَبَدَأَ بِمَا عَظِمْتَ لَهُمْ ۚ مَا لَكُم مِّنْ عِلْمٍ
 إِنِ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ أَنزَلْنَاهُ
 قُرْآنًا بَلِيغًا فَهَيَّؤْهُ لَهُمْ قُلُوبًا فَهُمْ يُسْمِعُونَ ﴿٢٢﴾
 وَحَدَّثَنَاهُ آيَاتِنَا وَأَخْبَرُوهُنَّ رُسُلَهُنَّ فَوَسَّوهُنَّ
 بِهِنَّ فَأَكْرَهْنَ إِلَيْنَا سَبْحًا ۚ وَلِلَّهِ الْغَيْبُ ۚ وَتَقُولُنَّ
 سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿٢٣﴾

﴿أَوْ مَنْ يُشَوُّ فِي الْحَلِيَّةِ﴾ أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١٨) أي: غير مبين لحجته، ولا مفسح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهم لله تعالى؟

* **ومنها:** أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثًا، فتجروا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنثوية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

* **ومنها:** أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

﴿أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا



وَكذلك مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ آلُهَا كَذِبٌ أَوَّلًا وَإِنَّا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مَقْتَدِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالُوا لَوْ جِئْتُمْكُمْ بِآيَاتٍ مِمَّا نَحْنُ بِرِيبٍ مِنْهَا لَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَاتٍ فَتَتَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ فَانزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنزَلْنَا بِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْهَيْكُمْ فِي بُغْيِكُمْ وَإِنَّا لَبَازِغُونَ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ وَقومِهِ إِنِّي بَرَأةٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيُعيدُنِي ﴿٢٣﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّكُمْ تَرْتَدُّونَ ﴿٢٤﴾ تَتَذَكَّرُونَ هَذِهِ آيَةُ الْقرآنِ وَآيَةُ الْقرآنِ هُوَ الْحَقُّ وَرَسُولُهُ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا إِسْحَارٌ وَإِنَّا بِكُمْ لَكَافِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢٨﴾

المعنى

بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢٨﴾

* في هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أي: ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال والحرف والصنائع. فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج

بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم.

* وفيها دليل على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية

الأخرى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿يونس: ٥٨﴾.

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا
مِّنْ فِصَّةٍ وَمَمَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَخَبَتُونَ ﴿٣٤﴾
وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

* في هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم،

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَخَبَتُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ
كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ، شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ، قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَأَنْهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنْهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُونَ
الْأَصْمَةَ أَوْ تُبْصِرُونَ السُّكُوتَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ قِيَامًا
نَدَّاهُنَّ بِكَ قِيَامًا مِنْهُنَّ مُسْتَفْتِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ يُرِيدُكَ الَّذِي
وَعَدْتَهُمْ قِيَامًا عَلَيْهِمْ مُّتَدُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَسْمِعْ بِالَّذِي أَرَىٰ
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَرُحْمٌ يُعْجَبُ
وَسَوْفَ يُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح
بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع
الحياة الدنيا، منغصة، مكدره، فانية،
وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين
لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه،
لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي
الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلد الأعين،
وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين
الدارين.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ، شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ، قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَلِيَامَهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ
الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

* ﴿وَلِيَّتَهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: الصراط المستقيم، والدين القويم.
 ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له،
 وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا. فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من
 حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين
 مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في
 الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

* ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾

يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة
 الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على
 من عبدهم، ونزل أيضا قوله تعالى:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
 وَرِدُونَ﴾ ﴿[الأنبياء: ٩٨]، ووجه

حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: قد تقرر
 عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من
 عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة

وَمَا يُرِيدُونَ مِنْ آيَةِ الْآيِينَ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهَا وَأَخَذْتَهُمْ
 بِالْعَذَابِ لَعْنَةُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَقَالُوا إِنَّا نَسْأَلُكَ لَنَا
 رَبَّنَا بِمَا عَاهَدْتَ عَلَيْنَا لِنَهْتَدُونَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
 عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَتَكَادَى يَبْرُؤُونَ فِي قَوْمِهِ
 قَالَ يَقْتُولُ بَلِّغْ لِي مَلِكٌ مَضْرُوبٌ وَهَذَا الْآيَةُ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِي أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهْدِيٌّ
 وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٦٢﴾ فَلَوْلَا أَلْفٌ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ مِنْ ذِكْرِ آيَاتِهِ
 مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّبِينَ ﴿٦٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ
 فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا هَاسَفُونَا
 انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ
 سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
 إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
 هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٦٨﴾ إِنْ هُوَ
 إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِمَنْ يُسْرِئْ يَدَيدَ ﴿٦٩﴾
 وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٧٠﴾

الحسنة، فلم سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك
 باطلة لم تتناقض. ولم قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ
 جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ ﴿[الأنبياء: ٩٨] وهذا اللفظ بزعمهم، يعم
 الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها،

هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة [الذي] فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتباشرون. وهي - والله الحمد - من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأى شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟ وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقربا عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب. وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

- أحدها: أن قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أن ﴿ما﴾ اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه.
- الثاني: أن الخطاب للمشركين الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناما وأوثانا ولا يعبدون المسيح.
- الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء داخلون في هذه الآية.



سُورَةُ الْجَانِثِيَةِ

﴿سورة الجاثية (مكية)﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حم ﴿١﴾ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴿٢﴾ إن في السموات
 والأرض لآياتٍ للذين يؤمنون ﴿٣﴾ وفي خلقكم وما أتاكم من يدين الله آياتٍ
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وأخلف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء
 من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وانصرف الريح بأمر ربها ﴿٥﴾ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد
 الله وآياته يؤمنون ﴿٧﴾ ويل لكل أفاك أثيم ﴿٨﴾ يسمع آيات
 الله فتلقى عليه فم نصير مؤسك وإن كان لو سمعها لفتنوه يعذب أليم ﴿٩﴾
 وإذا دعوا من آياتنا شئنا أن نعذبهم أو أن نعذبهم ما كتبنا أمينا
 ﴿١٠﴾ من وراءهم جهم ولا ينبغي عنهم ما كتبنا أمينا
 ولا ما أخذوا من دون الله آياتنا ولهم عذاب عظيم ﴿١١﴾ هذا
 هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من ربهم ليلهم ﴿١٢﴾
 ﴿١٣﴾ الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا
 من فضله ولعلكم تشكرون ﴿١٤﴾ وسخر لكم ما في السموات وما في
 الأرض جميعا إنه إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾

* يخرج من هذا العموم اللفظي هذه الأمة فإنهم خير أمة أخرجت للناس. والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة، فإن الله يقص علينا ما امتن به على بني إسرائيل وميزهم عن غيرهم وأيضا فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة

فضائل كثيرة، فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيم على سائر الكتب السابقة، ومحمد صلى الله عليه وسلم مصدق لجميع المرسلين.



* **الثاني:** العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

* **الثالث:** العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

* **الرابع:** ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

* **الخامس:** معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

* **السادس:** اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

* **السابع:** أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا، ورأيا وصوابا، وعلمًا - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون - قد شهدوا الله بذلك.

* **الثامن:** ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

* فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها، عند تأمل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم

بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تنزله الشبه والخيالات، ولا يزداد - على تكرار الباطل والشبه - إلا نمواً وكمالاً. هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير - وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته - فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

* ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فإنهم - بسبب إيمانهم - كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة. ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأموراً بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يجب لهم من الخير ما يجب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساوئهم ومعائبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعاً تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِنَّا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذِكْرُهَا الْيَقَاتِلَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِنَّا عِزُّ الْأَمْرِ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۗ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمُ الْفِرْدَوْسَ أَعْلَىٰ فُلُوبِ أَهْلِهَا ۗ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَنَّا مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَأَ لَهُمْ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَلَّذِينَ كَفَرُوا مَا تَأْتِي اللَّهُ سَاطِعَاتٌ مِّن بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۗ فَكَتَبَ إِذَا تَوَلَّوْا لِلْمَلِكِ ۗ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِحُجُوبِهِمْ وَأَدْبَارُهُمْ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۗ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَن لَّا يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ أَضْمَرَ ذُنُوبَهُمْ ۗ

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِنَّا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذِكْرُهَا الْيَقَاتِلَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِنَّا عِزُّ الْأَمْرِ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ﴾

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (٣١) من حالهم الأولى، وذلك من وجوه:

* **منها:** أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا إن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

* **ومنها:** أنه إذا تعلقت نفسه بالمستقبل، ضعف عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبل أما الحال، فلأن المهمة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبع للهمة، وأما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتت المهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

* **ومنها:** أن العبد المؤمل للأمال المستقبلية، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به ووطن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدي وظيفته بحسب قدرته، ثم كلما جاء وقت استقباله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعينا بربه في ذلك، فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ ﴾ (٣٣)

* ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ ﴾ (٣٣) يشمل

النهي عن إبطائها بعد عملها، بما يفسدها، من من بها وإعجاب، وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَنَّا فَمَنْ فَمَنْهُمْ بِسَمِئَةٍ وَلَمَنَّا فَمَنْهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ءَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَيَتْلَوْا ءَأَخْبَارَكُمْ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَسَفَّوْا الرِّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنَصُرَّنَّهُمْ لَنَبُرَّنَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ءَعْمَلَكُمْ ﴾ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ كُفْرًا قَدْ تَغَيَّرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتَبُوا وَتَذَعَبُوا إِلَى السَّيْرِ وَأَنْتُمْ ءَالِئُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَزِيدَنَّكُمْ ءَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمُ ءَأَنْزَلُوا وَأَتَقُوا بُرُوقَ أُجُورِكُمْ وَلَا تَبْتَغُوا أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ هِيَ فَيْحِكُمْ تَبْتَغُوا وَيُخْرِجُ أَصْحَابَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا نَبَأُ هَٰؤُلَاءِ نَذَرْنَا لِنُفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٣٨﴾ وَأَنْتُمْ ءَالِقُونَ لَوْلَا تَتَّقُوا لَيَسْتَبْدِلَ فَوْقَ عَظْمِكُمْ رُءُوسَ لَآئِكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ﴿٣٩﴾

* ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من مفسداتها. فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها، كلها داخلة في هذا، ومنهي عنها.

* ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض، وكراهة قطع النفل، من غير موجب لذلك، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها وإتمامها، والإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علماً وعملاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ﴾ (٢١٧)

* هذه الآية والتي في البقرة قوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ

كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧]

مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه

* ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا

من ذلك قبل موتهم، فإن الله يغفر

لهم ويرحمهم، ويدخلهم الجنة، ولو

كانوا مفرين أعمارهم في الكفر به

والصد عن سبيله، والإقدام على

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَ هُنَّ فَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢١٧﴾ وَلَتَسْتَأْذِنُوا حَتَّىٰ تَقَالَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ وَتَسْتَأْذِنُوا الْكُفَّارَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَتَسَأَلُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
مَا نَبَّأَهُمْ اللَّهُ هُدًى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ
﴿٢١٩﴾ إِنَّمَا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَأَطَاعُوا الرَّسُولَ
وَلَا يُظِلُّوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٢١﴾ فَلَا تَهْتُمُوا
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْمَىٰ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَهْتَكِرَ
أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٢٢﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَلَا تَسْأَلُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴿٢٢٣﴾ إِنَّ تَسْأَلَكُمْ بِهَا
فِي حِفْظِكُمْ تَحَلُّوا مِنْهَا وَتَحَرَّجُوا عَنْهَا فَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٤﴾ هَٰذَا نَبَأُ هَٰؤُلَاءِ
فَدَعُوا لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّةً لَكُمْ ﴿٢٢٥﴾

معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة، ولم يغلقها عن أحد، ما دام حيا متمكنا من التوبة. وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافهم، ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾

* هذه الأمور الثلاثة، كل منها مقتضى

للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلىين،

أي: قد توفرت لهم أسباب النصر،

ووعدوا من الله بالوعد الصادق،

فإن الإنسان، لا يهين إلا إذا كان أذل

من غيره وأضعف عدداً، وعدداً،

وقوة داخلية وخارجية.

* **الثاني:** أن الله معهم، فإنهم مؤمنون،

والله مع المؤمنين بالعون، والنصر،

والتأييد، وذلك موجب لقوة

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَنْتَكُمُ فَعَرَفْتُهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَلَتَعْرِفْتَهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَقُولُوا الرَّسُولُ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَلْهَادِي لَنْ نَبْصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَالِهِمْ
﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ
وَلَا تُجِبُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ثُمَّ مَاؤُوا وَهُمْ كُفْرًا فَان يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُوا
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعَلٌّ وَلَهُوَ الْوَقْدَانُ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالِكُمْ ﴿٤٠﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا
فِي حَيْفِكُمْ فَيَسْأَلْكُمْ مِنْ حَيْفِكُمْ فَاذْكُرُونَهُمْ أَنَّهُ لَبَدْلٌ خَالٍ
تُدْعُونَ لِيُغْفِرَ لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَمَنْ يَسْأَلْ
فَلْيَسْأَلْ مِنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَلَنْ
تَسْأَلُوهُ لِيُغْفِرَ لَكُمْ أَسْمَاءُكُمْ ﴿٤١﴾

قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم. الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم

شيئاً، بل سيوفهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصاً عبادة الجهاد،

فإن النفقة تضاعف فيه، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال

تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ

رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا

نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفْرَانَ وَلَا

يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ

أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ

وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ [التوبة:

١٢٠-١٢١] فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده، أو جب

له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف إذا



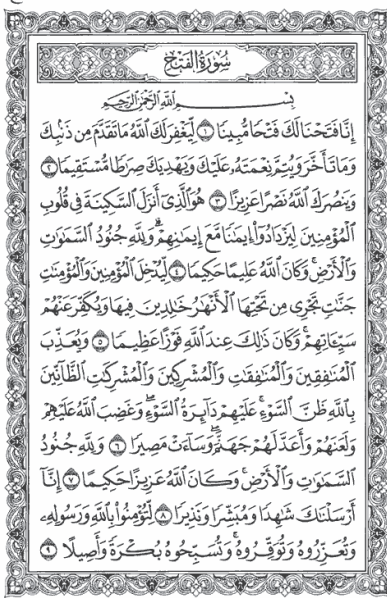
اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب النشاط التام، فهذا من ترغيب
الله لعباده، وتنشيطهم، وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم.



سُورَةُ الْفَتْحِ

﴿سورة الفتح (مدنية)﴾

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿١﴾



* ذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزيز والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقدیس بصلاة أو غيرها.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٦﴾

* ودلت هذه الآية على فضيلة الخلفاء الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ذلك.



سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

* سورة الحجرات (مدنية).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾.



* في هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، على قوله، فإنه متى استبانته سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها كائنا ما كان.

* وفي ذكر الاسمين الكريمين - بعد ﴿﴾
النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله،
والأمر بتقواه - حث على امثال تلك
الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة،
وترهيب عن عدم الامثال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ۖ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

* في هذا، دليل على أن الله يمتحن القلوب، بالأمر والنهي والمحن، فمن لازم أمر الله، واتبع رضاه، وسارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحص للتقوى، وصار قلبه صالحاً لها، ومن لم يكن كذلك علم أنه لا يصلح للتقوى.

منكم، فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيراً منهم، مَنْ الله عليهم
بالإيمان الحقيقي، والجهاد في سبيل الله .



سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

﴿سورة الذاريات (مكية).﴾

﴿ هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَيْتِ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سِمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ يَغْلَمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرْحٍ فَنَصَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴿

﴿فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام :﴾

* **منها:** أن من الحكمة قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم وأين وصلت بهم الأحوال.

* **ومنها:** فضل إبراهيم الخليل، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيث ابتدأ الله قصته بما يدل على الاهتمام بشأنها، والاعتناء بها.

* **ومنها:** مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله هذا النبي وأمته أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْكُرْسِيِّ ﴿١﴾ إِذْ كُنِيَ قَوْلَ مُخْتَلِفِينَ ﴿٢﴾ يُؤَاكَ عَنْهُ مَنْ
أُكِّفَ ﴿٣﴾ فَمِنَ الْمَرْضُونَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ ﴿٥﴾ يَسْتَأْذِنُونَ
أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿٦﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُعْتَنُونَ ﴿٧﴾ ذُوقُوا فَتَنَاتِكُمْ
هَذَا الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْتَجِلُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَجُوهٌ
﴿٩﴾ عَائِدِينَ مَاءً تَارِبًا رِيحًا يُغَيَّرُ كَأَنَّهُمْ كَانُوا أَقْبَلُ ذَلِكَ مُخْسِبِينَ ﴿١٠﴾
كَانُوا قِيلًا مِّنَ النَّارِ مَا تَهَيَّجُونَ ﴿١١﴾ وَيَا الْأَسْحَارَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٢﴾
وَفِي الْأَمْوَالِ حَقٌّ لِلْيَسَارِ وَالْمَخْرُومِ ﴿١٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿١٤﴾ وَفِي النَّجْمِ كُورٌ فَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ يَتَّبِعُ الْكُفْرَ
تَنْطِفُونَ ﴿١٧﴾ هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١٨﴾ إِذْ
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٩﴾ فَرَأَى إِلَيْهِمْ
أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٠﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾
﴿٢٢﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ يَغْلَمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرْحٍ فَنَصَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٤﴾
﴿٢٥﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

* **ومنها:** أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولاً وفعلاً، ومكرمون أيضاً عند الله تعالى.

* **ومنها:** أن إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، قد كان بيته مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب في الابتداء بالسلام فرد عليهم إبراهيم سلاماً أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية دالة على الثبوت والاستمرار.

* **ومنها:** مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

* **ومنها:** أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ولم يقل: ﴿ أنكرتكم ﴾ وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفى.

* **ومنها:** المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قري أضيافه.

* **ومنها:** أن الذبيحة الحاضرة التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جعلت له ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

* **ومنها:** ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضراً عنده وفي بيته معداً، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

* **ومنها:** أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبير من ضيِّف الضيفان.

* **ومنها:** أنه قربه إليهم في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: (تفضلوا، أو اتوا إليه) لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

* **ومنها:** حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصاً عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضاً لطيفاً، وقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) ولم يقل: ﴿كلوا﴾ ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) أو: (ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا) ونحوه.

* **ومنها:** أن من خاف من الإنسان لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وأخبروه بتلك البشارة السارة، بعد الخوف منهم.

* **ومنها:** شدة فرح سارة امرأة إبراهيم حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها، وصرتها غير المعهودة.

* **ومنها:** ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة بغلام عليم.



سُورَةُ الطُّورِ

﴿سورة الطور (مكية)﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿١١﴾﴾

أَصِحَّ هَذَا أَمْ أُنْشِرَ لَا يُصِرُّوت ﴿١١﴾ أَصَاتُهَا فَأَصْبِرُوا
 أَوْلَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَلْمَأْمَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَيَعْبُرُونَ ﴿١٣﴾ فَكَيْفَ يَمَاءُ أَنْهَارٍ زُرَّتْهُمُ
 وَوَقَدْ هُمُ زُرَّتْهُمُ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٤﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَيْتَا يَمًا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوعَةٍ وَرَوَّافَتْهُمْ
 بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا
 كَسَبَ رَهِينٌ ﴿١٧﴾ وَأَلْفَ ذَنْبٍ بَدَّكَهُمُ وَلَطِمَ وَجْهَاتُ الشُّعْرَانِ ﴿١٨﴾
 يَتَنَزَّلُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ فِي السَّمَاءِ وَلَا تَأْتِيهِمْ فِيهَا سُحُوبٌ عَلَيْهِمْ
 عِلْمَانٌ لَهُمْ سَكَنٌ لَدُنْهُمْ وَأَقْبَلُ تَضَاهُ عَلَى
 بَعْضِ نِسَاءِهِمْ لَوْ أَنَّ كُنْتُمْ فِيهَا لَأَخَذْتُمْ فِي ظُهُورِهِمْ
 ﴿١٩﴾ لَقَدْ أَلَمْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٠﴾ إِنَّا كُنَّا
 مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢١﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
 رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ رِيبَ
 السَّمْعَانِ قُلْ تَرَىٰ صَوَافِي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَضِينَ ﴿٢٣﴾



* لما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك، يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكما واحدا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بذنب، ولهذا قال: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿١١﴾ أي: مرتبه بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى،

ولا يحمل على أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

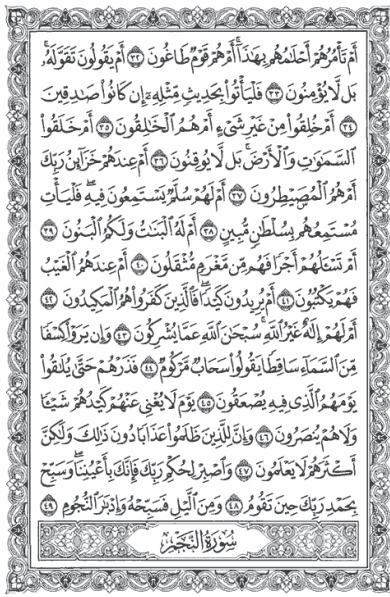
* هذا استدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا وجود، وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم

فإذا بطل [هذان] الأمران، وبيان استحالتهما، تعين [القسم الثالث] أن الله (هو) الذي خلقهم وإذا تعين ذلك علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٤٨)

* أي: من الليل. ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم إلى الصلوات الخمس، بدليل قوله: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ

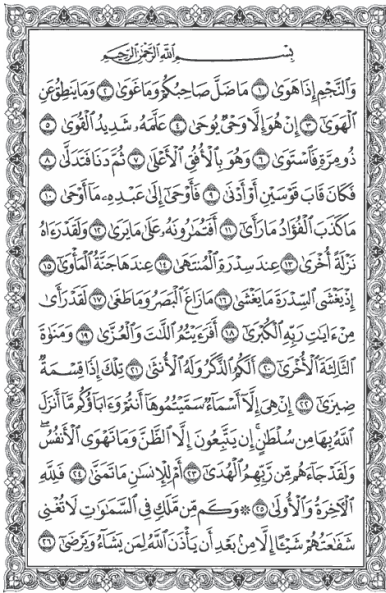
النُّجُومِ ﴾ (٤٩) أي: آخر الليل، ويدخل فيه صلاة الفجر، والله أعلم.



سُورَةُ النَّجْمِ

﴿سورة النجم﴾ (مكية).

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾
 إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرْقٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ
 الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾.



* ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ أي:

لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره.

ودل هذا على أن السنة وحي من

الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال

تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ﴿٤﴾ وأنه معصوم

فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه،

لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما

يصدر عن وحي يوحى.

* ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ وهذا يدل على كمال المباشرة للرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ أي: اتفق فؤاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورؤيته

على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا

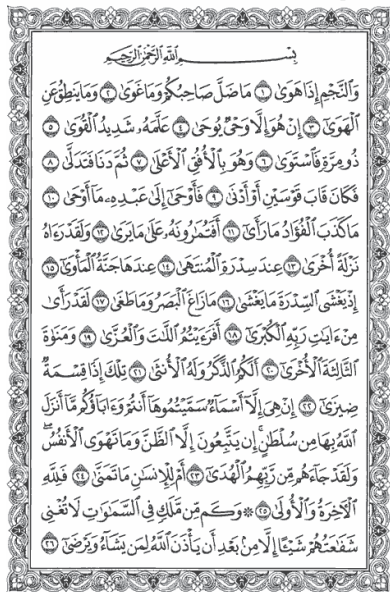
دليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقياً لا شك فيه ولا

شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليلة أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه يقينه حقا بقلبه ورؤيته، هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة.

* **وقيل:** إن المراد بذلك رؤية الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لربه ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لربه في الدنيا، ولكن الصحيح القول الأول، وأن المراد به جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، كما يدل عليه السياق، وأن محمدا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى جبريل في صورته الأصلية التي هو عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾

* ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ هذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة.



* ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾

* هذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاماً أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بها

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمَعُونَ أَلْسِنَةَ أَصْوَابِهِمْ
وَمَا لَهُمْ بِهِمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٣٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ قَوْلٍ عَنْ ذِكْرِكَ وَرُوَيْدٍ إِلَّا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مِمَّا تُهْمُونَ إِلَيْهَا وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٤٠﴾ وَيَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحَقِّ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرًا إِلَّا الَّذِينَ أُخْسِرُوا
إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْوَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَإِذْ أَنْشَأَ جَنَّاتٍ فِي بَطْنِهَا أَنْهَارٌ مَجْرَى أَنْهَارٌ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ أَتَقَى ﴿٤٢﴾ أَقْوَمَتْ الَّذِينَ تَتَى ﴿٤٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْتَدَى
﴿٤٤﴾ أَعْدَهُ عِلْمَ الْقَتِيلِ هُوَ يَوْمِي ﴿٤٥﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ مَاتَ فِي ضُحُبٍ
مُوتَى ﴿٤٦﴾ وَإِذْ رِهْرِهتَ الَّذِي وَفَى ﴿٤٧﴾ الْأَرْضُ وَإِزْدَادُ أَخْرَجَى
﴿٤٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٩﴾ وَأَنْ سَعَى سَوْقَ بَرِي
﴿٥٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأُولَى ﴿٥١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٥٢﴾
وَأَنْ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى ﴿٥٣﴾ وَأَنْ هُوَ آمَنَاتٌ وَأُنْحَايَا ﴿٥٤﴾

أمر به، أو يقوم به على وجه التفريط، أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يمينا وشمالا، وهذه الأمور كلها منتفية عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ﴿٣٨﴾

* قد استدل بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ﴿٣٨﴾ من يرى أن القرب لا يفيد إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا: لأن الله قال: ﴿ وَأَنْ

لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ﴿٣٨﴾ فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك، وفي هذا الاستدلال نظر، فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعي غيره، إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه.

* ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ﴿٦٢﴾ الأمر بالسجود لله خصوصا، ليدل ذلك على فضله وأنه سر العبادة ولبها، فإن لبها الخشوع لله والخضوع له، والسجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد فإنه يخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام.



سُورَةُ الرَّحْمَنِ

✽ سورة الرحمن (مكية).

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾

* هاتان الجنتان دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، وكما وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الآخرين.

- فقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾، وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ ومن المعلوم الفرق بين الجارية والنضاجة.

- وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ ولم يقل ذلك في الآخرين.

- وقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا

فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ وقد علم ما

بين الوصفين من التفاوت.

- وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى

فُرُشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى

الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ ولم يقل ذلك في

الآخرتين، بل قال: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى

رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾.

- وقال في الأوليين، في وصف

نساءهم وأزواجهم: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٦٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ ذَئْبِهَا وَبَيْنَ كَلْبِهَا فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ قَصِيرَاتٌ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمَئِنَّا لَهُنَّ رِجَالُهُنَّ وَلَا حَتَاؤُهُنَّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

الظرف لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان ﴿٥٦﴾، وقال في الآخرين: ﴿حُرٌّ مَّقْصُورٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ﴿٧٢﴾ وقد علم التفاوت بين ذلك.

- وقال في الأوليين ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾ فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك في الآخرين.

- ومجرد تقديم الأوليين على الآخرين، يدل على فضلهما.

فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٥٦﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٧﴾ يَطَّوَّرُونَ بِهَا مِنْ أَلْوَيْنٍ وَجَمِيعِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٥٨﴾ وَلَيْسَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٩﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٦٠﴾ ذُو الْقُرْآنِ ﴿٦١﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٦٢﴾ فِيهِمَا عِتَابٌ لِّلَّذِينَ نَجَّيْنَا ﴿٦٣﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِرْعَوْنٍ وَرَأْسِ كَدْبَانَ ﴿٦٥﴾ مُتَجَكِّمِينَ عَلَى فُرُوسٍ بَطَّالِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَفٍ وَبِحَقِّ الْجَنَّتَيْنِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٦٦﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا قَصَصُ الظُّلَمِ لَمْ يَطْمَئِنُّ عَشْرٌ إِنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٦٨﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٦٩﴾ كَأَنَّهُمْ ءِالِافُوتٌ وَالمَرْجَانُ ﴿٧٠﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٧١﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٧٢﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ ذُوهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٧٤﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٧٥﴾ مُذَهَّبَتَانِ ﴿٧٦﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٧٧﴾ فِيهِمَا عِتَابٌ لِّلَّذِينَ نَجَّيْنَا ﴿٧٨﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٧٩﴾ فِيهِمَا قَلْبَكُمُ وَتَحُلُّ وَرَمَانٌ ﴿٨٠﴾ فِي أَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِبَانِ ﴿٨١﴾

فهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الآخرين، وأنها معدتان للمقربين من الأنبياء والصدّيقين، وخواص عباد الله الصالحين، وأن الآخرين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيهُ الأنفس وتلذ الأعين، وأهلها في غاية الراحة والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلا منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه، ولا أعلى من نعيمه الذي هو فيه.

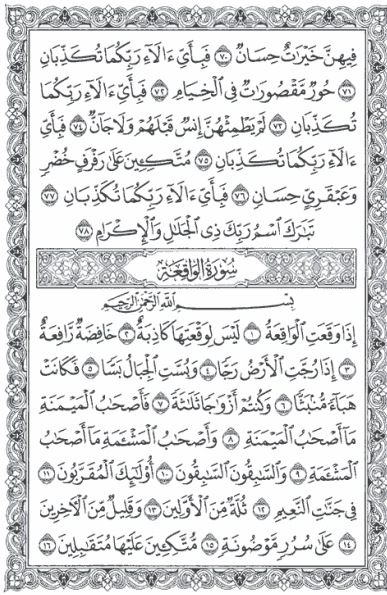


سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

سورة الواقعة (مكية).

﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ

الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾



* هذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين، والمقربون هو خواص الخلق.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

* إذا كان لا يمسه إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسه، دلت الآية

بتنبيهها على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر، كما ورد بذلك الحديث، ولهذا قيل: إن الآية خبر بمعنى النهي، أي: لا يمس القرآن إلا طاهر.



سُورَةُ الْحَدِيدِ

﴿سورة الحديد (مدنية)﴾.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ

الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ .

* ﴿ وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ ﴾ أي: الذين

أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح

وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا

يدل على فضل الصحابة [كلهم]،

رضي الله عنهم، حيث شهد الله لهم

بالإيمان، ووعدهم الجنة.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١١﴾ .

* هذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب

والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت،

ويحاسبوا أنفسهم على ذلك.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْدَفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَنْجُرُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ يُرِيدُ أَلْبَاقًا فِي النَّهَارِ وَيُغْضِبُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَ لَكُم مِّنْ خَلْقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامِنُوا بِمَا نُنزِّلُ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَتُكِّرُونَهُ كَلِمَاتٍ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَكُونُوا لَعِنَّةً لِّقَوْمِهِمْ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ عَبْدِهِ ءَأَيْبٌ بِرَبِّكَ يُخْرِجُكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُفْرِكَ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ تَن دَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لِلَّهِ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٥﴾

* ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ هذا دليل على أن الرسل متفقون في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والأحوال .

* قرن تعالى في هذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان، والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط،

الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله .



لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَبِعَلَّمَهُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَرُؤُوسُهُمْ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَائِدِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيََّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَزَقْنَاهَا حَقَّ رِزْقِهَا فَغَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ لِيَأْتِيَ اللَّهُ أَهْلَ الْكِتَابِ الْأَلْفِدُونَ عَلَى سَنِيٍّ وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

﴿سورة المجادلة (مدنية)﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِمُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِمُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَّا يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِمُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَلَّا يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِمُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

﴿في هذه الآيات، عدة أحكام:﴾

- * منها: لطف الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوى، بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية.
- * ومنها: أن الظهار مختص بتحريم الزوجة، لأن الله قال: ﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾

فلو حرم أمته، لم يكن [ذلك] ظهارا، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة اليمين فقط.

* ومنها: أنه لا يصلح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها، لأنها لا تدخل في

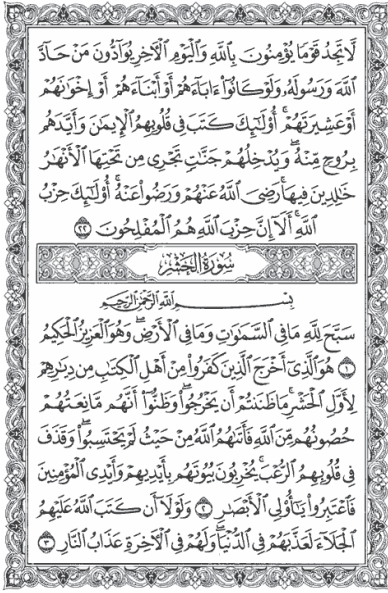
- نسائه وقت الظهر، كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علقه.
- * **ومنها:** أن الظهر محرم، لأن الله سماه منكرا [من القول] وزورا.
- * **ومنها:** تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته، لأن الله تعالى قال: ﴿مَا هُنَّ
- أُمَّهَاتُهُمْ**﴾.
- * **ومنها:** أنه يكره للرجل أن ينادي زوجته ويسميها باسم محارمه، كقوله
- ﴿يَا أُمِّي﴾ ﴿يَا أُخْتِي﴾ ونحوه، لأن ذلك يشبه المحرم.
- * **ومنها:** أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال المظاهر، على اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهر.
- * **ومنها:** أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، لإطلاق الآية في ذلك.
- * **ومنها:** أنه يجب إخراجها إن كانت عتقا أو صياما قبل المسيس، كما قيده الله. بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها.
- * **ومنها:** أنه لعل الحكمة في وجوب الكفارة قبل المسيس، أن ذلك أدهى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها.
- * **ومنها:** أنه لا بد من إطعام ستين مسكينا، فلو جمع طعام ستين مسكينا، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك، لأن الله قال: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
- مَسْكِينًا**﴾.



سُورَةُ الْحَشْرِ

﴿سورة الحشر (مدنية)﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ



يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طِينًا لِيُصِيبَهُمُ الرُّعْبَ يُجْرَوْنَ بِأَيْدِيهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْتَبُوا بِأُولَى الْأَبْصُرِ ﴿٢﴾

* دلت الآية الكريمة أن لهم حشرا وجلاء غير هذا، فقد وقع حين أجلاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرج بقيتهم منها.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

* هذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها.

* ويدل ذلك على أن المهاجرين أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصر والهجرة.

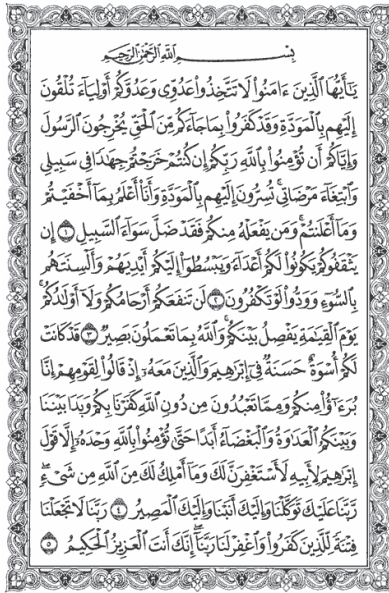
* هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدتها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة.



سُورَةُ الْمُتَحَنِّتِ

✽ سورة المتحنة (مدنية).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَآءَ تَلْقَوْتِ اِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْنِعَاةٍ مَّرَضَاتِي تُسْرُونَ اِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَاَنَا اَعْلَمُ بِمَا اخْفَيْتُمْ وَمَا اَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾



* هذه الآية فيها النهي الشديد عن موالاتة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئاً، ويتنزه الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه

﴿عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَّجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِیْنَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاَللّٰهُ قَدِیْرٌ وَاَللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِیْمٌ ﴿٧﴾﴾

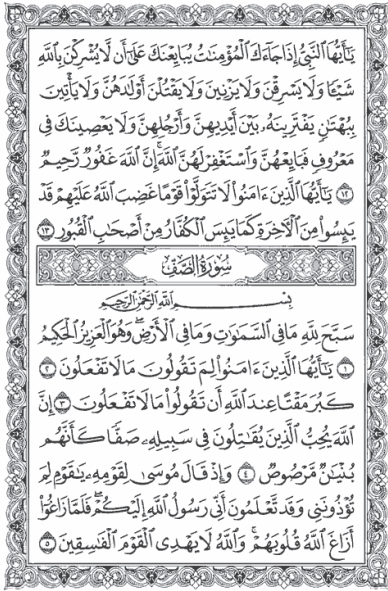
* في هذه الآية إشارة وبشارة إلى إسلام بعض المشركين، الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين، وقد وقع ذلك، والله الحمد والمنة.

سُورَةُ الصَّفِّ

* سورة الصف (مدنية).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

* وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده ليس ظلماً منه، ولا حجة لهم عليه،



وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب [عقوبة لهم وعدلا منه بهم] كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَقْسِدَهُمْ وَابْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ءَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٠].

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّمُ عَلَى تَحَرُّقٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾

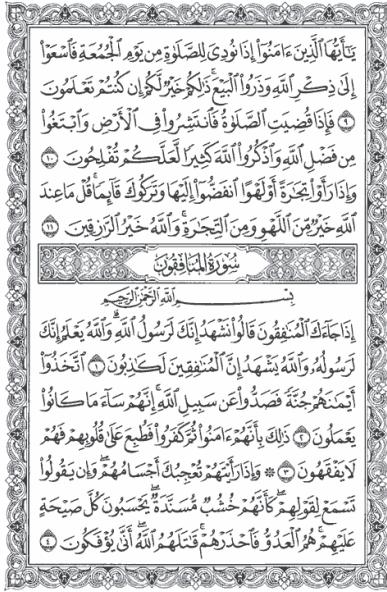
* أتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب.



سُورَةُ الْجُمُعَةِ

﴿سورة الجمعة (مدنية)﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهِ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.



في هذه الآيات فوائد عديدة:

* **منها:** أن الجمعة فريضة على جميع المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها.

* **ومنها:** أن الخطبتين يوم الجمعة فريضتان يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضي إليه والسعي له.

* **ومنها:** مشروعية النداء ليوم الجمعة، والأمر به.

* **ومنها:** النهي عن البيع والشراء بعد نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر ولو كان مباحًا في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال.

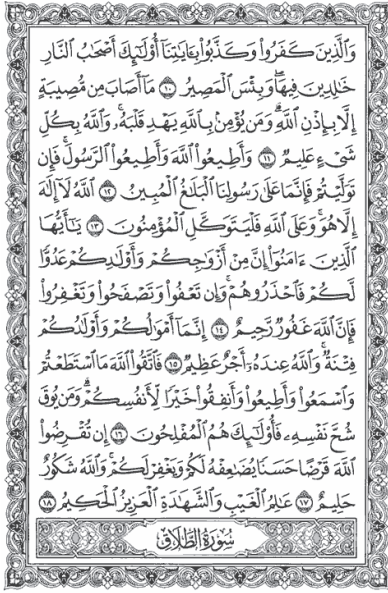
* **ومنها:** الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، ودم من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصات لهما.

* **ومنها:** أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو [والتجارات] والشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه.



سُورَةُ النَّجْمَاتِ

سورة النجابين (مكية).



﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا
 وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ
 نَفْسِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٦

* هذه الآية، تدل على أن كل واجب
 عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه
 إذا قدر على بعض المأمور، وعجز
 عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه،
 ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» ويدخل تحت هذه
 القاعدة الشرعية من الفروع ما لا يدخل تحت الحصر .



سُورَةُ الْحَاقَّةِ

سورة الحاقة (مكية).

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾



* اليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى

مما قبلها: أولها: علم اليقين، وهو

العلم المستفاد من الخبر. ثم عين اليقين،

وهو العلم المدرك بحاسة البصر. ثم

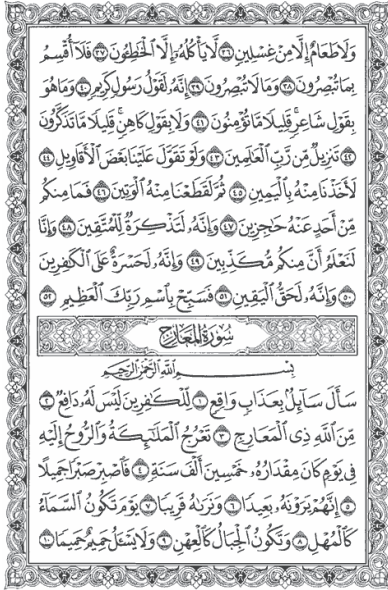
حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة

الذوق والمباشرة. وهذا القرآن الكريم،

بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم

المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من

الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين.



سُورَةُ الْجَنِّ

﴿سورة الجن (مكية)﴾

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِمَنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

* في هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدبا مع الله.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةًٍ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِمَّا الْقَائِمُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَمَّا الْقَائِمُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١١﴾ وَأَلْوَسْتَهُمْ أَعْلَى الْفَرْقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ شَأْبَةَ غَدَاةٍ ﴿١٢﴾ لَيْقِيَنَّهُمْ فَيُدْخِلُهُمْ غِيَابًا فَيُؤْتِيهِمْ مِنْ دُونِهَا فَكُلُّهُمْ لِيَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٤﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا ﴿١٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١٧﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيبُنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجًّا ﴿١٨﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةًٍ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَلَأُوا عُدُونَ فَسَبَّحُوا بِمَنَ صَاعِقُهَا تَأْوِيلًا فَوَقَّلَ لَهَا لِيَأْتِيَهُمْ قَوْمًا عَدُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْدًا ﴿٢١﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ غَيْبُهُ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا مِن رَّسُولِ قِيَامِهِ، يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ وَرَسَدًا ﴿٢٣﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رُبُوبَهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

* هذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخرى المحكمة. وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة.

﴿وفي هذه السورة فوائد كثيرة:﴾

* منها: وجود الجن.

* وأنهم مكلفون مأمورون مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة.

* ومنها: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا قومهم.

* **ومنها:** ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

* **ومنها:** اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشداً، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

* **ومنها:** شدة حرص الجن لاستماع الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وتراكمهم عليه.

* **ومنها:** أن هذه السورة قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، إذا كان لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط اتخاذ من هذا وصفه إلهاً [آخر] مع الله.

* **ومنها:** أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق إلا من ارتضاه الله وخصه بعلم شيء منها.



سُورَةُ الْمِزْمَلِ

✽ سورة المزمّل (مكية).

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝١١﴾ 

* في هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم، ومكنهم منها، لا كما يقوله الجبرية: إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل والعقل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَبِصَفَةٍ ۝ وَثُلُثُهُ ۝ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۝ وَاللَّهُ



يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَنَابَ
 عَلَيْكُمْ فَأَقْرَأُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ ۝ عَلِمَ أَنْ
 سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ۝ وَأٰخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي
 الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۝ وَأٰخَرُونَ
 يَقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ
 قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقِذُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّجِدُوهُ
 عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ۝ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۝ إِنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾

* ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۝ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾

في الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيها أمر به، إما أن لا يفعله أصلاً، أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك.

سُورَةُ الْمُنَادِثِ

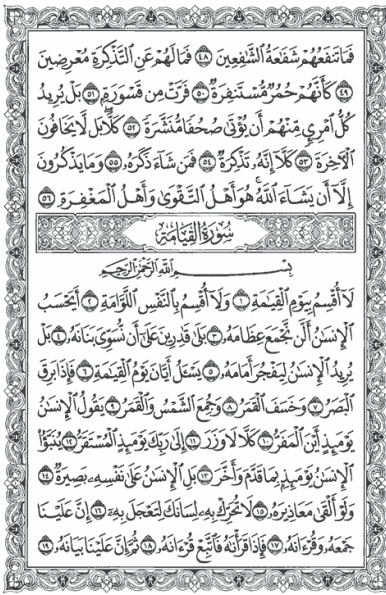
سورة المناد (مكية).

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

* ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ فَإِنْ

مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية

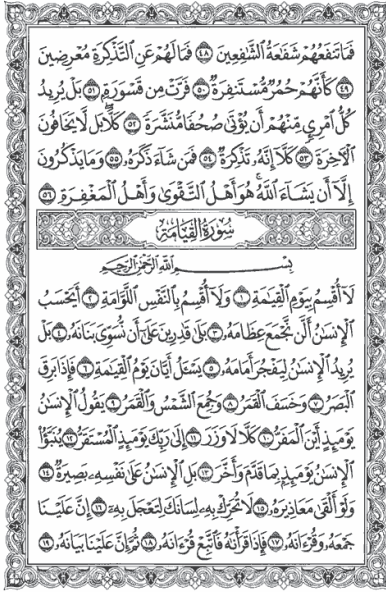
الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا، وجعل ذلك تابعا لمشيئته .



سُورَةُ الْقِيَامَةِ

* سورة القيامة (مكية).

﴿ تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبَعَثَ قُرْآنَهُ ۗ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ ﴿١٩﴾ ۝ ﴾



* ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ ﴿١٩﴾ ۝ ﴾ أي:

بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون،

فامتثل **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه.

* وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ

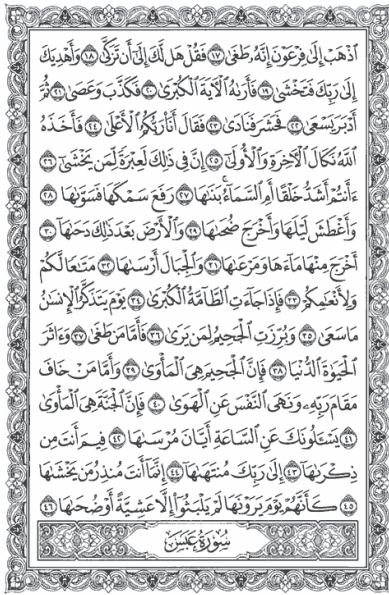
منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه،

* وفيها: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه.



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

* سورة النازعات (مكية).



﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بِنهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ
 سَمَكَهَا فَسَوَّبَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
 ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾
 أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾.

* دحى الأرض بعد خلق السماء، كما هو

نص هذه الآيات [الكريمة]. وأما خلق

نفس الأرض، فمتقدم على خلق السماء

كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ

لَهَا وَالْأَرْضُ أَلَيْبًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١١) فَفَضَّصْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴿

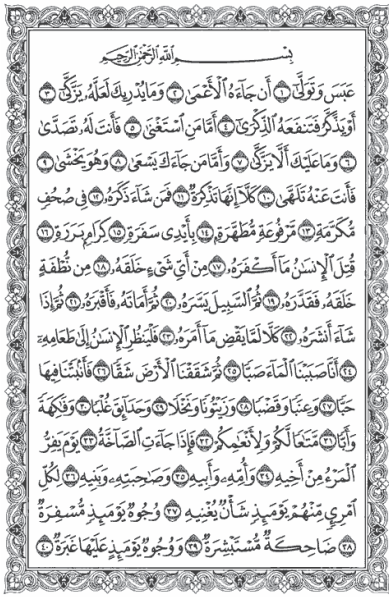
[فصلت: ١١-٢١].



سُورَةُ عَبَسَ

* سورة عبس (مكية).

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ
الذِّكْرَى ۝٤ أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى ۝٥ فَأنتَ لَهُ تَصَدَّى ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي ۝٧ وَأَمَا
مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَأنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝١٠ *



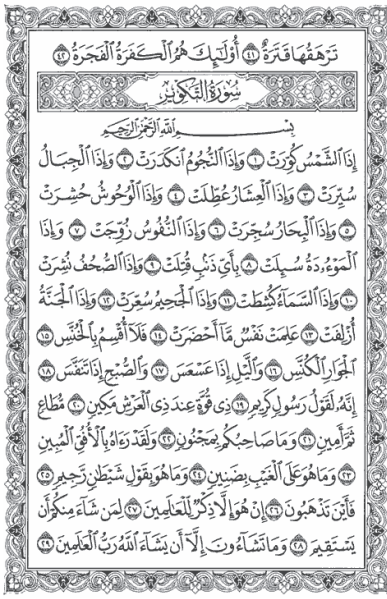
* هذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فأقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديقك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكي، فلو لم يتزك، فلست

بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: (لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة)، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.



سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

* سورة التكوير (مكية).



﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي
الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَّلِعٍ ثَمَّ آمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

* هذا [كله] يدل على شرف القرآن
عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك
الكريم، الموصوف بتلك الصفات
الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل
الكريم عليها إلا في أهم المهمات،
وأشرف الرسائل.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢١﴾

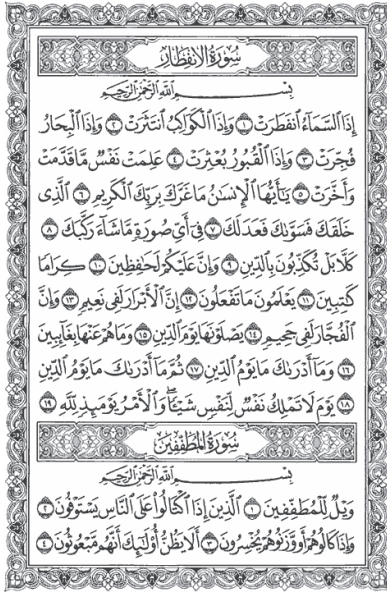
* في هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة كما تقدم
مثلها.



سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

* سورة المطففين (مكية).

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾



* دلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات،

* بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من

الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾

* في هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغويه شيئاً فشيئاً، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتتقلب عليه الحقائق، فيرى

يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
 الْفَجَارِ لَفِي نَاجِيٍّ ﴿٥٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٥٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٥٩﴾
 وَيَلُوكُ الْمُؤْمِنُونَ كِتَابَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ يُكذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٦١﴾ وَمَا لَهُمْ
 بِهِمْ أَلَّا يَحْكُمَ بِآيَاتِهِ إِذْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ قَالَ اسْتَطِيعُوا أَنْ تَأْتُوا
 بِآيَاتِكُمْ إِن كُمْ رَاغِبِينَ ﴿٦٢﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحِينَ ﴿٦٣﴾
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَئِذٍ ﴿٦٤﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿٦٥﴾
 وَإِنَّ الْفَجَارِ لَفِي نَجِيمٍ ﴿٦٦﴾ عَلَى الْأَرْوَاقِ يُطْرَقُونَ ﴿٦٧﴾ تَعْرِفُونَ فِي
 نُجُومِهِمْ نَقْصَرَ النَّجْمِ ﴿٦٨﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي قَهْرًا ﴿٦٩﴾ حَسْمًا
 وَمِنْ ذَلِكَ فَالْتَمَأْتِيسَ الْمُسْتَسْفِسُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَزْلَجُونَ مِنْ
 تَسْنِينِهِ ﴿٧١﴾ عَيْنَا نَسْرَبُ بِهَا الْمَعْرِفُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُخْرِجُوا كَالْوَأ
 مِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَحَامَرُونَ ﴿٧٤﴾
 وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٧٦﴾ وَمَا أَزْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٧٧﴾

الباطل حقًا، والحق باطلاً، وهذا من بعض عقوبات الذنوب.

* ودل مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله.



سُورَةُ الْبُرُوجِ

* سورة البروج (مكية).

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾



* في هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿الْوَدُودُ﴾

بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبههم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين. بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت،

فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحًا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر. فله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه!

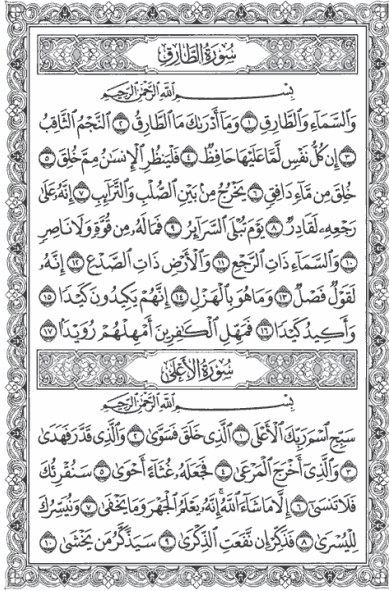


سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

سورة الأعلى (مكية) ❁

❁ فذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ❁

* مفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى،
بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو
ينقص من الخير، لم تكن الذكرى
مأمورًا بها، بل منهيًا عنها .



سُورَةُ الْفَجْرِ

سورة الفجر (مكية).

﴿ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَايَاتِي ﴾ (٢٤) ﴿ فَيَوْمِئِذٍ ﴾
 ﴿ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ (٢٥) ﴿ وَلَا يُؤْتِقُ وِتَاقَهُ ﴾
 ﴿ أَحَدٌ ﴾ (٢٦) ﴿

* في الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها، وفي تميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء.

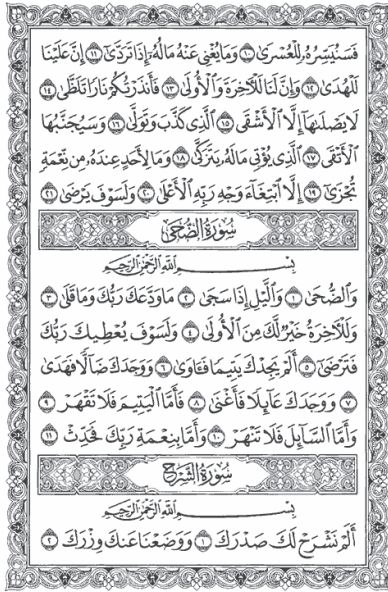


سُورَةُ الضُّحَىٰ

سورة الضحى (مكية).

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ﴿١٠﴾

* هذا يدخل فيه السائل للمال،
والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم
مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم،
ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه،
فإن في ذلك معونة له على مقصده،
وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد
والبلاد.



سُورَةُ الشَّرْحِ

* سورة الشرح (مكية).

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾

فَارْغَب ﴿٨﴾ *

* قوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾

بشارة عظيمة،

أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن

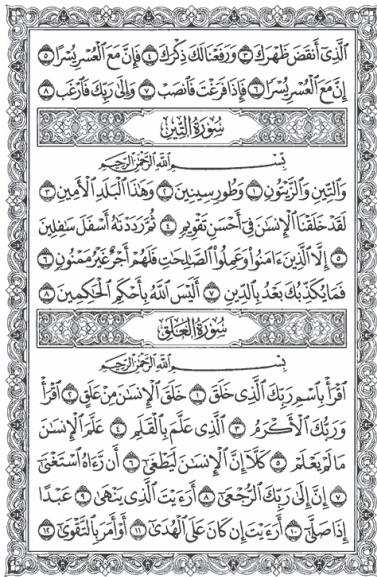
اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل

العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر،

فأخرجه كما قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ

بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق: ٧]، وكما

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإن الفرج



مع الكرب، وإن مع العسر يسرا». وتعريف (العسر) في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له.

* وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾

فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال

مطالبك. واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب

الصلوات المكتوبات.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

سورة التكاثر (مكية).



﴿الْهَيْكَلُ التَّكَاثُرُ ١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾



* دل قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢﴾

أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، وأن الله ساهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين. فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية.



إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَوْنٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ رَاحَبَ
 الْفَجْرَ لِشَيْدٍ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ الْفُجُورِ ﴿٤﴾
 وَحُصِّلَ مَاهِي الضُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ
 يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
 كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي
 عِيسَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَةٌ هَاطِيَةٌ ﴿٩﴾
 ﴿١٠﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١١﴾ تَأْوِيلُهَا

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

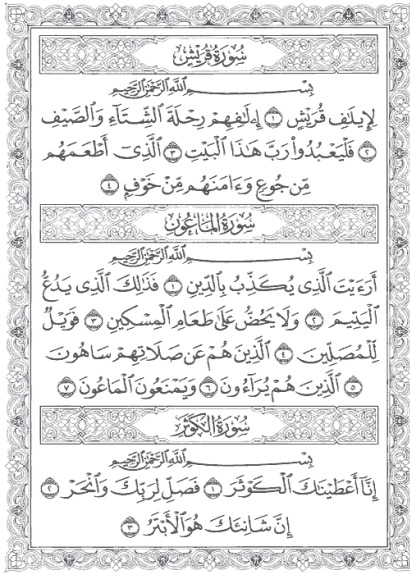
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّكْوِيْنُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ
 كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾
 تُولَّوْنَهَا عَنْ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ تُوَلَّيْتُمْ لَهَا عَنْ الْيَقِينِ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ

* سورة الماعون (مكية).

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾

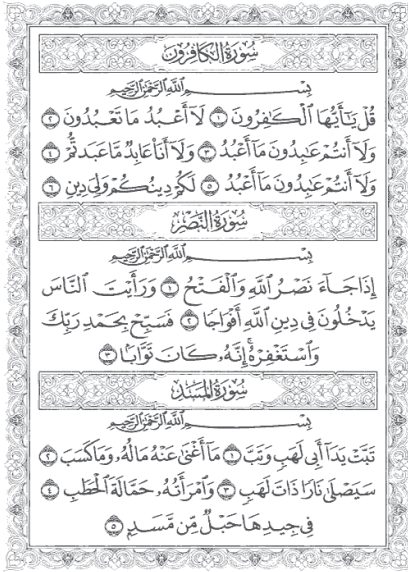


* في هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال. والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.



سُورَةُ الْكَافِرُونَ

سورة الكافرون (مكية).



﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكٰفِرُونَ ۝ لَا اَعْبُدُ ۝
 مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا
 اَعْبُدُ ۝ وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ۝ وَلَا
 اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِيْنُكُمْ
 وَلِي دِيْنِ ۝﴾

* ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ۝﴾
 ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم
 وجود الفعل، والثاني على أن ذلك

قد صار وصفاً لازماً. ولهذا ميز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال:

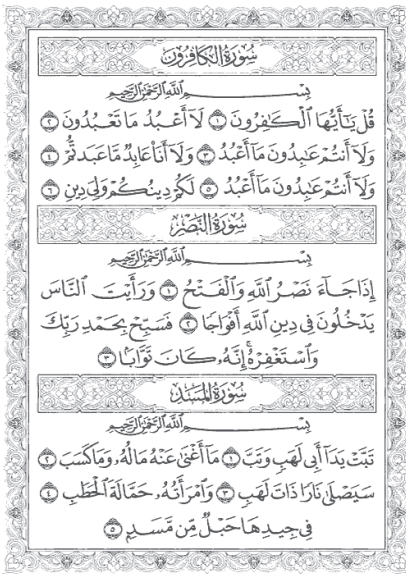
﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِي دِيْنِ ۝﴾



سُورَةُ النَّصْرِ

✽ سورة النصر (مدنية).

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾



في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك.

* فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به .

* وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح،

فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره .

* وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر لهذا الدين،

ويزداد عند حصول التسييح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من

الشكر، والله يقول: ﴿لَيْنَ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وقد وجد

ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا،

حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم

يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل. [ومع هذا] فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.

* وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به. وقد عهد أن الأمور الفاضلة تحتّم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختّم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه. فكان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي).

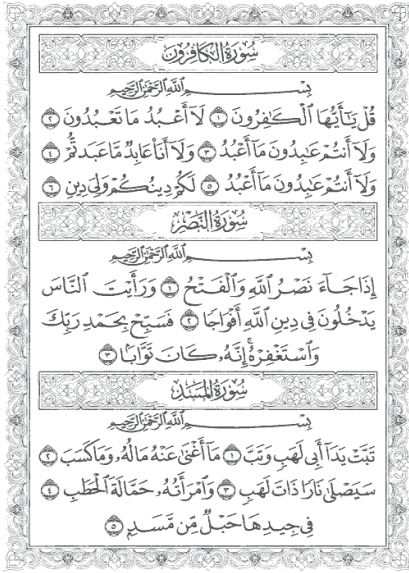


سُورَةُ الْمَيْدَةِ

﴿سورة المسد (مكية)﴾

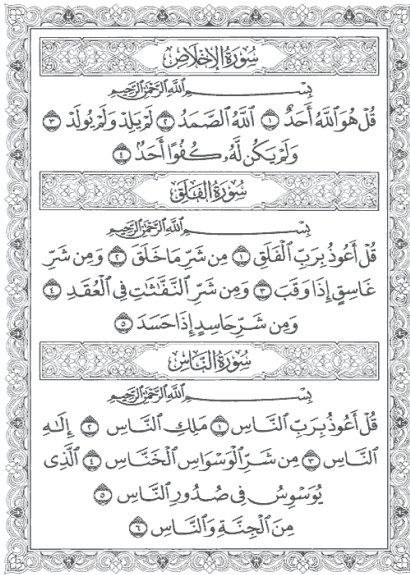
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾

* في هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.



سُورَةُ الْفَلَقِ

سورة الفلق (مكية).






















﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ .

* هذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموماً وخصوصاً. ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله.



الفهرس

الصفحة	الموضــــــــــــــــوع
٥ المقدمة 
٧ سُورَةُ الْبَقَرَةِ 
٧١ سُورَةُ آلِ عَمْرَانَ 
٩٦ سُورَةُ النَّبَاِ 
١٣٤ سُورَةُ الْمُنَاذِرَةِ 
١٥٩ سُورَةُ الْأَنْعَامِ 
١٧٣ سُورَةُ الْأَنْعَامِ 
١٨٥ سُورَةُ الْأَنْعَامِ 
١٩٢ سُورَةُ الْبَقَرَةِ 
٢١٢ سُورَةُ يُونُسَ 
٢١٨ سُورَةُ هُودٍ 
٢٢٦ سُورَةُ يُونُسَ 
٢٤٥ سُورَةُ الرَّعْدِ 
٢٤٧ سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ 
٢٥٢ سُورَةُ الْحَجَرِ 
٢٥٥ سُورَةُ النَّحْلِ 
٢٦١ سُورَةُ الْأَنْعَامِ 
٢٦٦ سُورَةُ الْكَافِرِينَ 
٢٨٢ سُورَةُ مَرْيَمَ 

الصفحة	الموضوع
٢٨٧	سُورَةُ طٰهٍ
٢٩٢	سُورَةُ الْاٰنْبِيَاءِ
٢٩٦	سُورَةُ الْحٰجِّ
٣٠١	سُورَةُ الْمُؤْمِنُوْنَ
٣٠٦	سُورَةُ الزُّمُرِ
٣١٩	سُورَةُ الْاٰرْقَانِ
٣٢٣	سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٣٢٦	سُورَةُ الْاٰمَانِ
٣٣٢	سُورَةُ الْقَصَصِ
٣٤٣	سُورَةُ الْعَنْكَبُوْتِ
٣٤٧	سُورَةُ الرُّومِ
٣٥٢	سُورَةُ السَّجْدَةِ
٣٥٣	سُورَةُ الْاٰخِرَاتِ
٣٦٣	سُورَةُ سَبْأٍ
٣٦٥	سُورَةُ طٰهٍ
٣٦٧	سُورَةُ يٰسٓ
٣٧٢	سُورَةُ الصّٰفٰتِ
٣٧٥	سُورَةُ زٰلِزَمٰتِ
٣٨٢	سُورَةُ الْاٰنْزِلِ
٣٨٩	سُورَةُ اَعْرَافِ
٣٩٥	سُورَةُ مُصَلَّتِ

الصفحة	الموضوع
٣٩٩	سُورَةُ الشُّورَى
٤٠٥	سُورَةُ الزُّمُرِ
٤١٠	سُورَةُ الْاَنْعَامِ
٤١١	سُورَةُ الْاَحْقَافِ
٤١٢	سُورَةُ مُحَمَّدٍ
٤١٩	سُورَةُ الْفَتْحِ
٤٢٠	سُورَةُ الْمَجْدَلِ
٤٢٤	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٢٧	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٢٩	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٣٢	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٣٤	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٣٥	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٣٧	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٣٩	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٤٢	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٤٤	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٤٥	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٤٧	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٤٨	سُورَةُ الْاَنْزَالِ
٤٤٩	سُورَةُ الْاَنْزَالِ

الصفحة	الموضوع	
٤٥٠	سُورَةُ الْحَاقَّةِ ❁
٤٥١	سُورَةُ الْمُرْسَاتِ ❁
٤٥٣	سُورَةُ الْمُنَافِقِ ❁
٤٥٤	سُورَةُ الْمُنَافِقَاتِ ❁
٤٥٥	سُورَةُ الْغَاسِقَاتِ ❁
٤٥٦	سُورَةُ الْاِنشَاءِ ❁
٤٥٧	سُورَةُ النَّازِعَاتِ ❁
٤٥٨	سُورَةُ عَبَسَ ❁
٤٥٩	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ❁
٤٦٠	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ ❁
٤٦٢	سُورَةُ الْبُرُوجِ ❁
٤٦٣	سُورَةُ الْاِنشَاءِ ❁
٤٦٤	سُورَةُ الْفَجْرِ ❁
٤٦٥	سُورَةُ اللَّيْلِ ❁
٤٦٦	سُورَةُ الضُّحَى ❁
٤٦٧	سُورَةُ الشَّرْحِ ❁
٤٦٨	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ❁
٤٦٩	سُورَةُ الْمَاعُونِ ❁
٤٧٠	سُورَةُ الْكَافُرِيْنَ ❁
٤٧١	سُورَةُ النَّصْرِ ❁
٤٧٣	سُورَةُ الْمُنَادِ ❁

الصفحة	الموضوع
٤٧٤	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ❁
٤٧٥	الفهرس ❁



التصميم الداخلي للكتاب

للتواصل: @abuhanyean

Tharwat Sultan

القاهرة - جمهورية مصر العربية 00201019530152

TharwatSultan@yahoo.com